

اِقْتِصَادُ مَصْرِ الدَّخْلِيِّ وَأَنْظُمَتُهُ  
فِي  
العَهْدِ الْمَمْلُوكِيِّ

تأليف  
دكتور

حلمي محمد حسن

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار الرشاد للطباعة والنشر

٤٧ ش سعد زغلول

ت ٨٠٨١٧٣ - الإسكندرية



# إِقْتِصَادُ مَصْرَ الدَّخْلِ وَأَنْظُمَتُهُ فِي العَهْدِ الْمُعَالِيَّكَى

تَأَلَّفَ  
دكتور

إِلهَى مُحَمَّدٍ سَالِحٍ

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



## تقديم

فترة حكم سلاطين المماليك من أمتع الفترات التاريخية والحضارية التي مرت بمصر الإسلامية في عصورها الوسطى ، فهي فترة عامرة بأحداث داخلية ضخمة ، وبصراع رهيب على السلطة بين سلاطين وأمراء المماليك وأحزابهم المشايعة لهم ، وعامرة في نفس الوقت بانتصارات عسكرية ضخمة أحرزها هؤلاء المماليك على الصليبيين والمغول .

وهي فترة علا فيها شأن مصر السياسي والديني بين الدول الإسلامية بعد أن أصبحت مقراً للخلافة العباسية ، كما علا فيها شأنها التجاري بين دول العالم بعد أن أصبحت تهيمن على أهم طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب .

وهي فترة أصبحت فيها مصر مركز إشعاع على كبير بين الأمم الإسلامية ، ومركز إشعاع ضمن الحضارة الإسلامية بمختلف صورها .

أدعن أغلب هذه النواحي كتب المؤرخون في عصرنا الحديث وألقوا المؤلفات التي تناولنا بالشرح والدراسة والتحليل ، لكن رغم ذلك فما زالت هناك جوانب أخرى من تاريخ مصر وحضارتها في هذا العهد في حاجة إلى مزيد من الدراسة ، ومن بينها اقتصادها الداخلي وأنظمتها ، فرغم أن تجارة مصر الخارجية في ذاك الوقت لعبت دوراً بارزاً في تدعيم اقتصادها إلا أن اقتصادها هذا كان يعتمد بالدرجة الأولى على إمكانياتها الذاتية الضخمة في زراعتها وصناعاتها وتجارتها الداخلية ، وهي إمكانيات جديرة بأن تقدم عنها وعن أنظمتها والمؤثرات التي أثرت عليها دراسة تفصيلية .

والواقع أنني عندما فكرت في الكتابة في هذا الموضوع ، أي اقتصاد مصر الداخل

وأعطته في عهد المماليك ، شمرت منذ اللحظة الأولى بضخامة المسئولية وبضخامة الجهد الواجب على أن أبدله وذلك لسببين: أولهما أن هذا الموضوع من المواضيع الحضارية وليس من المواضيع التاريخية . ومعروف أن الكتابة في المواضيع التاريخية أسهل بكثير من الكتابة في المواضيع الحضارية ، لأن المصادر التاريخية تزخر بالأخبار الطوال المستفيضة عن الأحداث التاريخية سواء السياسية منها أو العسكرية ، كما أنها مليئة أيضا بأخبار الملوك والولاة والأمراء وأعمالهم ، أما الجوانب الحضارية فقليلة ما تكلمت عنها هذه المصادر ، كما أن المؤرخين الذين كتبوا عنها قلة بالنسبة لزملائهم الذين كتبوا بامتفاح في الجوانب التاريخية .

أما السبب الثاني فهو أن عناصر هذا الموضوع عديدة ومتشعبة ، فبعضها يختص بثروة مصر الزراعية ، وأنواع المحاصيل التي أنتجتها أرضها ، وكيانها ، وأنظمة الري التي كانت متبعة في هذا الوقت . وبعضها الثاني يختص بثروتها الحيوانية ؛ وكذلك بثروتها السمكية . وبعضها الثالث يختص بصناعاتها بمختلف أنواعها وأشكالها ، والحامات التي صنعت منها . وبعضها الرابع يختص بتجاريتها الداخلية ، وبأسواقها ، وبما اختوته هذه الأسواق من حفلات تجارية متعددة الشكل والوظيفة ، وكذلك المرازين والمكايل ، والحسبة ودورها في الرقابة على الأسواق ، وأبرز الأنظمة التجارية الأخرى التي كان معمولاً بها في ذلك الوقت . وبعضها الخامس يختص بالنظام المالي للدولة في عهد المماليك ، وجهازها المالي ، ومواردها المالية ، وبنفقاتها . وبعضها السادس يختص بالنظام الإنشائي الذي كان له تأثير كبير في كافة نظم مصر الاقتصادية والمالية والعسكرية والاجتماعية في هذا العهد . وبعضها السابع يختص بالفنون والمجسمات التي نكتبت بها مصر في عهد المماليك والأسباب الرئيسية التي ساعدت على حدوثها .

وراء ذلك ، أقدم التزم بالصبر والناة أثناء جمى المادة العلمية لهذا البحث ، وأثناء تعقبى لها ويحشى عنها فى مختلف المصادر سواء التاريخية منها أو الحضارية ، وسواء التى ترجع منها إلى العهد المماليكى أو التى ترجع إلى عهود سبقت أو لحقت بهذا العهد كمهور الفاطميين والأيوبيين والممانيين ، فبعض التقاليد والنظم الاجتماعية والاقتصادية والحضارية فى عهد المماليك ترجع بأصولها إلى بعض العهود التى سبقتة خصوصا العهد الأيوبي ، كما أن بعضها استمر معمولا بها فى العهد المماني .

ومن خلال الدراسة التى أقدمها فى هذا الكتاب عن كافة النقاط التى ذكرتها يستطيع القارئ أن يلى حقيقتين :

الحقيقة الأولى هى أن اقتصاد مصر كان مسخرا بالدرجة الأولى لمنفعة طبقة المماليك العسكرية ، فنظام الإقطاع كفل لهم أن يستحوذوا على أغلب وأجود أراضى مصر الزراعية والرعية وأن يستغلوا لحسابهم ، كما أن هذا النظام سمح بمنحهم لإقطاعات مالية من بعض إيرادات الدولة .

أما الحقيقة الثانية فى أنه رغم أن اقتصاد مصر الداخلى كانت له إمكانياته الكبيرة ، وأنه بهذه الإمكانيات كان يستطيع أن يكون سندا لمصر عندما بدأ دخلها من التجارة الخارجية يتضاءل منذ أن نجح البرتغاليون فى الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، إلا أنه لم يستطيع أن يقوم بهذا الدور بسبب ما لحق به من أضرار على يد المماليك خصوصا فى العهد الجركسى ، فقد تلاعبوا فى أسعار العملات حسب مصلحتهم الخاصة ، وأفسدوا الحسبة بعد أن أصبح يتولاهما رجال السيف منهم بدلا من رجال الدين ، وأهلوا الزرع والمجسور ومشاريع الرى إلى الحد الذى جعل الرى بماء النيل متعذرا فى بعض الأراضى

فأصبحت تعتمد على الأمطار في ريها ، واستغلوا الفلاحين إستغلالا بشما ، وأرهبهم بالجبايات ، وزادوا عليهم في إيجارات الأراضي الزراعية إلى درجة لم يحتلها بعضهم فتركوا الأرض التي يزرعونها وتشرذموا في البلاد ، كما استنزفوا أموال وطاقت وإمكانات الشعب المصري عامة والعاملين منهم في المجالات الاقتصادية خاصة من خلال المكوس الكثيرة والاحتكارات والرمايات والحمايات التي فرضوها عليه فرضا .

وكنتيجة لذلك تدهورت أحوال مصر ، وانعكس هذا بدوره على قدرة المالك على الاستمرار في الحكم ، وأخذ حكمهم ينهار ، وفي النهاية أصبح حكمهم هذا عاجزا عن إيقاف الزحف العماني الذي اقتحم عليهم الشام ومصر عام ٩٢٣ هـ .

وبعد ، فإني أرجو بالدراسة التي أقدمها في كتابي هذا أن أكون قد وفقت في إعطاء القارئ صورة شاملة للأوضاع الاقتصادية وأنظمتها داخل مصر في العهد المملوكي ، وأن أكون قد وفقت أيضا في إلقاء بعض الضوء عليها بما يمكن القارئ من تفهمها والإحاطة بأبعادها ورويتها بوضوح .

والله ولي التوفيق :

حلمي محمد سالم



الزراعة



## أنواع المحاصيل الزراعية ومقادير إنتاجها

أنتجت أرض مصر في العهد المماليكي العديد من الحبوب والخضروات مثل القمح والشعير والذرة والباقل والحمص والعدس والبسلا والجلبان<sup>(١)</sup> واللوبيا والسهم والقثاء والقنطريون والماروخيا والقلناس والقرع والفت والباذنجان<sup>(٢)</sup> والإسباناخ والبامية والقنبيط أو الكرنب<sup>(٣)</sup> والدياء والهلين والثوم والبصل

---

(١) الجلبان إسم كان يطلق على نوعين من الحبوب هما البصلة والماش - الطوط : مناهج الفكر ومناهج العبر ، المجلد الثاني ص ٧٦ - داود الأنطاكي : تذكرة أولى الألباب والجامع المعجب المعجب ١ ص ١٤٨ .  
والماش نبات يشبه اللوبيا - المعري : مسالك الأبصار ص ٢٠٧ - داود الأنطاكي : المرجع السابق ٢ ص ٦٩ .

(٢) الباذنجان الذي أنتجت أرض مصر وقتئذ نواتج : نوع أسود وهو مدور أو مستطيل ، ونوع أبيض مستطيل كان يعرف بالشامى - الطوط : مناهج الفكر ومناهج العبر المجلد الثاني ص ٩٩ .

(٣) مما يلفت النظر أن القنطريون ذكر القنبيط من بين غامضيل مصر الزراعية ولم يذكر من بينها الكرنب ، بينما ذكر القرينى الكرنب ولم يذكر القنبيط - القنطريون : صبح الأعشى ٣ ص ٣٠٧ - القرينى : المواعظ والاعتبار ١ ص ١٠٣ .

ولتفسير هذا الأمر نقول أن كلتى القنبيط والكرنب كانتا تسمى شيتا واحداً وهو ما نعرفه اليوم في مصر باسم القنبيط . أما الكرنب ذو الورق المريض الذى نعرفه اليوم في مصر بهذا الإسم فلم تكن تنتجها أرض مصر في العهد المماليكي - إرجع البدرى في زهرة الأناام في عمارن الشام ص ٢٨٠ .

والسكرات والفجل والحلبة والأرس والخيار<sup>(١)</sup> والزيتون<sup>(٢)</sup> والقطن والكتان  
والنيلة والقرطم والحشاش والخروع .

وأروعا عديدة من المهنات منها الأترج والكباد<sup>(٣)</sup> والتارج واليمون على

(١) الخيار الذى أنشبت أرض مصر وقتئذ كان نوعين : نوع طويل كان  
يعرف بالشامى . ونوع قصير يميل للاستدارة عرف باسم البلدى - داود  
الانطاكي : تذكرة أول الألباب ٢٠ ص ٢٩٠ .

(٢) لم تفلح زراعة الزيتون إلا في مناطق محدودة في مصر ، ومن بينها  
منطقة الفيوم - السيوطى . حسن المحاضرة ٢ ص ١٧٦ - الفلقشندي : صبح  
الاعشى ٢ ص ٣٠٨ .

(٣) الكباد نوع من أرواع الأترج . وشكله يشبه البرتقال الكبير الحجم  
وقشره داكن ، وفيه لب كثير . لكن رائحته العطرية أقل من رائحة باقي أرواع  
الأترج الأخرى .

أما الأترج أو الأترنج أو التريج ، فهي ثمرة متعددة الأنواع ، فمنها ما هو  
بيض الشكل ذهبى اللون ، طيب الرائحة ، جوفه أبيض اللون ، حامض الطعم  
( أى مر ) به بذر .

ومن أنواعه نوع يعرف باسم التفاش ، وهو يميل للاستدارة ، وسطحه  
الخارجى به حدبات صغيرة ، وهو زكى الرائحة أيضا .

ولقد عرف الأترج بأسماء عدة منها الأترج الأحمر الجافى . والأترج  
للمكعب ، والأترج المدور والأترج الأبلق . ابن البيطار : الجامع لفردات  
الأدوية والأغذية ١ ص ١٠ - محمد بن عبد الله الأندلسي : الجامع لصفات  
أشنان النبات ، مخطوط ص ٢٠ - محمد بن عمر التولسي : الشذور الذهبية في

## اختلاف أنواعه (١) .

وأرواحا من الفواكه منها البلح (٢) والنب والتين والفراصد والمان (٣) والمشمش والنوخ (٤) والفراصبا ، والتوت ، والبرقوق ، والسفرجل والكزرى

= الألفاظ الطبية ، مخطوط ص ١٧ - أحمد عيسى : معجم أسماء النبات ص ٥١  
ابن زولاق : كتاب فضائل مصر ، مخطوط ورقة ٢٥ ب - ابن وصف شاه :  
جواهر البحور ووقائع الأمور ص ٦ - السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص  
١٥٤ - المقرئى : المواعظ ج ١ ص ٢٨ .

ومن بين الأنواع التى أنتجتها أرض مصر من الأترج نوع لم يكن حامض  
الطعم . البندادى : الإفادة والاعتبار ص ١٤ .

(١) من بين أنواع الليمون التى كانت معروفة وقتئذ الليمون التفاسى ،  
وهو لذيذ الطعم قليل الحموضة ، وكان المصريون يأكلونه بغير سكر .

والليمون النخم وهو شديد الحمرة شديد الاستدارة مفلطح مختوم عند رأسه  
وأسفله ، والخاص الشميرى ، وهو ينتج من تطعيم الليمون بالأترج ، والليمون  
الراكب أو المركب وكان يفتح من تطعيم الليمون بالنارج - المقرئى : المواعظ  
والاعتبار ج ١ ص ٢٧٣ - داود الانطاكى : تذكرة أول الألباب ج ٢ ص ٦٤

(٢) أنتجت مصر وقتئذ ارواحا من بلح الحجاز والعراق كالبرنى والصيحان  
والسكر وغيرها - ابن زولاق : كتاب فضائل مصر - مخطوط ورقة ٣٦ ب .

(٣) تركز إنتاج الرمان بالقرب من بلدة أشمون الرمان لذلك لسبت إليه  
وسميت بإسمه - ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وجنائب الأنظار  
ص ١٨ -

(٤) أنتجت أرض مصر فى ذلك الوقت نوعين من النوخ ، نوع أبيض =

خاصة النوع المعروف منها باسم الكثرى السكرية ، والتفاح<sup>(١)</sup> ، ولعصب السكر والبطيخ<sup>(٢)</sup> ، والموز ، والوز<sup>(٣)</sup> .

== بسطحه فقط حر وشمر لذلك عرف بالازغب . والآخر أملس لذلك عرف بالأقرع ، غير أنه عرف أيضا باسم الزهرى الأحمر وهو أطيب حلوة وروائح من الازغب . أبو منى العطار : منهاج الدكان ودستور الأحيان ص ١٢٩ - ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٥ - البدرى : نزهة الأنام في محاسن أهل الشام ص ٢٠٦ - رضى الدين القزى : جامع فرائد الملاحه في جوامع فوائد الفلاحه مخطوط ج ١ ص ٤٨ - ١٨٨ .

(١) من بين أنواع التفاح الذى أنتجته أرض مصر وقتئذ نوع اسمه المسكى وآخر اسمه القاسمى - المقرئى : المواعظ ج ١ ص ٢٧٢ .

غير أنه يبدو أن التفاح لم يجد زراعته بمصر ، ويهيم عبد اللطيف البغدادى إلى ذلك بقوله ... أما قفاحها فلا بأس به وإن كان ردينا ... ، عبد اللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار ص ١٧ .

ولهذا السبب اضطرت مصر إلى استيراد التفاح من الشام ، ولنفس السبب أيضا استوردت من الشام الكثرى والسكرجل - المقرئى : المواعظ ج ٢ ص ٩٣ .

(٢) أنتجت أرض مصر أنواعا عديدة من البطيخ ، منها النوع الهندى الذى كان يعرف في مصر بأسماء عدة منها البطيخ الأخضر أو الدلاع أو الماوى ، وهذا النوع بعضه أخضر مدور وبعضه الآخر مخطط السطح ، وبعضه الثالث لونه أبيض وبعض الرابع مستطيل الشكل - داود الانطاكي : تذكرة أول الألباب ج ١ ص ١٥٤ - رضى الدين القزى : جامع فرائد الملاحه ، مخطوط ص ٨٨ - أبو منى العطار : منهاج الدكان ص ١٣٠

وأشوا من الرياحين منها الآس ، والورد ، والبنفسج ، والزعفران ،

ومنها أيضا النوع الحراساني الذي كان يعرف في مصر باسم العبدلي أو العبدلوي - نسبة لعبد الله بن طاهر والى مصر عام ٤١١ هـ - والذي قيل أنه هو الذي أدخل زراعته بمصر . كما أن هذا النوع من البطيخ كان يعرف أيضا باسم البطيخ الدموي نسبة إلى قرية دميرة .

وقشر هذا البطيخ شحش أصفر اللون وأعناق مملوءة ، قليلة الحلاوة ، وأهل مصر كانوا يستعملون أكله بالسكر لاعتقادهم بأنه نافع للصحة ، أما الصنوبر منه فيشبه القثاء ويعرف بالعجور - عبد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار ص ١٦ .

ومنها أيضا نوع كان يعرف باسم الصيني ، كان كبير الحجم ومرغوبا فيه ، وإنتاج مصر من هذا النوع كان كبيرا .

ومنها أيضا الصواصلى ، وهو شديد الحلاوة وطيب الرائحة ، والمصريون كان ينقلون بذوره الصغيرة التي كانوا يسمونها أيضا الجرمة .

ومنها أيضا النمس وهو منقطع أو أخضر - رجب الدين النيزي : جامع فرائد الملاحة ص ١٥٩ ، الطواط : مباحج الفكر ، منقطع - المجلد الثاني ص ٨٨ ، ابن أبي أصيبعة : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٩٠ .

ومنها أيضا القحاح ، وهو أصفر مستدير أو أصفر مستطيل منقطع ، وهذا النوع كان يعرف في الشام باسم الشام - الطواط : مباحج الفكر ، المجلد الثاني ص ٨٩ ، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج ١ ص ١٠١ .

ومنها أيضا المنهاوى - داود الأنطاكي : تذكرة أول الألباب ج ١ ص ٥٢٥ . ومنها الحربي - المقرئ : المواعظ ج ١ ص ٢٧٢ .

والياسين ، والفقرين ، والبان ، والينوفر ، والريحان الفارسي ، والمنثور<sup>(١)</sup> .

وفيما يلي أمثلة لمقدار إنتاج الفدان من بعض هذه المحاصيل<sup>(٢)</sup> .

القمح - يختلف مقدار ما أنتجه الفدان منه حسب نوع الأرض ، غير أن متوسط إنتاج الفدان منه كان يتراوح بين أردبين إلى عشرين أردبا . غير أنه في عام ٨٠٦ هـ انحصر الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم فزرعت قمحا فأنتج الفدان ٧١ أردبا فيوميا<sup>(٣)</sup> .

وفي بعض بلاد الصعيد خاصة بإسنا كان يزرع صنف آخر من أصناف البطيخ الأسفر ، كان يعرف باسم الشتوى ، مستطيل الشكل يشبه القشاء ، رقيق الجلد جداً ، لذلك كان الناس لا يقطعونه بالسكين ، ويكتفون بمص البطيخة فيخرج ما فيها ويبقى جلدها شبه الطرف السالوني : نهاية الأرب ج ١١ ص ٣٦ .

(١) المقرئى : المواظ ج ١ ص ١٠٣ ، القلقشندي : صبح ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) نقلا عن المقرئى : المواظ ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢

وكنتم أرحم أن أجد في المصادر التي استخدمتها بيانا بمقدار الإنتاج الكلى السنوى لأرض مصر كلها من كل نوع من هذه المحاصيل ، وبيانا آخر تقريبا بالمساحات التي كانت تزرع سنويا بكل نوع منها ، وبيانا ثالثا بمقدار إنتاج الفدان الواحد من كل محصول منها ، غير أني لم أجد في هذه المصادر ما أبتغيه من هذه البيانات ، ولم أجد سوى هذه الأمثلة فقط التي ذكرها المقرئى في خطه .

(٣) أردب الفيوم ٩ ويات ، والوية ٦ أقداخ ، والقدح ٢٣٣ درهما - الغمرى : مسالك الأبصار ، مخطوط ج ٢ قسم ٣ ورقة ٣٧٦ - السيوطى : حسن المخاض ج ٢ ص ١٧٦ - القلقشندي : صبح الأضنى ج ٣ ص ١٤١ .



- الفجر - إنتاج القندان منه كان أكثر مما كان ينتجه من القمح ،  
 القبول - عشرون أردبا إلى ماحون ذلك .  
 الخمس - من أربعة إلى عشرة أراذب .  
 الجلبان - من عشرة لأراذب إلى ماحونها .  
 القدس - عشرون أردبا فما دونها .  
 السكتان - ثلاثون شدة إلى ماحون ذلك .  
 القراط - من أردبين إلى أربع ويات .  
 البصل - عشرة أراذب .  
 الترمس - عشرون أردبا إلى ماحونها .  
 السسم - ما بين أردب إلى ستة أراذب .  
 القطن - ثمانية قناطير جروية (١) .

## الرى : أنواعه وآلاته ونظمه ومنشأته

اعتمد الرى في مصر في العهد المملوكى على ثلاثة أشياء أساسية هي - فيضان النيل ، وآلات الرى ، والمطر .

فالأراضي التي كان النيل يغمرها غمراً مباشراً وكافياً وقت فيضانه ، كانت

(١) التقطار الجروى مائة رطل جروى ، والرطل الجروى ٣١٢ درهما -  
 ابن الأختوة : معالم القرية ص ٨١ .

وقد ذكر ابن دقاق في كتابه الانتصار ص ٨٢ أن الرطل الجروى ينسب  
 إلى الجروى الذى كان ملكا لساحل مصر الشمالى ، غير أنه لم يذكر البصر الذى  
 كان فيه هذا الملك .

تعتمد اعتماداً أساسياً ورئيسياً على هذا الفيضان، أما في سنوات الجلب، وكذلك في السنوات التي لا يضر فيها النيل الأرض بمائه غمرها كافياً فكانت تستخدم آلات الري كالساقية والدولاب لتزويد الأرض بما يكفيها من الماء .

أما الأراضي التي لم يكن يصلها ماء النيل ، أو التي كانت تقع على أطراف الصحراء كأطراف إقليم البحيرة على سبيل المثال ، فكانت تعتمد اعتماداً أساسياً على الأمطار لري زراعتها .

وتكلم المؤلفندي عن هذه الأنواع الثلاثة لري فقال (١) أن عامة مروجوات مصر تعتمد على النيل عند نزوله أرضها في أثناء بابة من شهور القبط إلى أثناء طوبة بحسب ما يقتضيه حال الزرع ، وربما ذرع على السواقي (٢)

---

(١) المؤلفندي - صبح الأمل ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٢) الساقية التي استخدمت في العهد المملوكي كانت مزودة بقواديس من القناوير المقريري - السلوك ج ٢ قسم ١ ص ١٥ .

وفي بعض المزارع الكبيرة استخدمت سواقي كبيرة لها عدة عجلات ، وأشار المقريري إلى واحدة من هذا النوع . كانت مستخدمة بستان بقوم فقال منها أنها كانت ساقية بأربعة وجوه - المواظ ج ١ ص ٣٢ .

ولما كان الوجه لغوياً معناه نفس الشيء كما جاء في محيط المحيط لذلك فإننا نفهم أن هذه الساقية كانت تتكون من أربع عجلات متتالية ، أو أن هذه الساقية كانت أربع سواقي تعمل مع بعضها البعض في جهاز واحد .

أما السواقي التي كانت تستخدم في رفع الماء من النهر مباشرة فكانت تعرف في مصر باسم المليل - القزى : جامع فرأى الملاحه ص ١٢

والدواليب (١) ، وأكثر ما يكون ذلك في بلاد الهند خصوصا في سنى الجذب ، ولا زرع فيها على المطر إلا القليل النادر . بأطراف البحيرة عمالا جبره به .

والواقع أنه لولا النيل لما قامت في مصر زراعة . بل ولما قامت فيها حياة على الإطلاق . يبين لنا المقرئى الرابطة الوثيقة بين النيل وبين الزراعة في مصر فيقول أن أرض مصر تنكس بالوان ثلاثة بتأثير من النيل على مدار السنة . ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سيكة حمراء . فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في شهر أيار ومصرى وتوت يركبها الماء هوى الدنيا بيضاء ، وضياها على روابى وتلال مثل السكاو كب وقد أحيطت بها المياه من كل وجه . فلا سيل إلى قرية من قرأها إلا في الزواقي . وأما المسكة السوداء فإيه من أشهر بابة وهاتور وكبيك يتكشف الماء من الأرض فتصير أرضا سوداء ، وفي هذه الأشهر تقع الزراعات

---

(١) ليس لدينا وصف محدد للدولاب ، غير أنه أعتمد أنه نوع من الحواقي بجملة بيوت أى تحايف بدلا من القواديس الفخارية ، وما يقوى هذا الإعتقاد أننا نجد في محيط المحيط وصفا لدولاب كان يعرف عند المولدين باسم الغراف ، وجاء في هذا الوصف أنه دولاب كبير بغوص بجانب منه في الماء ، وفيه بيوت تلبطن الماء ، وتبعد عند دورانه فتصب على أرض البستان .

ويدو أن الدولاب كان يستخدم على وجه الخصوص في مناطق الجنادل جنوب أسوان ، فقد قال المقرئى عن هذه المنطقة أن النيل لا يروى مزارعها لإرتفاع أرضها ، وزرعها القدان والقناتان والثلاثة على أعناق البقر بالدواليب ، المواظ ١ ص ٨٩ .

وأما الزمردة الخضراء فإنها في أشهر طرية وأمشير وبرمهات يكثر نبات الأرض .  
 وريبعها قصير خضراء . كأنها زمردة . أما السديكة الحمراء فإن في أشهر برمودة  
 وبشلس وبؤفة يتورد العشب ، ويلبغ الزرع الحصاد فيكون كالسديكة التي من  
 الذهب منظرأ ومنقمة ... (١) .

ومن هذا الوصف نستخلص حقيقتين ، الأولى أن النيل يقسم السنة الزراعية  
 إلى أربع فترات تتميز عن بعضها البعض ، وكل فترة منها مقدارها ثلاثة أشهر  
 الفترة الأولى فترة الفيضان ، والفترة الثانية فترة البلور والزرع ، والفترة الثالثة  
 فترة نمو المحاصيل في الحقول ، والفترة الرابعة فترة الحصاد .

أما الحقيقة الثانية فهي أن أغلب أرض مصر في العهد المماليكي كانت لا تزرع  
 إلا لزراعة واحدة فقط على مدار السنة .

ونظراً لأن النيل والزرع المتفرعة منه كانت هي المواد الأساس التي كالأوضاع  
 من قبل ، لذلك إهتمت حكومة المماليك في عهود بعض السلاطين بتطوير الترع  
 القديمة لكي يغزر ماؤها ، ويحفر ترع جديدة .

ومن أبرز الزرع التي كان لها أهمية في عمليات الري وتثنت - الخليج الكبير -  
 الذي كان يعرف بأسماء عدة منها خليج القاهرة وخليج أمهر الموزنين والخليج  
 الهاكي وخليج مصر (٢) .

(١) المقريزي : المواظ ٢٣ ص ٢٦ .

(٢) المقريزي . المواظ ١٣ ص ١٢٤ ، ٢٣ ص ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ -

القلقشندي : صبح الأعشى ٢٣ ص ٢٩٨ .

وهذا الخليج كان قد حفره عمرو بن العاص أثناء إمارته على مصر في خلافة عمر بن الخطاب ، وجمله يمتد بين النيل من منطقة القسطنطينية إلى خليج القلزم (١) . ومن هذا الخليج كانت تروى الأراضي الزراعية المحيطة بمواسم مصر الإسلامية : القسطنطينية والقسطنطينية والقاهرة ، وكذلك المزارع الواقعة بشرق الدلتا حتى القلزم .

ونظراً لأهميته في الري لذلك فقد حفرت عدة ترع أو خلجان أخرى لتساعده في هذه المهمة ، وروى في هذه الترع أن تبدأ من النيل وتصب في هذا الخليج ، فتجتمع مياهها مع مياهه في مجرى واحد ، فتصبح هذه المياه أكثر غزارة وقدرته على مد الأراضي التي تروى بها بحاجتها من المياه . ومن أمم الخللجان التي كانت تصب فيه خليج فم النور (٢) ، وخليج قنطرة الفخر (٣) ، وكذلك الخليج الناصري (٤) . وفي كل عام وقت التحاريق كان يقام على مدخل هذا الخليج من ناحية النيل سد ترابي ضخم ، ولا يفتح هذا السد إلا بعد وفاء النيل وارتفاع مياهه إلى الحد الكافي لري أراضي مصر .

وعلمية فتح أو كسر هذا السد كانت تتم في احتفال كبير يحضره السلطان .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) المقرئ : المواظ ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) هذا الخليج كان يبدأ من النيل من عند ساحل بولاق - المقرئ ج ١

ص ١٤٦ .

(٤) سمي هذا الخليج بالناصرى نسبة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

الذي أسر بخره في عهده - المقرئ : المواظ ج ١ .

بنفسه كل عام (١)، لأن هذه العملية كانت تعتبر بداية لعمليات الري في كافة أراضي مصر، وإذ كان بفتح باقي المسور المقامة على قزح مصر وخارجها حسب التوقيت والنظام الذي كان مقرراً لها وقتئذ .

وبالإضافة إلى خليج القاهرة فقد كان لخليج الاسكندرية أهميته هو أيضاً في ري الأراضي الواقعة في شمال غرب الدلتا ، إذ كان يخرج من فرع رشيد عند قرية المعطف التي تقابل مدينة فوة ، ثم يمتد غرباً حتى يدخل الاسكندرية ، ثم يصب في البحر الأبيض .

أما بحر أبي المتجا الذي خفر في العهد الفاطمي بأمر من الوزير الأفضل أمير الجيوش بدر الجمالي في خلافة المستمل بالله الفاطمي فسكانت ثروى منه بعض الأراضي الواقعة شرق الدلتا .

وبالإضافة إلى هذه الخلجان فقد كان لخليج منف ، وخليج مرد ، ورو وخليج دمياط (٢) وكذلك خليج القيوم الاكظم (٣) دورها الهام هي أيضاً في عمليات الري .

ولقد عرف عن بعض سلاطين المماليك الإهتمام بتطوير الترع القديمة

(١) الفقهيندى : صبح الاعشى ٣٦ ص ٢٠٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ٣٦ ص ٢٩٨ - ٣٠١ - المقرئى : المواظ

١٦ ص ٧٠ .

(٣) المقرئى : المواظ ١٦ ص ٢٤١ .

والاهتمام بخفر ترع جديدة لتحسين وتقوية عمليات الري ، ومن أمثلتهم السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى الذى أعاد حفر خراج الاسكندرية تحت إشرافه شخصيا كما حفر بحر أشموم ماناح (١) .

وكذلك السلطان المنصور قلاوون الذى باشر بنفسه الاشراف على حفر بحر الطيرية لإعادة الحياة إلى أراضى منطقة البحيرة وذلك بعد أن أصبح أغلبها شراقي (٢) وغرسا (٣) . وبلغ من اهتمامه بإنجاز هذا العمل على الوجه الأكمل وفى أسرع وقت أنه خرج بنفسه بصحبة أولاده وأمرائه وعساكره لمواقع العمل وأخذ يستنهب الحمم ببذل العطاء السخي لمن يبدى همة ونشاطا في إنجاز العمل فى أسرع مدة وبلغ الله بعمل ذلك المنافع، وروى الشراقى، ورغب الناس فى الحضور إلى الزرع فجهادوا من كل جهة ... وعمرت بذلك بلاد وانسمت مردوعات ، وذلك ببركة هذه الحركة الطيبة (٤) .

(١) المقريزى : المواقف ٢٠٠ ص ٣٠٣ .

(٢) الأرض الشراقى هى الأرض التى ظلمت واشتكت حاجتها إلى الماء ، فإذا رويت فى العام التالى أتت محصولا طيبا وفيرا ، لأنها تكون قد استراحت فى العام الذى ظلمت فيه . القلقشندى : صبح الأعشى ٣٠ ص ٤٤٦ .

(٣) الأرض الخرس هى الأرض التى تكثر فيها الحشائش بدرجة كبيرة يستحيل معها زراعتها فتستغل فى هذه الحالة كزعى الدواب فقط . القلقشندى . صبح الأعشى ٣٠ ص ٤٤٧ .

(٤) محيى الدين بن عبد الظاهر : تشرىف الايام والمنصور فى سيرة الملك المنصور ص ٢٥ .

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فكان إهتمامه كبيرا بمشاريع الري بمختلف أوضاعها ، وكلف عددا من الأسراء بمباشرة هذا الأمر في مختلف أقاليم مصر (١) ، وبلغ يحمل ما كان يصرف على هذه الأعمال في عهده ربيع المتحصل من الإقطاعات . وفي عهده أعاد حفر خليج الاسكندرية كما حفر بحر المحلة مرتين ، كما حفر أيضا بحر البقيني بالجيزة (٢) فرويت أراضى عديدة ، وعلت مياه النيل أراضى لم تكن تعلمها من قبل ، فجادت بالزرع بعد أن كانت قفراء جديبا ، وبلغ ما استصلح منها في منطقة البحيرة وحدها فقط خمسة وعشرون ألف فدان (٣) .

وعلى ترع وخليجان مصر أقيمت الجسور والقناطر لتنظيم عملية الري . والجسور كانت نوعين ، نوع شيدته الحكومة المماليكية فحرف بالجسور السلطانية لهذا السبب ، ونوع آخر شيدته أصحاب الإقطاع أو ملاك الأراضى الزراعية على نفقتهم فحرف بالجسور البلدية .

والجسور السلطانية كانت أكثر ضخامة من الجسور البلدية ونفعا أهم ، ويشمل بلادا عديدة . أما الجسور البلدية فكان نفعا محدودا ولا يشمل إلا ناحية واحدة فقط (٤) .

وحتى نهاية العهد الفاطمى كان متقبلي الأراضى (٥) هم الذين يتكفلون بتشييد

(١) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٢٧ .

(٢) المقرئى : المواقظ ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٢٣١ .

(٤) المقرئى : المواقظ ج ١ ص ١٠١ .

(٥) متقبلي الأراضى هم فئتمن الملائمين كانوا يتقبلون مساحات من الأراضى =



الجسور السلطانية على نفقتهم ، ثم تخصص هذه النفقات مما عليهم من قبـ الاثـ الاراضى . لكن منذ العهد الايوبي أصبحت الدولة تتولى بنفسها مهمة إنشاء هذه الجسور وتشرف برجالها على عملية تشييدها . وفي العهد المماليكى البعوى وأوائل العهد المماليكى المرحكى كانت الدولة تهـ أموالا لهذا الغرض من الاعمال الشرقية والاعمال الغربية<sup>(١)</sup> ، غير أنه بعد ذلك صارت هذه الاموال تهـ من جميع البلاد وعرفت بالحفير والجراف ، وسمى الامراء الذين يقومون بمهمها ، بكشاف الزاب<sup>(٢)</sup> .

وكان من المعتاد أن يقوم السلطان في ربيع كل عام بتعيين الامراء الذين يباشرون مهام هذه الجسور ويكلفهم بالإشراف على أعمال صيانتها والمرور عليها لتأكد من سلامتها . وفي وقت الفيضان كان هؤلاء الامراء ومن معهم من المالك والعمال يقيمون بصفة دائمة على جوانب النيل أو الزرع<sup>(٣)</sup> .

الزراعية ، تعطى لهم الدولة لمدة سنوات ليزرعوها لحسابهم ولنفتحتهم على أن يلتزموا الدولة بتأدية ما عليها من خراج - المقرضى : المواظ ج ١ ص ٨٢ .

(١) المقرضى : المواظ ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) يقول ابن شاهين عن كشاف الزاب أنهم « يتعينون في كل سنة من الامراء مقدى الآلاف إلى كل إقليم أمير في زمان البيع لاستخراج ما يتعين على البلاد من الحفير والجراف ، والحفير يطلق بالدولة يصرف بأما كن معلومة يحفرها لجرى ان المياه . والجرايفت هى التى يحفر بها التراب لإقامة الجسور السلطانية ، تستخرج من جميع البلاد مبلغ ورجالة بسبب ذلك » - ابن شاهين : زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٢٩ .

(٣) يقول ابن حجر في هذا الصدد أن السلطان برفوق رتب عام ٧٨٥ هـ جماعة من الامراء والمالك بالإقامة بجوانب البحر والخلجان لحفظ الجسور ، ابن حجر : إنباء الفهر ج ١ ص ٢٠١ .

وكان يختص لكل عمل من أعمال مصر أمير من هؤلاء الأمراء القيام بهذه المهام ، فيعرف الواحد منهم في هذه الحالة بكاشف الجسور أو كاشف التراب في العمل القلاني ، لكن في بعض الأحيان كانت تضاف إلى وإلى المنطقة مهمة كشف الجسور ، وفي هذه الحالة كانت المسكبات الرسمية توجه إليه باسم وإلى منطقة كذا وكشف الجسور بها (١) .

ومن أبرز السلاطين الذين اهتموا بتشييد الجسور وصيانتها السلطان الظاهر بيبرس ، فقد أعاد هذا السلطان ترميم وتعمير قناطر الجبينة ، وهي تلج على أربعين قنطرة ، وكانت <sup>قنطرة</sup> أشيدت في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي بإشراف قراقوش الأسدي (٢) .

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد شيد في عهده عدة جسور نذكر منها جسر شبين القصر ، وجسر أحباس بالشرقية والقليوبية (٣) .

ونظراً لأن القناطر كانت تقوم هي الأخرى بدور هام في تنظيم عملية الري وتكفل وظيفة الجسور والسدود في هذا الشأن ، لذلك كان يطلق على بعضها اسم سد ، ومن أمثلتها قنطرة الأميرية التي كانت تعرف باسم سد الأميرية ، وهي قنطرة شيدها السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الخليج الكبير بمنطقة الأميرية بضواحي القاهرة (٤) .

(١) القلشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ - ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٩ ص ١٦٨ .

(٢) المقرئ : المواظ ج ٢ ص ١٥١ .

(٣) المقرئ : المواظ ج ٢ ص ٣٠٦ .

( ) نفس المرجع السابق والجزء ص ١٤٨ .

ويبدو أن عدد القناطر التي كانت تنظم عملية الري في العهد المملوكي كان كبيراً ويمكننا أن نستدل على ذلك بما ذكره المقرئ عن عدد القناطر التي كانت تقوم على بعض الترع والخجان القريبة من القاهرة أو المحيطة بها ، فخليج القاهرة كانت تقوم عليه وحده أربع عشرة قنطرة ، وعلى الخليج الناصري كانت تقوم خمس قناطر ، وعلى كل من خليج قم الخور وخليج الذكر قنطرة واحدة (١) . .

وانقد كانت هناك نظم وتقاليـد تتبع عند فيضان النيل في أثناء فترة فيضانه كانت تقاس لإرتفاعاته يومياً بواسطة مقياس كان يقوم بجزيرة الروضة منذ أن أنشئ في عهد الخليفة العباسي المتوكل عام ٢٤٧ هـ (٢) ، وهذا المقياس كان مقسماً إلى اثنين وعشرين ذراعاً ، والأذرع قسمت إلى أصابع ، و ... وقد جرت عادة صاحب المقياس أن يعتبر قياسه زمن الزيادة في كل يوم وقت العصر ، ثم ينادى عليه من القـد بتلك الزيادة أصابع من غير تصريح بذرع ، إلا أنه يكتب في كل يوم رقاعاً لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام كأرباب الوظائف من الأمراء ، وقضاة القضاء من المذاهب الأربعة ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش والمحاسب ومن في مناصبهم ، فيذكر زيادته في ذلك اليوم من الشهر العربي وموافقة من القبطي من الأصابع وما صار إليه من الأذرع . ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته في العام الماضي من ذلك اليوم من الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، والبعادة بينها بزيادة أو نقص ، ولا يطلق على ذلك عوام الناس ورعايهم ، فإذا وفي ستة عشر ذراعاً صرح في المناداة في كل يوم بما زاد من

(١) نفس المرجع السابق والجزء ص ١٤٦ .

(٢) المقرئ : المواعظ ج ١ ص ٥٩ - القلقشندي : صبح الأئني ج ٣

الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، ويصير ذلك مشاعا عند كل أحد ، (١)  
ومن وسائل الإعلان عن وفاة النيل أن يسبل صاحب المقياس على شباك  
سرا أسودا يعرف بالستر الخلفي ، فإذا شاهده الناس تباعثوا بالوفاء ، واجتمعوا  
من كل صوب لإعلان فرحتهم (٢) .

وعلى أثر ذلك تكتب البشارات بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة (٣) ،  
كما تجرى الاحتفالات بكسر الخليج الكبير أى خليج القاهرة بحضور السلطان  
ذاته (٤) ، ويكون كسر هذا الخليج لإبذانا بكسر باقي الجسور القائمة على الترع

(١) القلقشندي : صبح الأعش ج ٢ ص ٢٩٢

(٢) المقرئى : المواقظ ج ٢ ص ١٨٥

(٣) القلقشندي : صبح الأعش ج ٢ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠

(٤) نفس المرجع السابق والجزء ص ٢٠٢

وفى هذا الاحتفال يتوجه السلطان إلى مقياس الجزيرة ويدخله ، وهناك يمد  
سماطا يأكل منه هو ومن معه من الأمراء والمماليك ، ثم يذاب زعفران فى إناء  
فيتنارله صاحب المقياس ويسبح به فى فسقية المقياس حتى يصل إلى عموده فيخلقه  
بالزعفران ، ثم يعود ويخلق جوارب الفسقية أيضا ، بينما تكون مركب السلطان  
المحروقة بالمحراق أو النهمية ، وكذلك حرايق الأمراء قد ذيفت بالزينة ، ثم  
يؤتى بحرقاة السلطان إلى شباك المقياس المائل على النيل ، فيزل منه السلطان ويسبح  
وحرايق الأمراء حوله ، وقد اكتظ النيل بمراكب المتفرجين التى تدير خلف  
الحرايق ، ويظل هذا المركب النيلي الكبير فى طريقه حتى يصل السلطان إلى فم  
الخليج . وفى أثناء ذلك تجرى ألعاب بحرقاة السلطان العظيم وكذلك بحرقاة  
الأمراء فى وسط إمتدادها ، ويرى على مقدمها بدافع النفط .

والخجان الأخرى ، وكذلك إيدانا بفتح القناطر المقامة عليها لرى الأراهى  
حسب نظام دقيق كان معمولاً به فى ذلك الوقت .

ويمكن أن نلم بأطراف من هذا النظام من الوصف الذى ذكره المقرئ من  
نظام فتح السدود المقامة على امتداد الخليج الكبير ، فهو يقول أنه بعد كسر  
السد المقام على قم هذا الخليج تجرى مياه الفيضان فيه حتى تصل إلى قنطرة أو  
سد الأميرية ، وهى آخر ما على هذا الخليج من قناطر بنواحى القاهرة . وعند  
هذه القنطرة تجس المياه تروى ما تحته من أراض ، حتى إذا كان يوم  
النوروز (١) يخرج والى القاهرة ليأخذ الشهادة من مشايخ أهل النواحى بأنه  
قد تم رى الأراض بنواحيجهم ، فإذا تم ذلك يفتح سد الأميرية على أثرها ،  
فتجرى المياه من وراءه إلى جسر شين القصر ، وهناك تقف مرة أخرى تروى  
ما تحته من أراض . ولا يزال الماء واقفا عند هذا الجسر إلى يوم عيد الصليب  
وهو اليوم السابع عشر من النوروز ، وعندئذ يفتح هذا السد هو الآخر فتجرى  
المياه وراءه ... وهكذا يتتابع فتح السدود المقامة على الخليج الكبير حسب

---

== وعند وصول السلطان إلى سد الخليج يقطع هذا السد بحضوره ، فإذا تم  
ذلك يركب بعدها عائدا إلى القلعة - القلعة - صباح الأحد ٢ ص ٢٩٨ -  
٣٠١ ، المقرئ : المواظ ١ ص ٧٠

(١) هو أول يوم فى السنة القبطية ، وكان الأقباط يحتفلون به إحتفالا كبيرا  
ثم شاركهم المسلمون فى الإحتفال به ، فأصبح يوم إحتفال عام عند المجتمع  
المصرى كله ، واعتاد الناس الخروج فيه للهو والترجيج والزهة - إن الحاج :  
المدخل ٢ ص ١٧٨

نظام متتابع دقيق إلى أن يسبب بعامه في البحر الملح (١) .

وعما يلاحظه الناس أنه سقى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون كانت أرض مصر تروى بشكل كاف إذا بلغ ارتفاع النيل سبعة عشر ذراعاً (٢) ، لكن هذا أخذ لم يعد يكفي لديها بعد ذلك لأن السلاطين الذين توالوا على حكم مصر بعد الناصر محمد أهلوا شتون الري وجمدوره ، فقل جريان الماء في الزرع نتيجة لذلك ، وعلت الأرض الزراعية على جانبي مجرى النيل وعلى جوانب الترع المتفرعة منه على توالى السنين ، فأصبح الفيضان إذا بلغ في سنة لصعباً من عشرين لا يعم الأرض كلها (٣) ، وبالطبع انعكس ذلك كله على كفاءة الانتاج الزراعى بمصر .

وفي العهد المملوكي كان لكل نوع من أنواع الري اسم معين ، وأشار المقرئى إلى بعضها في خطه ومن أمثلتها أن بعض الحقول كانت تروى « سبحة » (٤) أى أن ماء النيل كان يسبح إليها وقت الفيضان بذاته فيروىها . كما أن بعض

(١) المقرئى : المواعظ ١ ج ١ ص ٥٦ ، ٢ ج ١ ص ١٤٨

(٢) ابن بطرطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار ص ٢٢ ، المقرئى :

المواعظ ١ ج ١ ص ٥٩

(٣) المقرئى ١ ج ١ ص ٦٥

(٤) ذكر المقرئى هذا التمييز عند كلامه على أنواع الري بمنطقة الفيوم ، فقال أن خليج الفيوم الأعظم يمر بين ضيقتين معروفتين بدمونة واللاهون ، ثم قال أنه من هذا الخليج الأعظم يكون « شرب هاتين الضيقتين وغيرهما سبحة » .

المواعظ ١ ج ١ ص ٢٤٨

المحاصيل كالخيار والكروم البعلية كان من الضروري أن تروى « تشريقا » (١) أى تفرق - قوتها بالمياه . كما أن الأشجار تسقى في طوبة وأمشير ، وسقيها هذا كان يسمى « ماء الحياة » (٢) . كما يسقى القصب عند طلوع النيل ، بماء الرحلة ، وذلك بأن تقطع لدة في الجسر الذى يحيط بحقل القصب ، فيدخل ماء النيل ، منها حتى يعلو على القصب بنحو شبر ، وعندئذ تسد اللدة ، ويترك الماء فوق الحقل ، قدر ساعتين أو ثلاث إلى أن يستن ، وعندئذ يهرف من جانب آخر حتى ينضب كله ، ثم يكرر هذا العمل عدة مرات في أيام متفرقة بقدر معلوم ، وبعدها يفطم القصب أى يمنع عنه الماء بعد ذلك (٣)

---

(١) القرطبي : المراءى ١٣ ص ١٠٢ ، ٢٧٠ .

(٢) د : ١٣ ص ١٠٢ .

(٣) نفس المرجع ، والجزء السابق .

## التقاوى : أساليب وآلات زراعتها

التقاوى فى العهد المماليكى كانت نوعين : تقاوى بلدية وتقاوى سلطانية .

التقاوى البلدية هى تقاوى أهلية يمتلكها صاحب الإقطاع أو مالك الأرض أما التقاوى السلطانية فهى تقاوى حكومية تملكها الحكومة وتقيم لها المخازن فى كل ناحية من نواحي أرض مصر الزراعية لتخزينها وتحفظها بها .

ومن الأنظمة المتبعة فى ذلك الوقت أن الحكومة كانت تعطى لصاحب الإقطاع كميات من التقاوى السلطانية كل عام كنوع من المماونة له ، وأيضاً كوسيلة من وسائل تحسين نوعية الإنتاج الزراعى لأن هذه التقاوى كانت من الأنواع المنتزة الممتازة ، فإذا خرج المقطع عن إقطاعه طالبته الحكومة بها وحاسبتة عليها<sup>(١)</sup> .

ولقد اختلفت كميات التقاوى التى كانت تبذر حسب نوع المحصول ، بل إنها اختلفت أيضاً بالنسبة للمحصول الواحد ، بحسب قوة الأرض وضعفها وورقتها ونوعها<sup>(٢)</sup> .

وفى كل أمثلة لكميات التقاوى التى كانت تبذر فى الفدان الواحد بالنسبة لبعض المحاصيل<sup>(٣)</sup> :

القمح - من أردب إلى خمس ويات ، غير أنه فى بعض أراضي الصعيد كان يندر فيها أقل من ذلك ، كما أن بعض الأراضي بحوف وميس كان

---

(١) المقرئ : الملاحظ ١ ج ١ ص ٦١ .

(٢) نفس المرجع والجزء ص ١٠١ .

(٣) نقلاً عن الملاحظ المقرئ ج ١ ص ١٠١ - ١٠٣ .



يكفي القدان منها نحو وبتين (١) فقط .

الفول - حوالى ثلاث ويات .

الحص - من أردب إلى ثمان ويات .

الجلبان - من أردب إلى أربع ويات

العدس - من وبتين إلى ما دونها .

الكتان - ما بين أردب وثلث وإلى مادون ذلك .

القرط - من بين وبتين ونصف إلى ما حولها .

البصل - من ثلاثة أرباع الوية إلى وية .

الترمس - أردب

البطيخ - قدحان

السمسم - ربع وية

القطن - أربع ويات

القاقاس - عشرة قناطير جروية (٢)

النيلة - وبة

الفجل - من قدح واحد إلى قدحين

الفت - قدح واحد

(١) أردب القاهرة كان يعادل ٦ ويات ، والوية ١٦ قدحا ، والقدح يعادل في الوزن ٢٢٢ درهما .

المصرى : مسائل الأبعاد . مخطوط ج ٢ قسم ٣ ورقة ٣٧٦ - السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧١ - القلقشندى : صبح الأحرى ج ٣ ص ٤٤١ .

(٢) القنطار الجروى يساوى مائة رطل جروى ، والرطل الجروى ٣ ٢ درهما . ابن الأخوة : معالم القرية ص ٨١ .

واقدا استخدم الفلاح عدة أساليب لبذر التكاوى فى التربة الزراعية ، كما استخدم هذه آلات زراعية فى هذا الشأن (١) . ففى الأرض الزراعية التى يكون ماء الفيضان قد غمرها غمرا كافيا تبذر التكاوى فوق تربتها وهى لينة موحلة بعد نزول الماء عنها والسحابه من قوتها ، ثم تستخدم الملوقة لدفن هذه التكاوى داخلها .

والملوقة خشبه تجرها الدواب على سطح هذه التربة اللينة . فتضرب بها بقلها على التكاوى التى بذرت فتدفعها إلى داخل التربة ، وهذا العمل يعرف بالتلويق (٢) . ولايستخدم إلا فى الأرض الموحلة اللينة التى إرتوت جيدا ولا تحتاج لأن تشقى بمحراث (٣) . وفى هذا الشأن يقول المقرئى : وإلى الآن فى أراضى مصر ما إذا نزل عنها ماء النيل لا تحتاج إلى المحراث لئبها بل تلاق لوقا ، (٤)

أما الأرض التى لايمررها ماء الفيضان غمرا كافيا بسبب ارتفاعها عن منسوب الماء ، أو بسبب انخفاض منسوب ماء الفيضان فى بعض السنين ، وكذلك الأرض التى تزود وقت التحاريف ، فى كل هذه الحالات لا بد من تبشير الأرض أى شقها بالمحراث (٥) ، ثم تطفى التكاوى فى الشقوق التى أحدثت بها .

(١) رغم أن هذه الوسائل وهذه الآلات الزراعية مستخدمة حتى اليوم فى بعض الحقول المصرية ، إلا أنه ههنا منا أن نسجل استخدامها فى العهد المماليكى من واقع النصوص التاريخية المماليكية .

(٢) المقرئى : المواعظ ج ١ ص ١٠١ ، ٢٣ ص ٢٧٠ .

(٣) يقول المقرئى أنه فى شهر بابه يزرع الفول والبرسيم وسائر الحبوب التى لا تشقى لها الأرض ، أى التى تزرع بالتلويق - المواعظ ج ١ ص ٢٧٠ .

(٤) المواعظ ج ١ ص ١١٧ .

(٥) يقول المقرئى : ومعنى البرش الحرث ، - المواعظ ج ١ ص ١٠٢ .

وهذا النوع من الزراعة يسمى المقرى ، والزراعة ، وقالها ما استخدم  
في زراعة بعض المحاصيل في الاراضى المائية زمن الفيضان (١) ، كما استخدم أيضا  
في زمن التماريق لزراعة المحاصيل الصيفية التى ينسحب المقرىق والصيفى ،  
وأيضا ، حبوب الحرث ، (٢) .

أما المحارث التى استخدمها الفلاح في ذلك الوقت فكان بعضها كبيراً ويصرف  
باسم «المقلقات» ، (٣) . وفي أثناء عملية الحرث كان الفلاح يلبس في قمحه جلده  
اسمها «الحدوة» لتحميها من الأضرار التى تنجم عن احتكاكها بكسل الطمس  
الصلبة اليابسة ، وهذه الحدوة كانت تضع على قدر التقسيم وثبت بها بواسطة  
خيوط (٤) .

وبعد الحرث كان لابد من تمهيد التربة وتعيمها وتسويتها ، فاستخدمت  
«الجراقة» لهذا الغرض .

ولقد أعطانا كل من المقرى والنورى إحصاءاً لمهنتها ووظفتها أثناء كلامها  
على عملية زراعة القصب فقالا أنه بعد حرث الأرض «تجرف الأرض حتى  
تتمدد» . فإذا ظلمت الأرض وطابت وبسنت وصارت تراباً ناعماً وتساوت  
بالتهريف شقت حينئذ بالمقلقات ويرى فيها القصب (٥) .

(١) المواظ ١٣ ص ١٠١

(٢) يقول المقرى أنه في شهر كيك ، يزرع أكثر حبوب الحرث ، وفى  
شهر طوبة ، تبرز الأراضى أولسكة برسم الصيف ، المواظ ١٣ ص ٧٠

(٣) المقرى : المواظ ٣ ص ١٠٢

(٤) الشربنى : من التصرف ص ٦٠١

(٥) المقرى : المواظ ١٣ ص ١٠٢ ، والنورى : نهاية الأرب ١٣ ص ٢٦٥

وبالإضافة إلى ما ذكرناه ، فقد اختصت بعض المحاصيل بأساليب أخرى لزراعة تقاويها ، ومنها القصب الذي كان يزرع « بالنصب » أى إلقاء قطع التقاوى في الشقوق التي تحدها المقتلات (١) ، كما أن الخس والكرنب يزرعان « بالقتل » (٢) كما أن الترمس يزرع « بالنفن » (٣) ، كما أن كثيرا من أشجار الفواكة كالكرم والتين والتفاح واللوز والخوخ والمشمش وغيرها تزرع « بالفرس » (٤) .

### الفرس والتطعيم

غالبا ما كان يتم غرس الفواكة على مرحلتين ، المرحلة الأولى : وفيها تفرس قضبان منها أى فروع صغيرة منها ، فإذا نمت تحول إلى أرض الحقل لتستقر به نهائيا ، وتتكامل به دورة نموها ، وهذه هي المرحلة الثانية . وغالبا ما استخدمت هذه الطريقة في غرس الكرم الذي قال عنه المقرئى عنه أنه يفرس في أشهر « نغلا ونحويلا » (٥) .

كما أن قضبان اللوز والخوخ والمشمش كان من الضروري بلها في ماء شهر طوبة لمدة ثلاثة أيام قبل غرسها ثم تحول بعد ذلك في نفس الشهر (٦) . ولقد تخصصت فئة من التجار الزراعيين في تربية أشجار الفواكة والزهور

(١) المقرئى : نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٢) المواظ ١٣ ص ١٠٣

(٣) نفس المرجع السابق والجزء والصفحة

(٤) المواظ ١٣ ص ١٠٢

(٥) المواظ ١٣ ص ١٠٣

(٦) يقول المقرئى : ويبل اللوز والخوخ والمشمش في ماء طوبة ثلاثة أيام

وهي قضبان ، ثم يفرس ويحول شجرها في طوبة ، المواظ ١٣ ص ١٠٣ .

والراعيين في أحص ، ثم تبيعها بعد ذلك لمن يطلبها من المزارعين أو الفلاحين ، فيقوم هؤلاء بعد شرائها بنقلها إلى الحقول ، وهناك يحفرون لها حفرا ويفرسونها بها إما بأحصا أو بدونها .

ويبدو أن تربية الأشجار في الأحص كانت رائجة في مصر منذ عهد سبقت العهد المماليكي ، فناصري خسرو مثلاً عندما زار مصر في العهد الفاطمي شاهد عددا كبيرا من التجار الزراعيين تخصصوا في هذا العمل فقال :... إذا أراد أحدكم غرس حديقة يستطيع ذلك في أى فصل من فصول السنة ، فإنه يحصل دائما على الشجر الذى يريد فيزرعه مشمرا أو بنير ثمر ، وهناك تجار لذلك يقدمون كل ما يطلب منهم ، فقد زرعوا الأشجار في أحص ووضعوها فوق الأسطح ، وكثير من سفوف بيوتهم حدائق أكثرها مشمر من التارنج والتربج والمان والتفاح والسنجل والورد والريحان والزهر ، فإذا اشترى أحدكم شجرا حمل المحالون الأحص بالشجر بعد شدّها على لوح من خشب ونقلوها إلى حيث يشاء ، ثم يحفر الزراع الأرض لغرس الشجر إما بالأحص أو بعد زعّه منها من غير أن يضار الشجر بهذا .

ثم ينهى ناصري خسرو كلامه عن هذا الموضوع معلّتا عليه بقوله : ولم أر هذا النظام في أى مكان آخر ، كما أنى لم أسمع به ، والحق إنه نظام جميل جدا... (١) . لكنى ، ورغم ذلك ، فإنى أعتقد أن خبرة الفلاح المصرى في العهد المماليكي في غرس وزراعة أشجار الفواكة كانت أقل من خبرة زميله الشامى في هذا الشأن ؛ كما أن نوعيه بعض الفواكه التى زرعّت بأرض مصر كانت أقل جودة من مثيلتها التى زرعّت بأرض الشام ، وما يؤكد ذلك أن مصر كثيرا ما كانت تستورد وتشتد

العديد من فواكه الشام كالنضاح والكثيرى والسفرجل والجهوز والوز  
والخروب (١) ، بل إنها استوردت أيضا أشجار بعض هذه الفواكه من  
الشام (٢) .

ولإزاء ذلك اضطر بعض سلاطين المماليك إلى جلب الماهرة من ذراع الشام  
ليقوموا بأنفسهم ويعرفتهم بفرس أشجار الفواكه التي جلبوها معهم بمصر . وفي  
هذا الشأن يخبرنا المقرئ أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون غرس بستانا  
بمصر ياقوس (٣) ، ونقل إليه سائر الأشجار التي تحمل الفواكه وأحضر معها خولة  
بلاد الشام حتى غرسوها وطعموها الأشجار فأطلع فيه الكرم والسفرجل وسائر  
الفواكه (٤) .

كما أن نفس السلطان أنشأ بستانا آخر في طرف أرض الوقي وأرسل إلى  
دمشق فحمل إليه منها سائر أصناف الشجر ، وأحضر منها خولة الشام والمطعمين  
فغرسوها فيه وطعموها ... ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الأشجار (٥) .

(١) المواقظ ج ٢ ص ٩٢ .

(٢) المواقظ ج ٢ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ابن إياس : بذائع الزهور ج ٤

ص ١٠٢ .

(٣) بلدة كانت تقع على بعد ١٨ كيلومترا شمال القاهرة - أبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٧٩ حاشية ١ .

(٤) المواقظ ج ٢ ص ١٩٩ .

(٥) المواقظ ج ٢ ص ١٩٨ .

والوقى - لنويا - هي الأرض المينة ، وقد أطلق هذا الاسم على الأرض التي  
ينحصر عنها ماء النيل جنوب غرب ساحل القاهرة الذي كان يعرف وقتئذ باسم

المقضى - المواقظ ج ٢ ص ١٧ ، ١١٨ ، ١٩٨ .

وربما يقيم البعض من جملة المقرري الأخيرة أن المصريين تعلموا من الشاميين طرق تطعيم أشجار الفراكه ، لكنى أعتقد أنه قصد بها أن المصريين إزدادوا خبرة فى هذا الشأن على يد الشاميين .

وينبئنا طيينا الجركلمشى فى عطاوطه عن الفلاحة أن التطعيم فى العهد المالىكى كانت له عدة أسماء منهم التركيب ، والإضافة ، والإشابة<sup>(١)</sup> . كما ينبئنا بأن المعلمين الشاميين والمصريين إتبعوا فى هذا الشأن طريقتين ، الأولى التطعيم بالنصن . والثانية التطعيم بالعين أى تطعيم الشجرة بعين من شجرة أخرى<sup>(٢)</sup> .

---

(١) طيينا الجركلمشى : الفلاحة المتخبة ص ١١٥ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١١٧ ، ١١٨ .





## الثروة الحيوانية والسمكية



## الثروة الحيوانية

ثروة مصر الحيوانية في العهد المملوكي تمثل في الحيوانات التي كانت لها أهمية خاصة في حياة المجتمع المصري بمختلف فئاته ، كالحيوانات التي كان يستخدمها في أعماله ، أو التي كان يستخدمها كطية رئيسية في تنقلاته أو في أسفاره ، أو تلك التي كان يقتات بلحومها .

و تأتي الخيول على رأس قائمة هذه الحيوانات ، فقد حظيت باهتمام كبير من الممالك على مختلف مستوياتهم لأنها كانت مطيهم الأساسية في السلم والحرب ، كما اعتاد بعضهم خاصة من كان منهم من جند مغولي أن يأكل لحمها ويدخله في طعامه<sup>(١)</sup> . كما صنعوا من لبنها نوعا من أفضل الألبنة لديهم اسمه القدور ، وهو يبيذ شغفوا بشره إلى حد كبير<sup>(٢)</sup> .

ولهذه الأسباب كلها ، إهتم بعض سلاطين الممالك بتوفير الأعداد الكبيرة من الخيول الجيدة إما عن طريق جلبها بأعداد كبيرة من مواطنها خارج مصر ، أو عن طريق تربيتها والإكثار من سلالاتها الممتازة . كما إهتم متعوا غير العسكريين ورجال السيف من ركوجا أو استخدامهما<sup>(٣)</sup> .

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار ص ٢٠٨ .  
لكن كان يراعى أن لا يذبح من الخيول إلا الأكاديش فقط أي النير أصيلة أو الخيول التي تصاب بأية إصابة تجعلها غير صالحة للقروسية والقتال  
Leon L'Africain : Description De L'Afrique, T. 8. p. 515.

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار ص ٢١٦

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ص ٤١ - السبكي : معيد النعم ومبيد

النعم ص ٤٩ .

و من بين من اشتهر من سلاطين المماليك بجلب الخيول بأعداد كبيرة واقتناء أعداد كبيرة منها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وكذلك السلطان الظاهر برقوق . فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون ترك عند وفاته أربعة آلاف وثمانمائة فرس (١) ، كما ترك السلطان برقوق عند وفاته سبعة آلاف فرس (٢) .

وكان إهتمام السلطان الناصر محمد كبيرا بتربية السلالات الممتازة من الخيول فشيّد حظائر لهذا الغرض في بعض الأماكن كبركة الحاج التي كانت تقع شمال القاهرة (٣) . ففي أرض بركة الحاج هذه أمر بعمل أحواش للخيول والجمال (٤) ، كما أنشأ ديوانا سجلت فيه كافة المعلومات عن كل فرس ، واسم صاحبه ، والتاريخ الذي جلب فيه إل مصر .

واستكثر الناصر محمد من الخيل حتى أصبح في حاجة لتخصيص مكان لتواجها الذي قلده ، فاختر لهذا الغرض مكانا على البر الغربي لخليج القاهرة ، ووضع فيه بحيرة من الحجرة - أي إبات الخيل - وأعد لها من يخدمها ويرعاهما ويشرف شئونها ، وجيز لها كافة ما تحتاج إليه ، فاشتهر هذا المكان باسم ميدان المهارى لهذا السبب . وقد ظل هذا الميدان يقوم بمهمته تلك في تربية الخيول إل أن مات - السلطان الظاهر برقوق عام ٨٠١ هـ فتلاشى أمره بعد ذلك أى في خلال عهد السلطان

(١) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٢) المقرئى : المواظ ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٣) عرف هذا الموضع بهذا الاسم بسبب نزول الحاج به عند ذهابهم للحج

وعند عودتهم منه - المواظ ج ٢ ص ١٦ .

(٤) المقرئى : المواظ ج ٢ ص ١٦٤ .

فرج بن برقوق (١) .

أما فيما يختص بتربية المواشى والأغنام فقد كانت تكثر بصعيد مصر . واشتهر إقليم قوص في صعيد مصر بطيب اللحم الذى يربى به ولذته (٢) .

والأغنام — على وجه الخصوص — كانت تربي بالصعيد وتكثر بدرجة كبيرة حتى أن الكثير من النعاج هناك كانت تلد ثلاث مرات في السنة ، كما أن بعضها كان يلد في المرة الواحدة ثلاثة رؤوس .

ولقد قدر مجموع نتاج النعجة الواحدة في الصعيد في مدى عشرة سنوات بألف وأربعة وعشرين رأساً ، وذلك إذا ولدت النعجة والنعاج التى من نسلها أنثى واحدة فقط في السنة ، ومع افتراض سلامة النتاج كله (٣) .

ولعل من أسباب كثرة المواشى والأغنام بالصعيد كثرة المراعى به ، فعرف أن أرض الصعيد ترتفع كلما اتجهنا جنوباً ، وارتفاعها هذا جعل من الصعب رعاها بسهولة ، خاصة في أقصى جنوب الصعيد ، فتظل بعضها عن الزراعة لهذا السبب سنة بعد أخرى ، فتمت بها الأعشاب بكثرة أصبح من الصعب معها إذاتها منها ، فلم يعد هناك مفر من استغلالها كراع فقط . وبالإضافة إلى ذلك فيبعض أراضي الصعيد من الترع الذى كان يعرف وقتئذ باسم « النقاء » ، وهى أرض ذات طينة سوداء تصلح للزراعة ، لكنها سرعان ما كانت تتحول إلى مراعى وينزر بها

(١) نفس المرجع والجزء ص ١٩٩

(٢) الادفوى : الطالع الصعيد ص ١٢

(٣) المقرئى : المراعظ ج ١ ص ١٩٠ - ابن إياس : شق الأزهار ،

خطوط ، ورقة ١٤٢

الكلاب إذا تعطلت عن الزراعة لاى سبب من الاسباب، فاستغلت بدورها لتربية الخيول والمواشي والأغنام (١).

وبعض هذه المراعى كانت تدخل في نطاق الإقطاعات التي منحت للقطمين ، فاستغلها هؤلاء المقطعون استغلالا تجاريا ، وأباحوا لأصحاب المواشي والأغنام برعى مواشيهم وأغنامهم بها بغير أجر كانوا يقرضونه على كل رأس منها (٢) . والواقع أن المراعى لم تكثر في الصعيد فقط ، وإنما كثرت أيضا في شمال الدلتا خاصة عند بصيرتي البرلس والمزلة حيث كانت تكثر هناك المستنقعات التي تتغلها الجوارتر .

وفي مراعى هذه المنطقة كان يربع نوع من البقر لا يعيش إلا حيث يكون العشب والماء . ويعرف باسم « بقر الخيس » ،

وأبقار الخيس ضخمة ، صفراء اللون ، طويلة الرقاب ، حسنة الصورة ، لها قرون كالأحلة أو كالتقى ، ويغلب على طباعها النفور والتوحش لذلك لم تستخدم في السمل ، وانتفع بالبانها ولحومها فقط (٣) :

ورعاة هذه الأبقار كانوا يقيمون في برارى هذه المنطقة في أشخاص من البوص والبردى وما أشبه ذلك ، وإذا أراد أحدهم حلب بقرة من أبقاره التي

(١) النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧

ك (٢) المواظ ج ١ ص ١٠٧

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج ١ ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، البخداوى : الإفادة والاعتبار ص ١٩ ، المسردى : مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٣ ، الديميرى : حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٢٤٩ .

ترتع هناك دعاها باسمها الذى كان يطلفه عليها والذى عودها على سماعه ، فتأتى إليه على الفور ، فيجمل أولادها ترضع منها أولا لتحن عليها ، ثم يحلبها مسو بعد ذلك (١) .

ويبدو أن هذا النوع من الأبقار الحيسية كان يتكاثر بدرجة كبيرة ، فامتلك بعض الناس الأعداد الكبيرة منها ، وروى أن رجلا من أهل أشموم طناح (٢) كان يمتلك منها عام ٧٠٠ هـ ما يزيد على الألف رأس .

وبالإضافة إلى مراعى السكر بمختلف أنواعها فقد كانت حقول القرط أى البرسيم - ولا تزال إلى اليوم - من أهم وأبرز الأماكن لزربية وتسمين الخيول والمواشى والأغنام ، فنذ ظهور البطن الأول للقرط تربط هذه الحيوانات فى حقوله ، أى تطلق بها لترعى ولتأكل منه ما تشاء .

وعادة تبدأ عملية الربط هذه فى شهر طوبة من كل عام ، (٣) وتستمر حوالى ثلاثة أشهر .

---

(١) النورى : نهاية الأرب ج ١ ص ١٢٢ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٧٩ .

ونخبرنا على مبارك أن بركة البرلس ظلت قائمة للرعى بنفس الصورة التى كانت عليها فى العهد المماليكى حتى عام ١٣٦٠ هـ / ١٨٤٤ م .

(٢) مدينة تقع شرق المتصورة وجنوب دكرنس الحالية - المقربرى : السلوك ج ١ قسم ١ حاشية للدكتور زيادة .

(٣) يقول المقربرى أنه فى شهر طوبة « تربط الخيول والبغال على القرط من أجل ربيعها » - الملاحظ ج ١ ص ٢٧٢ .

وعملية لتسليم الخيول والمراشي والأغنام بهذه الطريقة كانت تعرف في العهد الماليكي باسم الربيع أو الترييع وكانت لها أهميتها الكبيرة في ذلك الوقت ، ومن دلائل ذلك أن السلطان كان يصدر دستورا للأمراء بالتوجه في هذه الفترة إلى إقطاعاتهم لترييع خيولهم (١) ، رغم أنه حسب تقاليد ونظام هذا العهد كان لا يسمح للأمراء بالتوجه أو الإقامة في إقطاعاتهم إلا في أضيق الحدود وفي مناسبات معينة يحددها السلطان ، ويأذن مسبق منه شخصيا (٢) .

ومما يدل أيضا على إهتمام الدولة بتسليم خيول الأمراء أن السلطان كان يمنحهم علقا من السمور في غير زمن الربيع ، أما في فترة الربيع فكان يمنحهم إطلاقات - وهي أراضي بالأعمال الجيزية - لزود القرط لخيولهم من غير خراج كما كانت تمنح للمالك السلطانية مخصصات من البرسيم المزروع على قدر مراتبهم لنفس الغرض (٣) .

وعند اكتمال ترييع التبول يخرج السلطان بنفسه إلى مرابط خيوله ، ليطمئن

(١) من أمثلة ذلك أن السلطان خليل بن قلاوون أصدر أمرا للأمراء عام ٦٩٠ هـ بالتوجه إلى إقطاعاتهم لترييع خيولهم - ابن عبد الظاهر : الانطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية ص ٢٦ .

(٢) السبب في ذلك يرجع إلى تخوف سلاطين الماليك من احتمال قيام الأمراء بتكوين عصابات في مناطق إقطاعاتهم إذا سمح لهم بالإقامة فيها بصفة مستديمة .

✓ (٣) القلشندي : صبح الأعيان ج ٤ ص ٥٤ ، ٥٥ .



بنفسه على أنها قد سمحت وأكلت ما يكفيها من القرط ، وعمد هذه المناسبة من  
المناسبات الهامة فيمنع فيها السلطان على الأمراء بالخيول كل حسب رتبته في  
الإمارة (١) .

وبخلاف القرط فقد كانت بذرة القطن أيضا من الأعلاف الهامة للأغنام .  
ولقد كانت بركة الحاج أحد أمان تربية الأغنام وتسميتها ببذرة القطن في ذلك  
الوقت ، والأغنام التي كانت تطف بها كانت ، تبلغ الغاية في السمن حتى أنه كان  
يدخل بها إلى القاهرة وهي عمولة على العجل لمظم جنتها وثقلها وعجزها عن المشي  
وكان يقال كبش بركاوى نسبة إلى هذه البركة ... (٢) .

ويبدو أن الكباش التي كانت تسمن بهذه الطريقة كان وزنها يزيد إلى درجة  
غير عادية .

ولقد شاهد المقيروى واحد منها فقال عنه : وشاهدت كبشاً من كباش هذه  
البركة وزنت شفته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلاً سوى الإلية ، وبلغنى  
عن كبش أنه وزن ما في بطنه من اللحم خاصة فبلغ أربعين رطلاً ، وكانت  
ألايا الكباش تبلغ الغاية في الكبر ... (٣) .

ويبدو أن بركة الحاج لم تكن الوحيدة من نوعها في تسمين الأغنام ، فقد  
شاركتها في ذلك مناطق أخرى بضره والأغنام التي ربيت وسمت بهذه المناطق  
بلغت هي الأخرى الغاية في السمن ، ومن هذه المناطق منطقة البشمور القريبة من

(١) المواظ ج ٢ ص ٢٠١ ، صبيح الأضفى ج ٢ ص ٥٤ .

(٢) المواظ ج ٢ ص ١٦٤ .

(٣) نفس المرجع السابق والجزء والصفحة .

دمياط والتي قال ياقوت الحموي ، ليس في الدنيا مثلهما عظم وحسنا وعظم الياء ، وذلك أن الكباش لا يستطيع حل البتة فيعمل له حيلة بحمل عليها البتة وتعد تلك العجلة بحبل إلى عنقه فيظل يرعى وهو يمر العجلة التي تحمل البتة وهي الياء فيها طول . . . فإذا نزع العجلة أو انقطعت وسقطت البتة على الأرض ربح الكباش ولم يمكنه القيام لثقلها . . . ولا يوجد هذا النوع من الضأن في موضع آخر من الدنيا .. (١) .

ولقد عرف من بعض السلاطين الاهتمام بتربية الأغنام ومن أبرزهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي ذكر عنه أنه كان يتم باقتناء الأعداد الكبيرة من الأنواع الممتازة من الأغنام والبقر ، وجلبها من البلاد التي كانت تهود تربيتها وتكاثرها بها مثل اليمن والتوبة ومنطقة عذاب الواقعة على البحر الأحمر . وفي كل عام كان يبعث بأمرائه ومهم الممالك لكشف مراحات الأغنام (٢) بالصيد في المنطقة الممتدة من قوص إلى الجزيرة لاختيار وانتقاء الأنواع والسلالات الممتازة منها ، وجلبها في أعداد كبيرة .

وجلب السلطات للناصر محمد بن قلاوون أيضا عددا كبيرا من الأبقار البلق (٣) وشيد لها وللباقى الأغنام والأبقار التي جلبها حوشا بالقلمه خصصه لتربيتها ، وورع لها من يتن بها من الخدام والجواري وبعض الأسرى للنصارى ، فلبثت الأغنام التي تركها بعد موته نحو الثلاثين ألف رأس سوى نتائجها ، فالتى به

(١) أنظر البشور بمسجد البلدان لياقوت الحموي .

(٢) أى مراعيها ، لأن الأغنام عادة ترحل بمراعيها .

(٣) البلق والبلقة هي سواد وياض . يحيط المحيط ، وينها عليه تكون هذه الأبقار التي يتنابوب لوبيا بين السواد والياض .

الأمراء وصارت لهم أغنام عظيمة جدا في عامة أرض مصر فليبيا وبحيريا (١) ويبدو أن الاهتمام بتربية المواشي لم يقتصر فقط على الخيول والأبقار والأغنام بل شملت الخنازير أيضا. والواقع أن تربيتها كان لغرض تجارى محض ، فقد وبأها بعض الناس ليبيعوها للفرنج بأسعار تحقق وبها مجزوا . ولقد كان الأمير ألماس الحاجب في عهد السلطان الناصر عند بن قلاوون واحدا ممن فعلوا ذلك ، ففارس لها مسانينا بناحية بهواش (٢) ، وجلب إليها كثيرا من الخنازير ، وسمنها هناك ، ثم باعها للفرنج مقابلته ببضائعهم (٣) .

---

(١) الملاحظ ٢٠ ص ٢٢٩ ، والسلوك ٢٠ قسم ٢ ص ٥٣١  
ومن أمثلة الأمراء الذين اقتنوا أعدادا كبيرة منها ناظر الجيش في عهد الملك الصالح صلاح الدين صالح ، فقد وجد عند هذا الأمير عندما قبض عليه ألف رأس من الأبقار والأغنام ( ابن إياس : بدائع الزهور ١٠ ص ١٦٨ )  
(٢) قرية بمحافظة الخوفية الآن - المقرئى : السلوك ٢٠ ص ٢٦٦ حاشية .  
• لذكور زيادة .

(٣) المقرئى : السلوك ٢٠ قسم ٢ ص ٢٦٦

## تربية الدواجن وتفریح الفساراج

لاشك أن تربية الدواجن كانت تتركز في الأرياف في دور الفلاحين - كما هو الحال حتى اليوم - حيث تتوفر هناك الظروف الملائمة لتربيتها وتغذيتها .  
والأوز الذي كان يربى في مصر في ذلك الوقت كان يعرف باسم الحبي ، وهو نوع يشبه بكبر الحجم (١) .

أما الحمام فلم تقتصر تربيته على النوع الداجن منه ، بل شملت أيضا أنواعه البرية ، وكانت تبنى له أبراج مستديرة الشكل فيها قواديس فخارية ، فتجذب هذه الأبراج أعدادا كبيرة منه ، وفي داخلها تميش وتبيض وتفرخ وتتكاثر (٢) والجدير بالذكر أن هذه الأبراج مازالت مستخدمة في مصر حتى اليوم لنفس الغرض .

أما البط والدجاج فكان لما رعاة متخصصون في تربيتها ورعايتها كزراعة النعم ويقول ابن النقيع أن البط يدعى بمصر كما تدعى النعم ، (٣) كما ذكر الجاحظ

(١) النوري : نهاية الأوب ج ١٠ ص ٢٣٦

(٢) الشريف : هذا النوع قدس ١٨٢

(٣) ابن النقيع : مختصر كتاب البلدان ص ٦٠

أما البط والأوز البري وغيرها من الطيور البرية الأخرى التي تربيها مصر في مواسم وأوقات معينة من السنة فكان أهل مصر - خاصة أهل المناطق الساحلية الشمالية - يصيدونها بواسطة الشباك . وكان أهل تليس يصيدون المائي وغير ذلك من الطيور على أبواب دورم . - المقرئ : المواعظ ج ١ ص ١٨١  
وكانت تستخدم شباك طولها مائة وعشرون ذراعا لصيد البط البري ، يقوم بها

أيضاً أن الدجاج ، يعرض بمسرحية الفهم والاعراف وقيم<sup>(١)</sup> وأشار ابن دقاق أثناء تاريخه لعام ٨٠٦ هـ إلى هذا النوع من الدجاج الذى كان له دعاه وسعاه الدجاج المرعوى. (٢)

ومن بين الوسائل التى استخدمت في العهد المملوكي للإكثار من الدجاج ، تفريخ بيضه في معامل التناثر أو معامل الفرائج (٣) . ولقد انفردت مصر بهذا العمل ولم يحاكيها فيه أى بلد آخر (٤) .

وعلى التفريخ هذه كانت تتم في أشهر أشهر وبريهات وبرموده (٥) ، وكانت تمر بعدة مراحل ، ويحدثنا عبد الطيف البغدادي باستفاضة عنها فيقول (٦) أن عمل التفريخ عبارة عن ساحة كبيرة تصطف بداخلها بيوت التفريخ ، وهي ما بين عشرة بيوت إلى عشرين بيتاً ، وكل بيت منها يعرف باسم بيت الترقيد ؛ ويتسع لأن بيضه ، ومطين بالطين تماماً لحفظ الحرارة بداخله .

وكل بيت من هذه البيوت على هيئة متوازي مستطيلات ، وله باب صغير

يصلها ستة عشر نفرا ، وكان يصاد بهذه الشبكة أعداد كبيرة من هذا البطل قد يصل عدده أحيانا إلى ثمانمائة بطة - ابن شاهين : زبدة كشف المالك ص ١٢٨

(١) الماحظ . الحيوان ٢٣ ص ٢٢٢

(٢) ابن دقاق : الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين ، مخطوط ، ص ٢٧٦ -

(٣) ابن أبياس : بذائع الزهور ٣ ص ١ ، أبو المحاسن : التجرم الزاهرة

١١٣ ص ٢٩٠

(٤) ابن أبياس : نفس المرجع والمجزم . والصفحة

(٥) القيريزي : الملاحظ ٣ ص ٢٧٢

(٦) عبد الطيف البغدادي : الإفسان والاعتبار ص ١٨ ، ١٩

يكفى لدخوله العامل الذى يباشر عملية التفريخ إلى داخله وخروجه منه . أما سقفه  
فن الخشب المطين بالطين ، ويتليه طاجنان من الطين لوضع الوقود بها .

تبدأ عملية التفريخ بفرض أرضية بدت الترقيد بتبن يملوه حصير ، ثم يرص  
البيض فوق الحصير رصا دقيقا منتظما ، وهذا العمل كان يعرف عند أهل هذه  
الحرقة باسم الترقيد .

ثم قد النيران بعد ذلك بالطاجنين لمدة عشرة أيام متتالية ، فى خلالها يقالب  
العامل البيض بين وقت وآخر ، ثم يبدأ بعدها عملية فرز لتحديد البيض الذى  
أفلق تكون الفروج بداخله . وعملية الفرز هذه كانت تتم بواسطة سراج يوضح  
خلف البيضة لينفذ ضوءه إلى داخلها ، فإن بدت البيضة معتمة سوداء فعنى ذلك  
أنه قد أفلق تكون الفروج بها ، أما إذا بدت شافة فعنى ذلك العكس ، فتسمى  
فى هذه الحالة - أرملة - ويخرجها العامل من بدت الترقيد .

وبعد إتمام عملية الفرز يبعد العامل إيقاد النيران بالطاجنين حتى انتهاء  
اليوم الرابع عشر ، ثم بعدها يطلق النار نهائيا ، ويبقى البيض بداخل بدت الترقيد  
إلى تمام اليوم الخامس عشر .

وفى خلال هذه الأيام الحسة يستمر العامل فى تقليب البيض وتغيير أماكنه  
ليتيح له فرصة متكافئة من الحرارة والرطوبة . وهذا العمل يحاكى ما تفعله الدجاجة  
بالبيض الذى تحتضنه ، فهو أيضا تقليب البيض بمنقارها فى هذه المرحلة وتغيير  
أماكنه بين وقت وآخر .

وفى اليوم العشرين يكون الفروج قد اكتمل خلقه داخل البيضة ، فيسكمر  
قشرتها ويخرج منها بنفسه .

بقى قبل أن نختم كلامنا على ثروة مصر الحيوانية والطيرية في العهد المملوكي أن ننوه بأن الاهتمام بتنمية هذه الثروة لم تكن ضرورة حتمتها لإحتياجات عامة الشعب فقط في طعامه ، وإنما أيضا لإحتياجات الطبقة الحاكمة على وجه الخصوص كالسلاطين والأمراء ، فبؤلاء كانوا يمدون أسحلة هائلة بين وقت وآخر وفي مناسبات عديدة ، وفي هذه الأسحلة كانت تذهب أعداد كبيرة من الخيول والمواشي والأغنام والطيور ، وتقدم للدعويين مع باقى أصناف الطعام الأخرى .

ومن أمثلة هذه الأسحلة سباط حرس الأمير آتوك بن الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٣٠ هـ الذى ذبح فيه من الخيل والجمال والبقر والغنم والأوز والديكاج فوق العشرين ألف رأس (١) ، وكذلك سباط مده السلطان برقوق عام ٧٩٩ هـ قدم فيه عشرين ألف رطل من اللحم ، ومائتى زوج من الأوز والف دجاجة وعشرين فرسا (٢) .

## الثروة السمكية

أمدنا ابن بسام والمقريزى وابن إياس والنويرى والقزوينى وياقوت الحموى وعبد الطيف البغدادي بأسماء العديدين الأسماك التى كانت تعيش فى المياه المصرية (٣) ومن بينها :

- (١) الجزرى : تاريخ الجزرى ، مخطوط ، المجلد الثانى ص ٩٨ ، المقريزى : نحل عبر النحل ص ٩٠ .
- (٢) ابن حجر : إنباء الغمر ، مخطوط ، ج ١ ص ١٣٦ .
- (٣) لصح إلى ابن بسام : الأئیس المجلس فى أخبار تقيس ، مخطوط ، ورقة ١٧٢ - ١٧٣ .

— والمقريزى : المواعظ والأخبار ج ١ ص ٦٧ ، ١٠٨ - ابن إياس : نقش =

البلطي (١)، البني (٢)، أبو زى (٣)، القنار (٤)، الجر (٥)، الحبار (٦)،  
إبراهيم (٧).

== الأسماء في عجائب الأسماك، مخطوط، ورقة ١٦٦ - ١٦٧ أ - القزويني:  
آل البلاد وأخبار العباد ص ١٧٨ - ياقوت الحموي: معجم البلدان - عبد اللطيف  
البغدادي: الإفادة والاعتبار ص ٢٢ - ٢٣.

(٤) عرف هذا السمك بالذيل لأول مرة في عهد الخليفة العزيز بالله بن تار  
بن الخضر لدين الله الفاطمي - المواعظ ١٦ ص ٦٦

(٢) نوع من السمك أبيض اللون، ذنبه أحمر، وزعانفه حمراء، مريع  
النور، ويكبر حتى يبلغ الواحدة منه خمسة أقدام أو عشرة. أمين معلوف:  
معجم الحيوان ص ٢٨، أحمد أمين: قاموس الماديات والتقاليد والتعابير  
المصرية ص ٩٧.

(٣) كان هذا السمك يكثر عند قرية بورة فنسبت إليه وسميت باسمه -  
أمين معلوف: معجم الحيوان ص ١٦٢

(٤) جاء وصفه في محيط المحيط بأنه سمك على قدر الكف، يبيتا عرفه الجاحظ  
بأنه اللحم الذي في جوف الأسماك - الجاحظ: الحيوان ٤ ص ٤٥

(٥) هو السمك الذي يعرف في مصر الآن باسم القرموط - محمد بن عمر  
التونسي: التذوق الذهبية في الألفاظ الذهبية ص ٢٤٩

(٦) سمكة لها ذوائب كالخيط، وإذا صيدت أفرزت سائلا في الماء -  
أمين معلوف: معجم الحيوان ص ٧٩ - ولعله النوع المعروف الآن بمصر باسم  
السيطه.

(٧) سمك يميل إلى الاستدارة أحمر اللون - أمين معلوف: معجم الحيوان



الحساس (٤١)، الرعاد (٤٢)، أم طبق أو اللجاء (٤٣)، الراي (٤٤)، السرطان (٤٥)، سيف الماء (٤٦)، أنكليس (٤٧)، الشرب (٤٨) .

(١) فصيله من صغار السمك رفاق دقاق ألوانها فضية ، يعيش في المياه العذبة وفي البحر المسالح أيضا قرب الشواطئ ، ومن أسماك الصير أو القشوقش - أمين معلوف : معجم الحيوان ، الدميري : حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٢٢٤ .

(٢) سمك عريض قصير مفرطح يميل ظهره إلى السواد بينما بطنه شديدة البياض ، وإذا مسك أحسن ماسكه برعدة في يده ، وإذا سقط في الشبكة ارتعدت يد الصائد - التولسي : الشذور الذهبية ص ٤٦٩ ، ذاوور الأنطاكي : تذكرة أولي الألباب ج ١ ص ٣١ ، ابن ياس : نقش الأزهار ورقة ١٦١ ب .

(٣) تعرف عند العامة باسم الترسه - ابن ياس : نقش الأزهار ورقة ١٦٢ ب (٤) سمك أبيض اللون براق كالفضة ، ، وطرف ذيله أحمر اللون ، وربما بلغ وزن الكبيرة منه ثلاثة أرتال ، طيب الطعم - أمين معلوف : معجم الحيوان ص ٤ ، علي مبارك : الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٦٧ .

(٥) وصفه الدميري في كتابه حياة الحيوان ج ٢ ص ١٩ بأنه حيوان مائي بلا رأس ولا ذنب عينا في كتفيه ، يعيش في الماء والهواء معا ، فله في صدره ، له ثماقي أرجل ، صلب الظهر . وهذا الوصف ينطبق على ما يعرف الآن في مصر باسم (أبو جليبو أو الكابوريا) .

(٦) له أسماء عدة منها أبو سيف ، سياف البحر ، وهو سمك بحري يعيش السيف في شكله وله منقار طويل - أمين معلوف : معجم الحيوان ص ٢٤٢ .

(٧) اسم هذا السمك يوناني معرب ، وهو سمك يعيش في المياه العذبة ، ويعرف في مصر باسم ثعبان الماء - أمين معلوف : معجم الحيوان ص ١١ .

(٨) سمك منحط - المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٠٨

الجلية (١) ، الشال (٢) ، الصير (٣) ، القراخ أو القروس (٤) ، القحج - اج (٥) ،  
القرش (٦) ، القريدس (٧) ، كلب الماء (٨) ، البليس (٩) ، النقط (١٠) .

وهذه الأسماك كانت تصاد من مياه مصر البحرية والنهرية ، وكذلك من  
بحيراتها الداخلية ، وأيضا من البرك التي كانت تتأخم بالقاهرة .

ومن النيل كانت تصاد الأسماك على مدار السنة ، غير أنه في فصل الخريف

(١) سمك كثير اللحم طيب الطعم لاقتصر له - ابن إياس : نقش الأزهار  
ورقة ١٦١ ب .

(٢) سمك في ظهره شوكة صعبة يعطب بها من يمسح بيده - ابن إياس : نقش  
الأزهار ورقة ١٦١ ب

(٣) سمك صغير يعرف بالبساريا - المواعظ ج ٢ ص ١٨٨ ، التوسى :  
الهدود الذهبية ص ٦٧٩

(٤) النهرى منه يعرف باسم القرخ ، أما البحرى منه فيعرف باسم القاروس  
أو القاروس - أمين مطوف : معجم الحيوان ص ٢٠

(٥) سمك شبيه بالمرجان - أمين مطوف : معجم الحيوان ص ١٨١  
(٦) جنس من الأسماك الغضروفية ، كبير الحجم متوحش - أمين مطوف :  
معجم الحيوان ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٧) اسم هذا السمك يوناني معرب ، ويعرف في الاسكندرية باسم وزغوث  
البحر أو الجرجى - أمين مطوف : معجم الحروان ص ٢٢٨

(٨) سمك من فصيلة أسماك الراي - أمين مطوف : معجم الحيوان ص ١٣٠  
(٩) سمك يشبه البروي ، قالتبس أمره على المصريين وظنوا أنه البروي ،  
لذلك أسموه باسم البليس - أمين مطوف : معجم الحيوان ص ١٤٢

(١٠) هو سمك قاروس مرقط - أمين مطوف : معجم الحيوان ص ١٦٢

بالبذات كانت تصاد منه كيات كبيرة (١)، ولاه في شهر قوت أى سبتمبر تكبر  
صنار السمك ، كما أن أنواعا عديدة من الأسماك النيلية تكون قد سميت كثيرا  
في شهر باباه أى أكتوبر (٢)، ولعل ذلك يرجع إلى الغذاء الوفير الذى تكون قد  
تغلت به خلال شهور الفيضان .

ولقد اشتهرت بعض المدن بصيد السمك النيل ، منها مدينة أسوان (٣) ،  
والجنادل الواقعة جنوبيا (٤) ، وكذلك مدينة دمياط (٥) .

ويبدو أن محصول صيد السمك بدمياط كان وفيرا لدرجة كبيرة جعلت ابن  
شامين يقول أنه بدمياط من الأسماك ما لا يوجد في غيره قط (٦) ، ولذلك كانت  
دمياط تصدر من هذا السمك إلى بلاد الشام وبلاد الروم (٧) ، كما أنها كانت  
تمون به الأسواق المصرية طازجا طريا وقدينا (٨) . ولعل توفر السمك بدمياط  
يرجع إلى أنها كانت تصيده من النيل ومن البحر الملح ( أى البحر الأبيض ) في  
نفس الوقت .

وصيد السمك من البحر الملح كان يتركز في أوقات معينة من السنة هي الشتاء

(١) الواضع ج ١ ص ٢٦

(٢) الواضع ج ١ ص ٢٧٠

(٣) ابن الوردى : فريدة السحاب وفريدة الغرائب ص ٢٤

(٤) التويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٤٦٨

(٥) الواضع ج ١ ص ١٠٨ ، التويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٤

(٦) ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ٢٥

(٧) ابن بطوطه : تحفة النظار في غرائب الأمصار ج ١ ص ١٧

(٨) ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ٢٥

وأول الربيع ، فيحمل منه في هذين الفصلين سمك كثير إلى القسطنطينية (١) .  
أما بحيرات مصر التي كان يصاد منها السمك فمن أهمها بحيرة لسترو (٢) ،  
وبحيرة تليس (٣) وبحيرة الاسكندرية (٤) ، وبحيرة الفيوم .

وتتميز بحيرة الفيوم بظاهرة افتردت بها ، وهي أنه كان يكثر صيد السمك  
بها وقت انخفاض النيل ، بينما كان يقل بها وقت فيضانه ، وسبب ذلك يرجع إلى  
أن النيل يمد هذه البحيرة بكميات كبيرة من المياه في فترة فيضانه ، فيرتفع  
منسوب مياهها خلالها هذه الفترة ، فيختنق سمكها عندئذ في أرجائها المتسعة وفي  
أعماق مياهها الوفيرة ، ويصبح صيده قليلا تبعا لذلك . لكن في وقت التناحيق  
تنخفض المياه في هذه البحيرة فيسهل صيد سمكها عندئذ بكميات كبيرة (٥) .

#### (١) المواقظ ج ١ ص ٣٤٠

(٢) هي بحيرة البرلس حاليا - المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٢٢٩ حاشية ٢  
(٣) هي بحيرة المنزلة حاليا - وكانت تعرف وقتئذ بإسم بحيرة تليس لسبب  
لبدة تليس التي كانت قائمة بحيرة داخل هذه البحيرة - أبو الحسن : النجوم  
الزاهرة ج ٨ ص ٢١٨ حاشية ٣

(٤) هذه البحيرة سماها المقرئى بحيرة الاسكندرية ، بينما سماها القلقشندي  
بحيرة بوقير ، وحدد موقعها بين رشيد والاسكندرية .

غير أن هذه البحيرة لم تلبث أن جفت لاسداد الفتحه التي كانت تصلها  
بالبحر الأبيض وامتنع ما كان يصاد بها من سمك تبعا لذلك - المواقظ ج ١  
ص ١٠٨ ، صبح الأعين ج ٣ ص ٢٠٢ .

(٥) الصفيدي : تاريخ الفيوم وبلاده ص ١٠٢ .

ولقد تعددت وسائل وأدوات حيد السمك ، ومن بينها الصنارة (١) ،  
والشبكة (٢) .

وهناك ما يدل على أن بعض الشباك كانت تفرس في مجارى الأنهار والأزح في  
أوقات معينة . ولقد اتبعت هذه الطريقة منذ عهد قسطنطين المقدونى ، ويؤكد  
ذلك قول المؤرخ أن ابن المدبر (٣) أنها ديارا للصايد ، وأنه فرض ضرائب  
على مصاربه الأوتار ومفارس الشباك ، (٤) .

وتنصب أو تفرس الشباك غالباً ما يكون في أواخر فترة الفيضان عندما يبدأ  
النيل في الانخفاض ، ففي هذه الفترة تكون عيون القناطر وأفواه الأزح التي تمد  
الحقول بالمياه قد سدت بعد أن تكون الحقول قد حصلت على كفايتها من ماء  
الفيضان ، فتبدأ هذه المياه في الإسحاب منها وهي عملة بأعداد كبيرة من  
الأسماك ، فتضع أعداد كبيرة منها في الشباك التي تكون قد فرست وقتئذ في  
طريق هذا الماء المتسحب ، وعندئذ يخرجونه منها ويضعونه على فخاخ (٥) ، ثم

(١) الفيلقندى : صبح الأعشى ٢٥ ص ١٤٦

(٢) نفس المرجع السابق ٢٥ ص ١٤٥

(٣) تولى خراج مصر عام ٢٤٨ هـ ، وظل يشغل هذا المنصب إلى أن اتزعه  
عنه أحمد بن طولون — الملاحظ ١٥ ص ٢١٤

(٤) الملاحظ ١٥ ص ١٠٨

(٥) النخ بساط طويل طوله أكبر من عرضه ، لكن هذا الاسم شاع لإطلاقه  
في مصر على الحصيد الذي يتخذ من البردى ونحوه — التورى : نهاية الأرب ٨٣  
ص ٢٦٢ حاشية ٦

يُلقَوه ويضمونه في أمطار (١) . وغالبا ما يكون هذا السمك صغيرا في طول  
الإصبع من أنواع متعددة كالراي والبنى والشال (٢) .

ومن بين الشباك التي حكاك تستخدم لصيد السمك في ذاك الوقت شبكة  
وصفها ابن منكل بقوله أنها « شبكة طويلة طولها مائتي ذراع ، وهي لا يعمل بها  
إلا جماعة من الناس ، ويكون لها مركب لطيف يدور حولها ، وهذه لا ترى  
إلا مرة واحدة أو مرتين لا شهر » (٣)

وكذلك شبكة أخرى كهيئة الكيس لها خرطوم طويل ، يكون طولها  
مئرون ذراعا وأكثر ، وتعمل في مجرى الماء ، (٤)

وشبكة ثالثة تعرف باسم « الحازوقة » طولها سبعون ذراعا تصلح للبحر ، (٥)  
وشبكة رابعة ذكرها ابن منكل باسم « الغرافة » لأن الصائد ينفذ بها  
السمك من الماء عندما يلده (٦) . أما الشريين فقد ذكرها باسم الطارة (٧) .

ولقد استخدمت أدوات أخرى لصيد السمك منها « المقلان » ، وهو حود  
طويل طوله خمسة أذرع أو أكثر في رأسه شمس يطن به الصائد السمكة عندما

(١) الأمطار أو أواني فناريه

(٢) نهاية الأرب ٨ ص ٢٦٢ ، الموطأ ١ ص ١٠٥

(٣) محمد بن منكل : أسن الملا بوحش القلا ، مخطوط ، ورقة ١٧٩ .

(٤) محمد بن منكل : أسن الملا بوحش القلا ورقة ١٧٩

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٦) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٧) الشريين : هو القحوف ص ٥٦

يُضْرَبُ مِنْهَا (١).

ومنها أيضا د الرهار ، وهي سلة طويلة من العيدان الدقاق يصاد بها في الماء الراكد فقط ، رأسها مفتوح بفتحة مستديرة متسعة ، بينما مؤخرها مفتوح بفتحة صغيرة لا تسمح إلا بدخول يد الصائد فقط . وعند الصيد بها يمسكها الصائد ويمشي بها في الماء يهدوء جاهلا رأسها المفتوح مغمورا في الماء ، فإذا اقترب من السمك القاما عليه فيحبسه بداخلها ، وعندئذ يخرجه من الفتحة الصغيرة العليا بيده بمقبضان صغير قصير (٢) .

---

(١) محمد بن منكل : أنس الملائب وحش القلاوذة ٨٠ ب

(٢) أنس المرجع السابق والمفصلة .





الصناعات



لاشك أن صناعات مصر في العهد المماليكي كانت من أبرز معالم حضارتها في عهدها المهد وأكثرها تألقا ، وهذه حقيقة تؤكد لنا روايات المؤرخين والرحالة بالمصريين الذين شاهدوا هذه الصناعات وكتبوا عنها ، وكذلك الأمثلة العديدة الزائفة الباقية حتى اليوم منها والتي لفناها معا معروحة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة وكذلك في العديد من المتاحف الدولية الكبرى .

والواقع أن مصر في هذا العهد كانت تعتبر أحد المراكز الرئيسية للصناعات الإسلامية في العالم الإسلامي ، ولعل ذلك يرجع إلى العوامل الآتية :

١ - توفر الخبرات والكفاءات والمهارات الصناعية في مصر ، وهي خبرات ومهارات ورثها الأبناء عن الآباء والأجداد من شيوخ الحرف والصناعات عبر الأجيال المتعاقبة ، خصوصا وأن مصر كانت مهدا للعديد من الصناعات منذ العهود الفرعونية .

٢ - توفر العديد من الخامات التي تلزم للصناعات في مصر كقصص السكر والقطن والكتان والصوف والجلود والأخشاب والرخام والحاجر .

كما أتيج لمصر - بما كان لها من مركز تجارى هام في التجارة الدولية في ذلك الوقت - أن تستورد من الخارج باقي المواد الخام الغير متوفرة لديها كالحديد والنحاس والأخشاب الجيدة والمواد الأخرى التي كانت تلزم لصناعاتها .

٣ - التنافس الدائم المستمر على السلطة الذي كان ناشبا بين أمراء المماليك دفعهم إلى التنافس مع بعضهم البعض أيضا في الأخذ بمظاهر الفخامة والمظلة ، فتنافسوا في تشييد القصور الفخمة ، وفي فرشها وتزيينها بأفخر الأثاث والرياش والستور والبسط ، كما تنافسوا في اقتناء النادر من التحف والأدوات ، وفي لبس

للقاخر من الثياب . ولقد ساعدتهم ثرواتهم الطائلة على أن يفعلوا ذلك (١) ، فراجت الصناعات في هذا المهدروا لم تحظ به من قبل في أي عهد من العهود التي سبقتها ، وانتشج حال الصناع إلى حد كبير وزادت أرباحهم ، فأقبلوا على تطوير صناعاتهم وتحسينها وإدخال كل طريف وجديد عليها .

٤ - التشجيع الذي لاقاه الصناع من المالك أغرى عددا من أساتذة الصناعات في بعض الاقطار الإسلامية الأخرى على الهجرة إلى مصر والاستقرار بها (٢) .

(١) نستطيع أن نستدل على المدى الهائل الذي بلغته ثروات بعض الأمراء ، وما حوته ثرواتهم من منتجات صناعية فاخرة بما ذكره المؤرخون عن بعضهم ، ومن أمثلتهم الأمير قوصون الذي هجم العامة على قصره ونهبوا ما به ، فكان من بين ما نهبوه الذهب المكس والفضة كان يتيف على أربع مائة ألف دينار ، وأما الزركش والحوايس والمصبات ما بين خواتم وأطباق فضة وذهب فإنه فوق المائة ألف دينار ، والبلور والماغ المعمول برسم النساء فإنه لا يحصر ، وكان هناك ثلاثة أكياس أطلس فيها جوهر ... ثمنه نحو المائة ألف دينار . وكان في حاصلة عدة مائة وخمسين زوج بسط منها ما طوله من أربعين ذراعا إلى ثلاثين ذراعا عمل البلاد ، وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درم نقرة ، منها أربعة أزواج بسط من حرير . وكان من جملة الخام نوبة غم جميعها أطلس معدني قصب ... وانحط سعر الذهب بديار مصر عتيب هذه الجهة من دار قوصون حتى بيع المثقال بأحد عشر درهما لسكنته في أيدي الناس بعد ما كان سعر المثقال عشرين درهما . - المواظ ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) من أمثلتهم غيبي التوربزي الإيراني الأصل ، وأحد أساتذة صناعة الخزف في ذلك الوقت - زكي حسن : فنون الاسلام ص ٣٢٢

٥- كما أن الزعامة السياسية والعسكرية التي كانت تغطيها مصر وقتئذ بين دول العالم الإسلامي جعلتها ملجأ ومهجراً لعدد آخر من صنّاع هذه الدول وذلك عندما تعرضت بلادهم للغزو الخارجي (١) .

ولاشك أن هؤلاء الصناع الذين قدموا إلى مصر من الأقطار الإسلامية الأخرى أسهموا في تطوير صناعاتها ، وأدخلوا عليها أساليب فنية جديدة مرجوها بالأساليب الفنية المحلية ، فأصبح هناك تنوع ونصب وغنى في الإنتاج الصناعي المصري المائليكي :

وكنيجة لذلك كله أصبحت مصر - كما قلت من قبل - من أبرز المراكز الصناعية الرئيسية في العالم الإسلامي . وذاعت شهرتها الصناعية بين الدول الإسلامية الأخرى فبعث حكامها يطلبون صناعاتها ، ولم تغفل مصر بهم عليهم . ويغبرنا القلقشندى بأن اليمن كانت من بين البلاد التي استجلبتهم واعتمدت عليهم في صناعاتها (٢) .

ولقد ظلت مصر تحتل مركزها المرموق في مجال الصناعات الإسلامية إلى أن أسقط السلطان سليم دولة المماليك ودخل مصر ، فتبدلت أصيبت صناعاتها بتلكسة خطيرة على يده . والسبب في ذلك يرجع إلى أنه جمع عددا ضخما من مهرة

---

(١) من أمثلتهم صنّاع الكفت في الموصل الذين فروا منها عندما تعرضت لخطر الغزو المغولي واستقروا في الشام ومصر ، وهناك استأنفوا ممارستهم لصنعتهم فتلبذ عل يدم في هذا الفن الصناعي بمجموعة من الصناع المصريين - ذكي حسن : فنون الإسلام ص ٥٤٤ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦ .

صناعها ونظامها بالقوة إلى الأستانة لكي يقيموا له في بلدته مهضة صناعية (١) ،  
فكان من نتيجة ذلك أن ترقعت خمسين صنعة في القاهرة كما يقول ابن إياس (٢) :

## عرض لأهم الصناعات

### صناعة عمل القصب

كان قصب السكر - ولا يزال إلى اليوم - من المحاصيل الزراعية الرئيسية في  
مصر ، ولقد بدأت زراعتة بأرض الصعيد على وجه الخصوص فزدهت به  
هناك آلاف من الأفدنة .

ومن البلاد التي اشتهرت بزراعتة بهجورة (٣) ، وكذلك ملوى . وفي عهد  
السلطان الناصر محمد بن قلاوون كان ملوى مزروعون يعرفون بأولاد فضيل  
يزرعون بأرضها في كل عام ألفا وخمسمائة فدان من القصب (٤) .  
ونتيجة لوفرة محصول قصب السكر قامت عليه صناعتان مهمتان هما صناعة  
عمل القصب وصناعة السكر .

ولقد أقيمت لصناعة عمل القصب العديد من المعاصر لمصر القصب في العديد  
من مدن الوجهين البحري والقبلي (٥) ، كما شيدت المصانع الجديدة لتحويل هذا  
المحصول إلى عمل .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١١٦ - ١١٩

(٢) نفس المرجع السابق والجزء من ١٣٣

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ص ٧٩٧

(٤) المواظ ١٤ ص ٢٠٤ ، السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٤٣١

(٥) ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ٢٨ ، ابن بسام : الإيثار المجلس  
ورقة ٧١ ب . ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ورقة ٢٤ أ .

ولقد أمدنا النورى بوصف كامل لخطوات صناعة عمل القصب في هذا  
الهد (٢)، كما أعطانا وصفا دقيقا لأقسام مصنع عمل القصب . ومن كلامه نعرف  
أن مصنع عمل القصب في الهد المالىكى كان ينقسم إلى أربعة أقسام رئيسية - القسم  
الأول اسمه دار القصب ، وللقسم الثانى اسمه بيت التوب ، وللقسم الثالث اسمه  
بيت الصب ، وللقسم الرابع اسمه بيت الدفن .

في القسم الأول من المصنع - أى دار القصب - تنظف عيدان القصب وتوزع  
أطرافها العليا ، وتقطع إلى قطع صغيرة .

تنقل قطع القصب إلى القسم الثانى - أى بيت التوب - وفى هذا القسم يتم  
عصرها بواسطة مصمرتين على التوالى . المصرة الأولى حجرية ، والمصرة  
الثانية خشبية .

يجمع المصير المتحصل من المصمرتين ويصفى ثلاث مرات ، وينزل غليظاها  
شديدا إلى أن يتحول بعدها إلى سائل يعرف باسم الحلب .

ينقل الحلب إلى القسم الثالث من أقسام المصنع - وهو بيت الصب - وهناك  
يصب في أباليج ، وهى أفاع فخارية خيطة الأسافل مقسمة الأعلى ، فتغذ من  
سائم الأباليج حضارة رقيقة . وهذه الحضارة هى أول نوع من أنواع عمل  
القصب وأبقاها وكان يعرف باسم العمل التظن .

تنقل الأباليج بعد ذلك إلى القسم الرابع من أقسام المصنع . - وهو بيت

الدفن - وهناك تطلق فوق قواديس وترك ليقطر من مسامها ثاقى نوع من أعسال القصب ، وهو الذى كان يعرف بإسم المرسل .

ولم يكن العسل القطر والعسل المرسل هما كل ما كان يستخرج من القصب من أعسال ، فن أطراف القصب كان يستخرج نوع ثالث من العسل اسمه الحر . كما كان يستخرج أيضا من قطع القصب التى تنفصل من العيدان عند تنظيفها نوع رابع من إسمه عسل الحمايه . وهذا النوع الأخير كان أردأ أنواع عسل القصب (١) .

## صناعة السكر

صنعت مصر فى عهد المماليك كيات كبيرة من السكر ، ونتاجها منه وقتئذ كان يكفى احتياجات عامة الناس ، كما كان يكفى أيضا احتياجات السلاطين والأمراء رغم أن استهلاك هؤلاء منه كان استهلاكاً ضخماً ، وخاصة فى شهر رمضان وفى بعض المناسبات .

ومن أمثلة ذلك أنه استهلك منه فى حفل زواج الأمير آتوك بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ثمانية عشر ألف قنطار (٢) . كما بلغ مقدار ما استهلك منه فى حفل زفاف إبنته نفس السلطان إحدى عشرة ألف أبلوجة (٣) .

وكان من المعتاد صرف مربيات من السكر والحلوى للخواص من الأمراء

(١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٧ - ٢٧١

(٢) المقرئى : نحل عبر النحل ص ١٠

(٣) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٢٢٨



كل حسب مرتبته ، ولقد بلغت كمية السكر التي كانت تصرف في شهر رمضان في كل عام ألف قطار ، ثم زادت هذه الكمية حتى بلغت في رمضان عام ١٨٤٥ هـ ثلاثة آلاف قطار (١) . كما كان يعمل في هذا الشهر لحساب الدور السلطانية ستون ألف قطار من الحلوى .

ومن الأدلة أيضا على انتاج مصر الجضم من السكر أن السلطان الأشرف شعبان عندما خرج للحج عام ٧٧٨ هـ كانت معه ٥ ثلاثون ألف طبة حلوى يزن ما في كل طبة ستة أرطال ، فيكون ذلك مائة ألف وثمانين ألف جميعا قد علمت من السكر التي ... وعمل الأمراء مثل ذلك ، وأما الأجناد والأعيان فلم ينحصر ما علموه من هذا الصنف (٢) .

ويعلق المقرئ على ذلك فيقول : فانظر عظمة بلد يعمل فيه السلطان وأمراؤه في شهر واحد ثلاثمائة ألف رطل وستين ألف رطل من السكر ولم يزد مع هذا وجود السكر ولا غلا سمره ، فقد أدركنا هذا وطننا صحتنا (٣) .

وربما يظن أن السكر كان متوفرا لدى السلاطين والأمراء فقط ، لكن وصف المقرئ لسوق الحلويين بالقاهرة يعطينا فكرة عن مدى توفر السكر في الأسواق لاستهلاك عامة الناس ، وعن مدى رخص ثمنه ، وعن الأنواع العديدة من الحلوى التي كانت تصنع منه وتعرض للبيع ، فقد قال عن هذا السوق أنه «معد لبيع ما يتخذ من السكر حلوى ، وإنما يعرف اليوم حلاوة متنوعة ، وكان من

(١) المقرئ : المراجعة ٢ ص ٥

(٢) المقرئ : السلوك ، مخطوط ، مجلد ٨ ورقة ٩٥ ب

(٣) نفس المرجع السابق والمجلد والورقة .

أصبح الاسواق لما يشاهد في الجوانيت التي بها من الاواني والآلات النحاس الثقيلة  
الوزن البديعة الصنعة ذات الفخ الكبيرة ، ومن الحلاوات المصنعة عدة ألوان  
وتسمى الجمجمة . وشاهدت هذا السوق السكر ينادى عليه كل قطار بمائة  
وسبعين درهما ، (١) .

وسكر مصر كان على درجة كبيرة من الجودة حتى ذاعت شهرته على شجرة  
السكر الذي كان يصنع في إقليم الاهواز (٢) ، فعملته القوافل من مصر إلى بلاد  
عديدة حتى أنه لم يخل منه بلد إسلامي ولا جاهلي (٣) .

ومن الأدلة التي تثبت شهرة سكر مصر وأنه كان يصدر إلى بلاد عديدة  
ماروى من أن هولاء عندما زحف بجيشه لاحتلال العراق عام ٦٥٠ هـ صادف  
في طريقه قافلة كانت في طريقها إلى بغداد ، فنهب ما كان معها من مال ومتاع ،  
وكان من بينها ستائة حل سكر من عمل مصر (٤) .

ويبدو أن السلطان سليم العثماني كان شغوقا بسكر مصر ، والذي يحملنا على  
هذا الظن أنه بعث إلى السلطان النوروى عام ٩٢٢ هـ يطلب منه كميات من سكر  
وحلوى مصر ، فبعث له النوروى هدية مقدارها مائة قطار سكر وحلوى في  
طلب كبار (٥) .

وبعد أن فتح العثمانيون مصر بعث والى مصر من قبل العثمانيين إلى السلطان

(١) المقرئى : الملاحظ ج ٢ ص ٩٩

(٢) القلقشندى : صبح الأمان ج ١ ص ٢٧٢

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٨٢

(٥) ابن رياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٠

سليم هدية حاقة اشتملت على الكثير من خيرات مصر ، كان من بينها أربع مائة  
قطار سكر هذا خلاف الحوى والرني (١) :

ولقد أقيمت بمصر في العهد المملوكي العديد من مصانع السكر التي كان يقسم  
وقتئذ باسم مطايخ أو مسابك السكر .

واشتهرت بلاد عديدة بصناعتها من بينها سمسطا (٢) ، والبينا (٣) ،  
وأسيوط (٤) ، وأبند (٥) ، ودمياط (٦) ، أما قط فكان فيها وحدها أربع مائة  
مسبك السكر (٧) ، وبلغ من شهرة السكر الذي كان يصنع فيها أن أصبح كل  
سكر جيد ينسب إليها ويسمى ففلى بصرف النظر عما إذا كان قد صنع فيها أم  
في غيرها من البلاد (٨) .

وفي التسطاط كانت توجد أعداد كبيرة من مصانع السكر (٩) ، كما كانت

- (١) نفس المرجع السابق والجزء ص ١٦٨
- (٢) قرية بالصعيد بالقيم البهنسى على الشاطئ الشرقي النيل . ياقوت الحموي :  
معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٨
- (٣) المراعظ ١٣ ص ٢٠٣
- (٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢
- (٥) نفس المرجع السابق
- (٦) ابن شاهين : زبدة كلف الممالك ص ٣٥
- (٧) المراعظ ١٣ ص ٢٣٠
- (٨) ابن الحاج : المدخل ٢٣ ص ١١١
- (٩) ذكر ابن دقاق في كتابه الإتيصار بواسطة عقد الإحصاء ج ٤ ص ١٧  
اسم ٨٨ مطبخا من مطايخ السكر كانت تقوم في التسطاط .

تقوم بها مطابخ السكر السلطانية وهي سبعة مطابخ - أي مصانع - تجاور بعضها البعض في صف واحد (١)، كما كانت تقوم فيها دار كبيرة القند يجمع فيها القند الذي يرسل إليها من مصانع السل من شتى أنحاء القطر ليكرر في مصانعها ويحول إلى سكر (٢).

وصناعة السكر تعتبر مكلة لصناعة عمل القصب ، لذلك كان يراعى في أغلب الأحيان أن تقام مصانع السكر مع مصانع عمل القصب في مبنى واحد . وهذه الصناعة تبدأ من حيث تنتهى آخر مرحلة من مراحل صناعة عمل القصب ، أي تبدأ منذ لحظة وضع الحطب في الأباليج ، ففي الوقت الذي يفصل فيه السل القطر ثم السل المرسل من الحطب يبدأ الحطب في نفس الوقت في التجمد داخل الأباليج ويتحول إلى قند، والقند هو أول نوع من أنواع السكر التي كانت تصنع وقتئذ وأقلها جودة ، لأنه لم يناله التكرير ، ولذلك كان أحر اللون .

وعملية تكرير السكر كانت تتم بإعادة طبخ القند على النار عدة مرات، وبعد كل مرة يوضع في أفاع ليجمد فيها بينما تنفصل الشوائب العالقة به وتسيل من تقرب بأسفل الأفاع ، فيصبح السكر المتحصل من القند أكثر نقاء من قبل (٣).

والسكر المكرر الذي، كانت تنتجه مصانع مصر وقتئذ كان متعدد الأنواع ، وكل نوع منها له اسم يعرف به ، ومنها المكرر، والتبيخ، والوسيط، والنبات (٤).

(١) ابن دقاق : الإتيصار بواسطة عقد الأمصار ج ٤ ص ٤١ ، المواظ

٢٣ ص ٣١ .

(٢) القرطبي : المواظ ج ٢ ص ٣١ .

(٣) داود الأسطكي : تذكرة أولي الأباليب ج ١ ص ٢٨١

(٤) صبح الأعشى ج ٢ ص ٣٠٩

ومن أجود أنواع السكر التي كانت تصنع في ذلك الوقت ، نوع صلب على درجة عالية من النقاء واليباض الناصع (س) الطبرزد (١) ، وهو عبارة عن سكر مكرر كان يعاد طبخه مع لبن حليب وماء ثم يترك ليصف (٢) .

## صناعة الزيت

صنع الزيت في العهد المملوكي كانوا يعرفون باسم المصريين (٣) ، ولقد صنع هؤلاء المصريون أنواعا عديدة من الزيت ، بعضها كان يستخدم في الطعام ، والبعض الآخر منها كان يستخدم في الإضاءة (٤) .

ولقد استخرج هذا الزيت من أنواع عديدة من الثمار والبذور كالزيتون

(١) أبو منى الططار : منهاج الدكان ودستور الأحيان ص ١٣٥ ، داود الانطاكي : تذكرة أول الألباب ١٣ ص ٢٨١

وكلة الطبرزد عربية من الكلمة الفارسية تبرزد ، وتبر بالفارسية معناها فأس ، أما زرد أو زردفتمناها الضرب ، فكأنما قصدوا أن هذا السكر قد نحت بالنفس لصلابته - ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج ٣ ص ٩٧ ، الجواليقي : المغرب من الكلام الأعجمي ص ١٢٨ ، التويري : غمسية الأرب ١١٣ ص ٩٧ حاشية ٨

(٢) الغزي : جامع فرائد الملاحه ، مخطوطه ، ورقة ٧٢

(٣) ابن أبي راس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٨٣

(٤) كان الزيت يستخدم - بالإضافة إلى الشمع - بكميات كبيرة في الإضاءة ، وكان زيت الزيتون يستخدم لهذا الغرض ، فإذا قصير وجوده أو ارتفع ثمنه كان الزيت الحار يستخدم بدلا منه في الإضاءة . عبد الحفيظ : وثيقة أمير أخور . ص ٢٤٤ حاشية ٨١ .

والنمسم والقرطم (١) ، وبذر السكتان (٢) ، وبذر الفجل (٣) ، وبذر الحن (٤) ،  
وبذر الفت .

والزيت المستخرج من بذور الفجل والفت والسكتان كان يعرف بالزيت  
الحار ، وكان يستخدم للإضاءة (٥) ، هذا إلى جانب أنه كان يستخدم أحيانا في  
قل بعض الاطعمة كالسمك (٦) .

ورغم أن الفلقسندى قال أنه لا يصنع من الزيتون زيت البتة (٧) ، إلا أنى  
أعتقد أنه كانت تصنع كييات من زيت الزيتون ، ودليلنا على ذلك أن ليون

(١) القرطم هو حب نبات المصفر - داود الأبطاكي : تذكرة أول الألباب  
٢٣ ص ٨ .

(٢) ابن الحاج : المدخل ٣٣ ص ٨٢ .

(٣) كانت مدينة سخا من بين المدن التي صنعت الزيت من بذر الفجل -  
المواظ ١ ص ١٦٣ .

(٤) ابن إسام : نهاية الزية ، مخطوط ، ورقة ٢٥ ، وكانت مدينة قنط  
إحدى المدن التي يصنع فيها زيت الحس - القرى : جنى الأزهار في الريح  
المطار ، مخطوط ، ورقة ١١٠ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٦١ ، ٦٥ غير أن بعض المحققين في  
العهد المالىكى كانوا يبنون أصحاب الدكاكين والباعة من إشمال سروجهم ليلا  
بالزيت الحار لما كان ينفثه هذا الزيت من دخان كثير يضر بصحة الناس -  
القرى : السلوك ٢ ص ١٥ .

(٦) ابن الحاج : المدخل ٣٣ ص ٨٢ .

(٧) صبح الأضى ٣ ص ٣٠٨ .

الإفريق الذي زار مصر ذكر زيت الزيتون من بين مصنوعاتنا ونقش<sup>(١)</sup> ،  
لكن رغم ذلك فأغلب الظن أن الكميات التي كانت تصنع منه كانت قليلة  
محدودة وذلك بناءً على من قلة محصول الزيتون الذي كان لا يزرع إلا في مناطق  
محدودة قليلة فقط ومنها منطقة الفيوم<sup>(٢)</sup> .

أما السيرج أو زيت السمسم فكان يصنع بكميات كبيرة لوفرة ما كانت  
تنتجه أرض مصر من محصول السمسم ، وأيضاً لأن الضرورة كانت تدعو إلى  
ذلك فالسيرج كان يدخل في صناعة كثير من حلوى وطبايع وأطعمة هذا  
المعد<sup>(٣)</sup> .

وصناعة السيرج كانت تبدأ بفصل السمسم ، ثم يحمص بعد ذلك ، وبعد  
تحميصه يدق حتى تنفصل قشرته عنه ، ثم يطحن بعد ذلك<sup>(٤)</sup> . وبعد طحنه  
يوضع في سماجن حيث يقوم عدة رجال بسجنه بالدهس بالأرجل لاستخلاص  
الزيت منه . وكان يشترط على الرجال الذين يقومون بهذه المهمة أن يفضلوا واحد  
منهم أرجله ويحكها بالحكمة قبل دخوله إلى داخل المصين ، وأن تكون يماه  
ضيقة الأكمام لاحتمال أن يمرق فيقطر من عرقه شيء ، وأن يكون ملثماً لاحتمال

---

(١) Léon L'Africain : Description De L'AFrique, huitiem partie, p 531

(٢) السيرطى : حسن المحاضرة ص ١٧٦ .

(٣) أرجع إلى مخطوط وصلة الحبيب في وصف الطبايع والعلاب ومخطوط  
كز الفوائد في تنويع الموائد ولاحظ كثرة استخدام السيرج في طبائع وحلى  
هذا المعد .

(٤) ابن الأخرى : معالم القربة في أحكام الحسية ص ٢٢٧ .

أن يقع شيء من لهابة في عجيبة السرج أثناء كلامه (١) .

## طحن الغلال وصناعة الخبز

### ١ - المطاحن

المطاحن التي كانت تستخدم في العهد المملوكي لطحن الغلال كانت نوعين : مطاحن عامة ، ومطاحن خاصة : والمطاحن الخاصة هي المطاحن التي كان يمتلكها المومنون والأغنياء في بيوتهم لطحن غلالهم ، وهي طواحين صغيرة يديرها صبيديم وجواريم (٢) .

كما كان من عادة أهل القرى أن يشتركوا مع بعضهم البعض في تكاليف إقامة طاحون يخصهم جميعا ، وهذا الطاحون كان يقام في دار واحد منهم أو في مكان ما من القرية يتفقون عليه . وكنيجة لمساهمتهم جميعا في تكاليف إقامة هذا الطاحون كان لكل واحد منهم الحق في استخدامه بدون مقابل لطحن غلاله ، وإن كان عند الرجل منهم طحين يأخذ ثورة ويطلقه ويطلق عليه ... ، (٣) ، وهذا النوع من المطاحن كان يعتبر أيضا في حكم المطاحن الخاصة .

أما المطاحن العامة فهي المطاحن التي كان يمتلكها طحانون عتقون مهنتهم طحن الغلال لمن يرغب من الناس نظير أجر ، وغالبا ما تواجد هذا النوع في المدن خاصة في شمال الوجه البحري (٤) .

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٢) ابن الحاج : المدخل ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) الشريفي : هنر الصوف ص ١٦١ .

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة .



ونظرا للمركز التجارى والصناعى الهام الذى كانت تشع به القسقاط لذلك  
قدرة أقيم فيها عدد كبير من طواحين الغلال ، وبما يذكر أنه كان بها خط كامل  
الطباخين به صفان من طواحين متلاصقة بجوار بعضها البعض حتى أن المماربين  
هذين الصنفين كان لا يسمع حديث رفيقه لقوة دوى الطواحين أثناء دوراتها (١)  
وكان السلطان طواحين سلطانية تقيم ، وهذه الطواحين كانت تقوم في  
منطقة الصناعة بمصر (٢) ، وقدر عددها بمشرة طواحين . وكان يخرج منها في  
كل يوم نحو خمسين تليسا من الدقيق (٣) .

والطواحين العامة كان أغلبها يدار بالخيول (٤) ، غير أن الحكومة كانت  
تشدد في أن لا تترك خيول هذه الطواحين من الخيول السليمة (٥) ، وكان مدنها  
من ذلك هو توفير الخيول الممتازة السليمة لفرسان الممالك .

وعلى الرغم من أن خيول الطواحين كانت من سلالات غير ممتازة إلا أن  
الممالك كثيرا ما أغاروا على الطواحين وصادروها ، وذلك في بعض الحالات  
الملمة التى كانوا يحتاجون فيها إلى الخيول لتجهيز جروشهم لقتال عدو ، أو في  
حالات نشوب قتال بين بعضهم البعض ، وكثيرا ما أدى مثل هذا العمل إلى توقف

(١) المواعظ ج ١ ص ٢٤٧

(٢) مى : منطقة صناعه سفن الأسطول بساحل القسقاط - المواعظ ج ٢ ص ١٩٧

(٣) صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٣

والنليس كيس يستعمل لتعبه الغلال Dozy : Supp. Met. Ar

(٤) الشريينى : من القحوف ص ١٦١

(٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٩ ج ١ ص ٢٢٧ - ابن حجر

المستغنى : إنباء القمر ، مخطوط ، ج ١ ورقة ٣٠٩

الطواحين عن العمل، وبالتالي إلى حدوث أزمات خطيرة في الدقيق والخبز، ومن أمثلة ذلك أنه في عام ٧٩١ هـ هاجم المماليك الطواحين ودمروا أيديهم على ما بها من عيول، فكان من نتيجة ذلك أن «خلا الدقيق وأكل الناس بعضهم بعضاً» كما يقول ابن إياس (١).

ولم تعرف مصر حتى عام ٧٨٤ هـ سوى الخيل كوسيلة لإدارة الطواحين، لكن في هذا العام استحدث الأمير جركس الخليلي (٢) طريقة جديدة لإدارة الطواحين تعتمد على قوة اندفاع الماء.

ولقد أقام هذا الأمير طاحونا في مركب أوقفها عند مقياس النيل بالقاهرة، فاستحدث هذه الطاحونة قوتها المحركة من قوة اندفاع مياه النيل وأصبحت تعطن الدقيق من غير صب ولا كلفة (٣).

ويبدو أن استخدام قوة اندفاع المياه كقوة محرك للطواحين كان أمرا غريبا وجديدا على المجتمع المصري وقتئذ فاندفع الناس من كل جهة لرؤيتها، وأدججوا بها حتى قال الأدباء فيها شعرا كثيرا (٤)، كما أستأجرها منه بعض الطحانين (٥).

لكن رغم ذلك فيبدو أن الطواحين التي تدور بقوة اندفاع الماء لم يشع

(١) ابن إياس: بدائع الزهور - ١٣٠ ص ٢٨٣

(٢) هو أمير آخسور السلطان الظاهر برقوق، أي الأمير المشرف على إسطبلاته - الموضح ٢٣ ص ٩٤

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور - ١٣٠ ص ٢٦٠

(٤) القريزي: السلوك - مخطوط، مجلد ٨ ورقة ١٩٦

(٥) ابن حجر: إنباء القبر - مخطوط، ١٣٠ ورقة ١٨١

استخدامها في مصر بعد ذلك ، والذي يدعونا إلى هذا القول هو أننا لا نجد لها أى ذكر في مصادر العهد المماليكي اللهم إلا في عام ٨٨٠ هـ ، إذ أنشأ أحد الأمراء في هذا العام ضيعة بالقيوم ، وجعل بها طاحونة تدور بالماء ، فتوجه السلطان قايتباي لمشاهدتها (١) ونفهم من توجه السلطان قايتباي لمشاهدتها أن استخدام الماء لإدارة الطواحين ظل أمرا غريبا وطريفا يستحق المشاهدة حتى أواخر عهد المماليك في مصر ، رغم أن استخدام قوة جريان الماء لإدارة الطواحين كان أمرا معروفا وشائعا في بلاد عديدة من العالم الإسلامى في القرن الرابع الهجرى ، حتى أن الناس في هذه البلاد كانوا لا يستخدمون النواب لإدارة طواحينهم إلا في الجهات التي ليست فيها أنهار (٢) .

وعلى العموم ، كانت الطواحين المستخدمة في العهد المماليكي عبارة عن رعاة كبيرة ذات أقراص سحرية ضخمة ، وبعض الطواحين الكبيرة كانت تشتمل على سبعة أقراص منها تعمل مع بعضها البعض في وقت واحد (٣) ، وأغلب الظن أنه كان ينحصر للخيول التي تديرها مدارات سفلية لصيانة الدقيق من القاذورات التي قد تحدثها الخيول إذا ما تحركت في مدارات علوية بالتسرب منه ، به الذي يدعونا إلى هذا الظن هو أن الطواحين ذات المدارات السفلية كانت معروفة في مصر في العهد الفاطمى خاصة طواحين الخلفاء الفاطميين التي وصفها القلقشندي فقال أنها طواحين مغلقة (٤) .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٦٣

(٢) Adam Mez : The Renaissance OF ISLAM, P. 466

(٣) المرواط ج ١ ص ٣٤٧

(٤) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٧٦

### ب - خبز

الخبز في العهد المماليكي كان يصنع أساسا من دقيق الحنطة ، لكن المقرئى لم يكن راضيا عن نوعية هذا الخبز وجودته فقال عنه (١) أنه « من لبث يوما بيلة لا يؤكل ، وإن أكل لم يوجد له لذاعة ولا تماسك لبعضه ببعض ، ولا يوجد فيه علكة ، ولكنه يتكرج (٢) في الزمان اليسير » .

لكن رغم ذلك فقد صنعت أنواع ممتازة من الخبز ، أجودها كان يعرف باسم الخبز الحوارى ، وهو خبز كان يصنع من الدقيق الحوارى ، أى الدقيق المحكم النخل الشديد اليباض (٣) .

ومن أنواع الخبز الجيد أيضا خبز كان يسمى خبز العلامة (٤) .

أما أنواعه الرديئة فنما نوع كان يعرف باسم الخشكار (٥) ، وهو خبز كان يصنع من الدقيق الخشكون ، ~~والذي لم يفسد حطه قبل طبخها~~ (٦) .

وفي الفترات التي كانت ترتفع فيها أسعار الحنطة كانت العامة من الناس تضطر إلى صناعة الخبز من دقيق النرة ، لكنهم كانوا يضيقون بمثل هذا النوع من الخبز ،

(١) المواظ ج ١ ص ٤٤

(٢) أى يفسد وتلوه خضرة — محيط المحيط

(٣) ابن بسام : نهاية الرتبة ، غطاوط ، ورقة ١٤ — المقدسى : أحسن

التفاسيم ص ١٩٩

(٤) المقرئى : إغاثة الأمة ص ٢٧١

(٥) ابن بسام : نهاية الرتبة ، غطاوط ، ورقة ١٤

(٦) داود الأنطاكي : تذكرة أول الألباب ج ١ ص ٢١٧

وعبروا عن ضيقهم هذا بمختلف أنواع التعبير ومنها الرقص والإشاد ، ففي غلاء عام ٨٩٢ هـ عبر الناس عن ضيقهم بهذا الحزن برقصه كانوا يرقصونها وهم يندشون

زويحي دى المسخرة . . . يطمئنى خبر الذرة (٢)

ولم يقف الأمر في حالات الغلاء عند خبز الذرة فقط بل كان الحزن يصنع أيضا من دقيق الحنص والفول والشعير ، بل أيضا من النخال (٣) .

ومن أنواع الحزن التى صنعت في العهد المملوكي أيضا نوع كان يعرف باسم الكاج (٤) ، وهو خبز شديد البياض يهجن بشير خميرة ، ويخبز على الرماد الساخن (٥) .

وأيا نوع من الحزن الجاف كان يعرف باسم البشماط أو البقسماط ، وكان الجيش المملوكي يعمون به عند التجيز العرب ، كما كانت تخزن منه كييات كبيرة في القلاع ليقتات بها الجند المتحصنون داخلها إذا ما حوصروا من العدو . كما كانت تخزن منه كييات بمنازل الحجج التى تقوم في الطريق بين مصر ومكة ، خصوصا عندما يشرع أحد السلاطين في التجهز للحج (٦) .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤١

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢٩ - بدر الدين العيني : السيف المهند ص ٢٦٧

(٣) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٩ ج ٢ ص ٤٢٨ - المقرئى : السلوك ج ٢ ص ١٩٦

(٤) محيط المحيط ، Dory : Supp. Dict. Ar

(٥) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٥٨١ حاشية ٢ ، السلوك ، مخطوط

ومن أنواع الخبز الجاف أيضا التي شاع صنعها وقتئذ خبز كان يصنع من  
جروش الخنطة (١) ثم يترك ليخف ويسمونه، كعكا، وكان أكثر أكل الناس من  
هذا الخبز على وجه الخصوص طوال العام (٢).

وبالإضافة إلى ما ذكرنا فقد كان يصنع خبز اسمه الجردق، وهو خبز غليظ (٣)  
ومصنعة كانوا يرفون باسم الجردقاينين، وكانوا يضيفون إلى عجينة شيئا من  
النطروف أو السكون الأبيض (٤).

== مجلد ٨ ورقة ١٩٥ - ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١٩ ، ج ٤ ص ٢٦٣ ،  
ولقد ذكر المقرئى هذا الخبز باسم البشاط، بينما ذكره ابن إياس باسم البقساط،  
والواقع أنه لا تمارض في هذا، فالبشاط لغويا هو البقساط - يحيط المحيط

(١) أى الخنطة التي لم ينم دقها - يحيط المحيط

(٢) المواعظ ج ١ ص ٤٤ - وكلة الكمك كلمة مصرية معناها الخبز الجاف،

الجو البقى : العرب من الكلام الأجمى من ٢٩٧

وبسبب قدرة هذا النوع من الخبز على البقاء مدة طويلة لذلك كان يود به  
رجال الأسطول في العهد الفاطمي . المقرئى : المواعظ ج ١ ص ٤٦٥ - كما أن  
أهل تنيس كانوا يصنعونه ويدخلونه لياكلوا منه في فترة الشتاء، وكانوا يسمونه  
باسم الخبز الجريش،

ابن إياس : الأنيب المجلس، مخطوط، ورقة ١٧٤،

(٣) الجردق أو الجردق، تعريب الكلمة الفارسية كرده ومعناها الخبز الغليظ،

الجو البقى : العرب من الكلام الأجمى ص ٩٥، ١١٥

(٤) ابن إياس : نهاية الرتبة، مخطوط، ورقة

والنطرون صنف من أصناف مادة البروق وكان يؤتى به من الواحات، وهو  
صنفان : أحمر وأبيض، يخبه في شكلة الملح المسدن، ومذاقه بين الملوحة  
والخوخة . ابن البيطار : الجامع لفردات الأدوية ج ١ ص ١٢٥

ولقد حددت كتب الحسبة الطريقة المثل التي كان يجب على التجازين والمجانين اتباعها وقتئذ، ومنها أن لا يبعن المجان بدميه ولا بركبته ولا بمرقبته لأنه ربما فطر في المجين شيء من عرق لإبطيه أو بدنه، وأن يرتدى أثناء عمله حاجباً<sup>(١)</sup> أو بشتاً<sup>(٢)</sup> مقطوع الأكمام، وأن يتلثم أيضاً لأنه ربما عطس أو تكلم فيقطر شيء من بصافه أو مخاطه في المجين. وأن يشد عصا به يفضاء على جبينه لكي لا يقطر من عرق جبينه شيء فيه، وأن يخلق شر ذراعيه لئلا يسقط شيء منه فيه. وإذا هجن في النهار فيجب عليه أن يوقف بجواره من يحصل مذبة ليطرده بها الذباب عن السجين<sup>(٣)</sup>.

ومن بين الوسائل التي كانت تتبع وقتئذ لتجميل وجه التبر وتطبيب طمعه في نفس الوقت أنه كان يرش على قرص المجين قبل خبزها الكون الأبيض والأسود والشوية<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) ثوب من غير كم. ابن سيده: المخصص ١٣ ص ١٦  
 (٢) رداء من الصوف بلونه الطبيعي يلبسه الفلاحون والنساء والمجانون  
 Dozy: supp. Diet. Ar  
 (٣) ابن بسام: نهاية الرتبة، مخطوط، ورقة ١٣ - ابن الأخوة: معالم القرية ص ٩١، الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٢٢  
 (٤) الشوية نبات له زهر لونه أصفر يميل إلى البياض، يخلف أفاها بها بذور أسود حريف طيب الرائحة لذلك كان يخلط بالسجين. العمري: مسالك الأيسار، مخطوط، ورقة ٢١٥ - داود الأنطاكي: تذكرة أولى الألباب ص ٤٢٨  
 ولقد عرف بذور الشوية بأسماء أخرى منها الحبة السوداء، وحب البركة، والكون الأسود. أحمد عيسى: معجم أسماء النباتات ص ١٢٥

والقرطم والمصطكى<sup>(١)</sup> وعرق الكافور<sup>(٢)</sup> والسمسم والياسون وغير ذلك من  
الأبازير<sup>(٣)</sup>.

غير أن بعض الخبازين كانوا ياجأون إلى وسائل أخرى لتحسين وجه الخبز  
رغم أن هذه الوسائل كانت متنوعة لما قلحته بصحة الناس من أضرار ، فبعضهم  
كان يخلط الدقيق عند عجته بالكرم<sup>(٤)</sup> ، كما كان بعضهم يمسح وجه العجين قبل  
خبزه بالزبد<sup>(٥)</sup>.

## صناعة الخمر

كانت لصناعة الخمر أهمية ملحوظة بين صناعات مصر في عهد المماليك

(١) اسم المصطكى مررب من الكلمة اليونانية مصطليخا، والمصطكى كانت تجلب من  
جزيرة رودس ، وهى نوعان : نوع ناعم حلو طيب الرائحة فيه لدونة ، ونوع  
أسود يميل إلى المرارة . والنوع الأول يخرج من شجرته كصمغ بعد تشريطها .  
أما الثانى فكان يستخلص بالطبخ من الأعواد الطرية النضجة لشجرته وورقتها .  
عبد بن سياهى : أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك ، مخطوط ورقه ٧١٦ -  
القفقندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٧٢ - داود الأنطاكي : تذكرة أولى الألباب  
ج ٢ ص ٩٢ .

(٢) عرق الكافور هو نبات الزباد ، ويسمى كافور الكمك ، وعرق الطيب .  
وهو عطري الرائحة ، وشجرته تلبث بالهند . داود الأنطاكي : تذكرة أولى  
الألباب ج ١ ص ٣٤٥ - ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ج ٢ ص ١٥٧ ،  
١٥٨ - أحمد عيسى : منجم أسماء النباتات ص ١٩٢ Dedevian : Op. cit  
(٣) ابن بسام : نهاية الرتبة ورقة ١٤ ، الفيضى : نهاية الرتبة ص ٢٣ .  
والأبازير هى التوابل . الجواليقى : المغرب من الكلام الأعجمى ص ١٩ .

(٤) الفيضى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبه ص ٢٤

(٥) ابن الحاج : المداخل ج ٢ ص ١١٩



والسبب في ذلك يرجع إلى شرب الخمر كان منهجيا وقتشه بين كثير من سلاطين المماليك وأمرائهم ، وكذلك بين الكثيرين من عامة الناس .

وسلاطين المماليك وأمرائهم كانوا قدوة سيئة للشعب في هذا المضمار ، فبعضهم كان شغوفا بشرب الخمر كالسلطان الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون الذي قال عنه أبو المحاسن أنه كان عكوفاً على معاينة الخمر وسمع الأغانى ،<sup>(١)</sup> ومنهم أيضاً السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي الذي استمر رغم خله من السلطة والحجر عليه ، مقياً في غبوق وصباح لا يفتيق من السكر ساعة ،<sup>(٢)</sup> .

ومنهم أيضاً السلطان الظاهر برقوق الذي جعل شرب الخمر مع الأمراء من شعائر المملكة ، فخصص الأربعاء من كل أسبوع ليُنزل فيه من القلعة إلى الميدان الذي بأسفلها ، وهناك يجتمع بالأمراء ويشرب معهم الخمر<sup>(٣)</sup> .

واقتردى أمراء المماليك بسلاطينهم في الشف بشرب الخمر حتى تجاوز بعضهم بشرها أمام الناس<sup>(٤)</sup> . كما اعتادوا أن يتهادوا بها في أفراحهم<sup>(٥)</sup> ، وإذا أراد

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٤٠ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٢ - والفيوق هو الشراب بالمشى ، أما الصبوح فهو خلاف ذلك ، وهو كل ما أكل أو شرب غدوة ، والصبوح أيضاً هو كل ما أصبح عندهم من شراب فشرب - لسان العرب .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٩ - المقريزي : الملوك ، عشارط مجلد ١ ورقة ٢٤٨ أ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٠٠ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٥٣ .

الواحد منهم أن يأكل شيئاً فانه ينمسه في الخمر قبل أن يأكله ليفتح شهيته (١) .

ولقد كانت الخمر إحدى الوسائل التي اعتمد عليها بعض السلاطين لاسترضاء الجنود واستئالتهم ، وإذا أراد الواحد منهم إستالة فرقة من فرقهم فانه يفتدق عليها المنح والمطايا ومن بينها كيات كبيرة من الخمر . وفي الحالات التي لم تكن تتوفر فيها هذه الكيات لدى السلطان فإنه يشرع على الفور في جمعها والحصول عليها بالقسر والقوة من أهل الذمة ، ومن أمثلة ذلك أنه في عام ٨١٩ هـ في عهد السلطان المزيدي هاجم وال القاهرة بيوت اليهود والنصارى ومصادر جرار الخمر التي وجدها عندهم وأعطاهما للبايك الزماعة (٢) .

ومناعة الخمر كانت مصدراً من مصادر إيرادات الدولة ، فبعض السلاطين كانوا يأمرون بتضمين الخمر (٣) ، ولكن ذلك أدى إلى نقشي شرها علانية ، وكثرت السكرى وزال الاعتراض عليهم (٤) ، ولقد لاحظ ذلك كثير من الفرج الذين زاروا مصر آنذاك فقالوا أن كثيراً من أهل البلاد يتجافرون

---

Lane Poole : The Art of the Saracens in Egypt. P. 34 (١)

(٢) المقرئى : السلوك ، مخطوط ، مجلد ١ ورقة ٣٠٢ .

(٣) التضمين هو أن يلتزم شخص للحكومة بدفع المال المقرر على شيء معين وفي نظير ذلك تسمح له الحكومة بأن يتولى بنفسه جباية هذا المال ، من يجب عليهم أدائه من الناس ، فإذا زاد المال الذى يجمعه على المال الذى يدفعه للحكومة فالزيادة له ، وإذا نقص فعليه هذا النقص .

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ٣ ص ٦٦٨ .

Tafer : Travels And Adventures, P. 70.

Schofer : Le Voyage D'Outremer De Jean Thénard, P. 47.

## شرب الخمر (١) .

وصناعة الخمر بالاسكندرية كانت من اسباب انتشارها الاقتصادي ، وذلك لكثرة  
من كان يصنعها فيها من المصريين والفرنج ، وايضا لكثرة الأرباح التي كانت  
تدرها هذه الصناعة عليهم ، هذا فضلا عن الدخل الكبير الذي كان يعود على  
خزينة الدولة من حصيلة المكوس التي كانت تفرضها الدولة عليهم وتجنبيها منهم  
والتي كانت تقدر في العام الواحد بأربعين ألف دينار .

ولإزاء هذا الوضع كان من الصعب على حكومة المماليك أن تمنع صناعة الخمر  
في هذه المدينة في المرات التي حاولت فيها ذلك ، ويتضح ذلك بجملة عندما شن  
نائب السلطنة الأمير آل ملك حملة شديدة على الفساد والخمر عام ١٧٤٤ هـ ، فلقد  
نجحت حملته هذه في القاهرة بينما فشلت في الاسكندرية ، ولقد قيل آنذاك أنه  
« منى منع الفرنج من عمل الخمر فسد حال الاسكندرية » (٢) .

ولقد كان لتفشي البغاء وإباحة رسميا من أسباب تفشي شرب الخمر بين الناس  
فالمثليات والبغايا كن يمارسن مهنتهن بموافقة الحكومة بشرط أن يدفعن نظير  
ذلك ضريبة اسمها ضهان المغاني ، فكثير عدد من نقيجة لذلك ، وخصصت لمن  
الحكومة حارات في بلاد الصعيد والوجه البحري يعرضن فيها أنفسهن بالأجر  
« فيكون هناك من التجاهر بالزنا وشرب الخمر ما يشنع ذكره » .

وبالقرب من القاهرة كانت توجد عدة متوزعات اعتاد الناس شرب الخمر  
فيها ، ومن بينها حنية الامراء التي كانت على بعد فرسخ من القاهرة في طريق

(١) المقرري : السلوك ، عطلوط ، مجلد ٢ ورقة ١٥٣٨ أ .

(٢) نفس المرجع السابق مجلد ٨ ورقة ١٩٣

الأسكندرية، والتي اتخذها الناس منزل لهم ولعب وقصف وطرب، وكان يترجمون إليها الفتنه أيام الفيضان وفي فصل الربيع لاسيما في يرضى الجمعة والاحد (١) كما كانت هناك مناسبات وأعياد معينة يكثر فيها شرب الخمر، ومن أبرزها عيد الشهيد الذي كان يحتفل به في الثامن من الشهر القبطي بشفس، وهو عيد كان يحتفل به القبط احتفالا كبيرا لأنهم كانوا يعتقدون أن النيل لا يفيض في كل عام إلا إذا أفرأ في يوم هذا العيد تابوتا خفيا يحتوى على إصبع من أصابع أسلافهم الموتى. وفي هذا العيد كانت أفواج القبط القادمة من الوجه القبلي والبحري والقاهرة والمنسطاط تجتمع كلها في ناحية شبرا بخواحي القاهرة، ولم يحسن الاحتفال يقتصر عليهم فقط بل كان يشترك معهم فيه عامة أهل مصر أغنياء وصعاليك، فيصبون الخيام هناك على شاطئ النيل، وفي الجزر الذي تتوسط مجراه، ويتطلق الجميع في لهو ومرح ومجون، ويتجاهرون هناك بالمعاصي والفسوق، ويسرفون في شرب الخمر حتى أنه قد رما كان يباع من الخمر في هذا اليوم بما ينيف على مائة ألف درهم، وقيل أن أحد النصارى باع خمرأ في هذا العيد بما يقدر ثمنه بأثنى عشر ألف درهم. كذلك كان أهل شبرا وفلاحوها يمتدنون اعتمادا كبيرا على الأرباح التي كانت تأتيهم من بيع الخمر في هذا العيد لسداد ما عليهم من خراج الدولة (٢).

والواقع أن أغلب صناع الخمر في عهد المماليك كانوا من أهل الذمة النصارى واليهود، كما اشترك معهم في صنعها جماعة من أسرى الأرم من الذين جلبهم الناصر محمد بن قلاوون من بلاد الأرم، وأنزل عددا كبيرا منهم مع نسايتهم وأولادهم

(١) المراجع ٢٣ ص ١٣٠

(٢) المراجع ١٣ ص ٦٩، السلوك ج ١ قسم ٢ ص ٩٤١، السلوك مخطوط

مجلد ٧ ورقة ١٧ ب، ابن إياس: بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٧

في خزانة البنود (١) .

وبعض الزمن توالد هؤلاء الأسرى وكثر عددهم بهذه الخزانة وأصبحت لهم بها سطوة وقوة حتى أنهم منعوا الخمر فيها وتظاهروا فيها بالزنا والمحرمات حتى أصبحت هذه الخزانة مكانا لإجتماع الفساق يبيتون فيها - يشربون الخمر ويمشرون الفواجر والأحداث - لكن لما استفحل أمرهم وفسادهم وكثرت شكوى الناس منهم اضطرب السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يهدم هذه الخزانة وأن يشتتهم ، فأسكن بعضهم قلعة الجبل وأسكن بعضهم الآخر مدينة مصر (٢) ، لكن رغم ذلك فالذين أسكنوا منهم مدينة مصر ظلوا يمارسون بها صناعة الخمر ويبيعها (٣) .

وصناعة الخمر من العنب كانت تمر وقتئذ بمرحلتين : المرحلة الأولى يتم فيها إستخلاص عصير العنب إما مرسا بالأيدي أو دحسا بالأرجل (٤) . أما المرحلة

---

(١) كانت هذه الخزانة في أول أمرها من جملة خزائن القصر الفاطمي الشرقي الكبير ، وكان يصنع فيها السلاح ثم احترقت في عام ٤٦١ هـ ، فعولت بعد احترقها إلى سجن يسجن فيه الأمراء والوعيان وبقيت هكذا إلى نهاية الدولة الفاطمية ، ثم ظلت تستخدم كسجن في العهد الأيوبي والعهد المملوكي حتى هدمها الأمير آل ملك الجوكندار نائب السلطنة في عام ٧٢٤ هـ وشيد في مكانها الدور والمبانى . المقيزى : المواظ ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) المقيزى : المواظ ج ١ ص ٥٥ ، السلوك مخطوط مجلد ٥ ورقة ٥٣٥ ب ، ٥٣٦ ا . ومدينة مصر كانت هي المنطقة التي قامت عليها القسطنطينية والقسطنطينية . المقيزى : المواظ ج ١ ص ٣٦٠ .

(٣) ابن حجر : إنباء القصر مخطوط ج ١ ص ٢٦٠ .

(٤) النويرى : نهاية الأرب ج ٤ ص ١١٢ .

الثانية ففيها يتم تغيير هذا المصير وتعتيقه في جرار فخارية كبيرة الحجم تسع الواحدة منها قنطاراً (١) ، وتوضع هذه الجرار في الشمس زمناً حتى ينتعج المصير بداخلها من غير أن تحترق ، ثم توضع بعدها زمناً آخر في مكان ظليل محجوب عن الهواء (٢) ، ثم تعلمر به ذلك في باطن الأرض لتعتيق الحذر بها (٣) .

أما الألبدة (٤) فكانت تصنع منها وقتئذ أنواع عديدة ، وكل نوع منها كان يصنع من مواد معينة ، وبطريقة معينة . ومن بين هذه الألبدة نوع كان يصنع من منقوع الزبيب بعد طبخه بالنار وعصره وتصفيته ثم يخمر في جرار مقفلة لمدة ستة أشهر تقريباً (٥) .

ومنها نوع اسمه الشمس ، وكان يصنع في زمن الخريف حين تشتد حرارة

(١) ابن حجر : إنباء الفرس مخطوط ج ٢ ورقة ٥٩٣ .

(٢) داود الانطاكي : تذكرة أولى الألباب ج ١ ص ٢٨١ .

(٣) بعض سلاطين المماليك كالسلطان الظاهر بيبرس والسلطان الأشرف الأشعث ، والسلطان المنصور قلاوون ، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والسلطان الصالح إسماعيل ، والسلطان برسباي والسلطان جقمق ، حاربوا الخوارج وصناعتها ، فكان رجالهم يمشون في مطامير الحذر ، فإذا هموا على إحداها أخرجوا ما بها من جرار الحذر وكسروها . المقريزي : السلوك ج ٢ ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) التبيذ لفظ عربي بمعنى متبذ أي متروك وذلك بسبب تركه في الجرار لمدة طويلة . داود الانطاكي : تذكرة أولى الألباب ج ٢ ص ١٤٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٣ ، حسن الجبرتي : الأقوال المعربة ص ٤ .

(٥) داود الانطاكي : تذكرة أولى الألباب ج ٢ ص ١٤٩ .

الشمس ، فتعمل هذه الحرارة على سرعة تخمره (١) .

ومنها نوع اسمه الشيرازى ، كان يراعى في صناعته أن يكون الماء الداخلى فى صناعته من ماء النيل فى أكثر أوقاته صفاء ، لذلك كان يصنع زمن الشتاء فى شهر طوبة على وجه الخصوص (٢) .

ومنها نوع اسمه القبرى كان يصنع من القمر (٣) ، ويؤخذ اسمه نبيذ العسل كان يصنع من عسل النحل وماء النيل الكندر وقت فيضائه ، والقريب فى هذا النبيذ أنه إذا عمل من ماء النيل الصافى لا تجود صناعته ، بينما لا تزيد تلك الكدرة إلا صفاء وحسناً ، (٤) .

ونبيذ آخر اسمه المزور كان يصنع من الحنطة (٥) ، وشرب المزور كان شائعاً عند عامة سكان القاهرة ، لذلك كانت تستهلك فى صناعته كيات كبيرة من القمح ، وهذا كان يؤمر أحياناً على سره (٦) .

(١) المقرئى : الملاحظ ج ١ ص ٤٤ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) المقرئى : الملاحظ ج ١ ص ٤٤ .

(٤) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج ٢ ص ٧٣ ، أبو بكر الرازى : كتاب منافع الأغذية ص ١٧ ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٦٦ .

(٥) المقرئى : الملاحظ ج ١ ص ٤٤ ، البغدادى : الإفادة والإعتبار

ص ٤٢ .

(٦) المقرئى : الملاحظ ج ١ ص ٣٦٨ .

أما البوزا فكانت تليدا يصنع من الدقيق (١) ، وكان إقبال المالك عليها كبيرا حتى أنه عندما احتفل بزفاف سبط السلطان إينال في ذي القعدة عام ٨٦٠ هـ كانت البوزا ، كثيرة من دون المشارب (٢) . كما أنه استهلك لصنائعها في سماء . أقامه السلطان برفوق عام ٧٩٩ هـ مائة أردب دقيق ، وأضيف إليها عشرة قناطير حشيش عجننت ومزجت بها (٣) . ولعل البوزا المعجونة بالحشيش هي التي أشار إليها ابن إياس وأسماعها الخمر المعجون (٤) :

ومن بين الألبدة التي شاع شربها عند المالك بوجه خاص تليد اسمه القمرو (٥) كان يصنع من ابن الخيل المخمر ، وهو من الألبدة التي كان المغول شغوفين بشربها إلى حد كبير (٦) ، ولاغراه في ذلك فحياة المغول كانت ترتبط بالخيول إلى حد كبير ، قالوا أحد منهم منذ صغره يشب ويتعرع على ظهرها ، ويأكل من لحمها ، ومن لبنها يصنع خمره ويبيذه (٧) .

(١) المعنى : عقد الجمان ، مخطوط ، مجلد ٢٧ ورقة ٢٧ - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢٣ ص ٨٠ ، ابن إياس - بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠٩ .

(٢) أبو المحاسن - حوادث الزهور ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٣) ابن حجر - إنباء الفهر ، مخطوط ، ورقة ٤٣٦ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٠٣ .

(٥) ابن بطوطة : تحفة النظائر ج ١ ص ٢١٦ - هذا ولقد ذكر ابن الفرات

هذا التليد باسم قراقير . ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ١٣٩ ص ٥١ .

(٦) ابن بطوطة : نفس المرجع السابق والصفحة

(٧) سعد زغالول : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ،

مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، المجلد العاشر سنة ١٩٥٦

D'Ohsson : Histoire Des Mongols, I, P. 16

Howorth : History of The Mongols, I. P. 44



ولقد عرف من بعض السلاطين الشنف يشرب هذا النوع من الألبسة ،  
وعنهم السلطان الظاهر بيبرس<sup>(١)</sup> . أما السلطان الظاهر برقوق فقد جعل شرب  
القمر من جملة شمار المملكة ، وخصص يوم الأربعاء من كل أسبوع ليظل فيه  
من القلعة إلى الميدان الذي يتقدمها ، وهناك يجتمع الأمراء بحضرته ، ويجلسون  
حسب مراتبهم ، ثم يدور السقاء عليهم بهذا النبيذ<sup>(٢)</sup> .

ومن الألبسة المالكية أيضا الترفاوى ، وهو نبيذ يسمى باسم مبتكر  
صناعته وهو الأمير تمر بنا المنجى . ولقد أعجب السلطان الظاهر برقوق بهذا  
النبيذ بمد أن قدمه له الأمير تمر بنا أول مرة ، وبعدها أقبل السلطان برقوق على  
شربه مع الأمراء في مناسبات عديدة ، وفي هذه المناسبات كانت تعمل منه كيات  
كبيرة ، وتغلا منه أحواض بأكلها<sup>(٣)</sup> .

والترفاوى كان يصنع من الزبيب والماء ، ثم يعبأ في جرار تدفن في زبل  
الحبل عدة أيام حتى يتغير<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن الترفاوى هو النبيذ المالكي الوحيد الذي سمي باسم مبتكر  
صناعته ، فهناك نبيذ ممالكي آخر إسمه البشتكى سمي هو الآخر باسم مبتكر

(١) ابن شاكر الكتي : عيون التواريخ ، مخطوط ، ورقة ١٠٦ - المقريزي  
السلوك ج ١ ص ٦٠٧ ، ٦٣٦

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٩ ، ابن القرات : تاريخ الدول  
والملوك جلد ٩ ص ٥١ .

(٣) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والإبدان ، مخطوط ، ورقة ٨٨ ، ١٠٣

(٤) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والإبدان ، مخطوط ، ورقة ٨٨ ، ١٠٣

صناعته وهو الأمير بشتك (١) .

واتقد كان الشفش أيضا من الألبدة المبالكية التي كان المباليك يقبلون على شربها (٢) ، وهذا النبيذ كان يصنع من أرز ودقيق حنطة ، ويحلى بالسكر والعسل ويعطى بالمسك وماء الورد ، ويخمر بقطعة من خمير العجين ، ثم يمتق في جوار تدفن في التبن (٣) .

## صناعات المنسوجات والياب

### ١ - المنسوجات

صناعة المنسوجات في مصر صناعة عميقة الجذور ترجع إلى ما قبل الإسلام ، لكنها زادت نموجا وتطورا في ظل الإسلام ، وأصبح الطلب على منسوجات مصر كبيرا .

وبدب ما كانت تحظى به منسوجات مصر من تقدير لذلك فقد اهتم خلفاء الدول الإسلامية بأن يبعث عمالهم عليها سنويا إلى بيت المال مقادير من منسوجاتها ويأبها كالأمواب الديقية التي كانت تصنع في ديق ، والمقاطع الشرب الاسكندراية والطرز المصيدية (٤) .

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصري ص ٢٢١

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ — أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٥٢ .

(٣) كز الفوائد في تنويع الموائد : منقوط ورقة ٩٩ ب

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢١

وبسبب شهرة منسوجات مصر ومكانتها المرموقة في الأسواق الخارجية ورواجها بها ، لذلك فقد عمد العاملون في صناعة المنسوجات وتجارتها خارج مصر إلى تسمية مدنهم التي تصنع المنسوجات في بلادهم بنفس أسماء المدن المصرية التي كانت لها شهرتها وقتئذ في صناعة المنسوجات المصرية ؛ كديق وغيرها ، كما أطلقوا على منسوجات بلادهم نفس أسماء المنسوجات المصرية كالديقية وغيرها ، ومن بين من فعل ذلك العراقيون على سبيل المثال (١) .

وبخلاف ديق ، فقد اشتهرت مدن مصرية أخرى كراكز أيضا لصناعة النسيج في مصر ، نذكر منها تنيس وشطا ودميرة ودمياط وتونة وبورة والاسكندرية وأسيوط والأشموين وبهنى والفيوم وإهناس .

وصناعة المنسوجات في هذه المدن كانت تتم إما في مصانع أو في دور بعض الأهلالي الذين كانوا يحترفون هذه الصناعة .

أما المصانع فكانت وقتئذ نوعين ، مصانع أهلية وأخرى حكومية .

والمصانع الحكومية كانت تصرف باسم دور الطراز (٢) ، والظاهر أنه

---

#### (٢) مرزوق : الزخرفة المنسوجة ص ٣١

(٢) لا يعرف على وجه اليقين أصل دور الطراز ولا موطنها الأصلي ، فالكتور كولل يعتقد أنه من المحتمل أن يكون أصلها الجنيسم ، التي وجدها العرب بالاسكندرية عند فتحهم لها . والجنيسم كانت تنمى في العصور الوسطى مكانا مينا ملحقا بالقصر فيه أرقام يفسجون ويصنعون الحرير ويعملون ملابس رجال البلاط ، وكان محرما على الرعية أن يفسجوا أفعى نهبه تلك التي يصنعها القصر - مرزوق : الزخرفة المنسوجة ص ٢٢ .

كان هناك نوعان منها ، الأول - طراز الخاصة - وكان لا يفتح إلا الخليفة ورجال بلاطة وخاسته ، أما النوع الثاني فكان يعرف بطراز العامة وكان يشغل لحساب بلاطة الخليفة وكذلك للشعب عامة .

ولفظ طراز مشتق من الكلمة الفارسية « ترازيدن » و « تراز » ومعناها التطير وعمل المديح ، ثم أصبحت هذه الكلمة تدل على ملابس الخليفة أو الأمير أو السلطان ورجال الحاشية لاسيما إذا كان فيها شيء من التطير ، أو إذا كان عليها أشرطة من الكتابة المعرزة . والتطير في هذه الحالة كان يعمل بضيوط من الذهب أو الفضة أو الخيوط الحريرية المتعددة الألوان ، وكان القصد من هذه الكتابة المعرزة « التنويه بلباسها من السلطان فن دونه ، أو التنويه بمن يختصه السلطان بلبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دوله » (١) .

والمشرف على دار الطراز - أي صاحب الطراز - كان له الإشراف على كل شئوننا الإدارية والفنية ، وكذلك على ما تحويه هذه الدار من آلات وعدد ، وأيضا على موظفيها وعمالها (٢) .

وفي العهد الفاطمي كان لصاحب الطراز منزلة كبيرة ، كما كان محل رعاية

---

== غير أن بعض العلماء الآخرين يقولون أنه من المحتمل أن يكون أصلا بابل آشوري ، كما أن البعض الثالث منهم يعتقد أنها إيزيدية الأصل - ذكرى حسن : الفن الإسلامي في مصر ص ٨٤

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٦٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٦٧ .

كبيرة في الحكومة الفاطمية ، وله إختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ؛  
وهما بدمياط وبنيس وغيرها ، وبين يديه المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعالات  
وله عشائر دتماس مجرد معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ، ولها رؤساء  
وموازية لا يبرحون ، ونفقاتهم جارية من مال الديوان ، فإذا وصل بالاستعالات  
الخاصة التي منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمي وغيره ، هم  
بكرامة عظيمة ... وله في بعض الأوقات التي لا ينسح له الانفصال نائب يعمل  
عنه بذلك غير غريب عنه ، ولا يمكن أن يكون إلا ولدا أو أخا ، فإن الرتبة  
عظيمة ... (١)

ولقد تعددت أنواع المنسوجات التي أنتجتها مناسج مصر وقتئذ ، فمنها  
ما نسج من القطن ، ومنها ما نسج من الكتان ، ومنها ما نسج من الحرير . لكن  
نظرا لأن القطن كان قليلا وقتئذ ، لذلك كان أغلب إنتاج مصر من المنسوجات  
الكتانية والصوفية .

أما المنسوجات الحريرية فقد كان إنتاجها محدودا بتأثير من تعاليم الإسلام  
التي تحرم على الرجل لبس الحرير إلا لضرورة ، هير أنه نظرا لأن الإسلام أباح  
للرجل لبس الثوب الذي يشتمل على قدر إصبعين أو أربعة أصابع من الحرير  
لذلك فقد ازدهرت صناعة منسوجات كتانية وقطنية وصوفية تزينها أشرطة من  
الزخرفة المنسوجة من الحرير المختلف الألوان (٢) .

ومن بين المنسوجات التي أنتجتها مناسج مصر وقتئذ الثوب ، وهو نسج

(١) المقرئ : الملاحظ ج ١ من ٦٦ ،

(٢) مرزوق : الزخرفة المنسوجة ص ٤٤

كتانى رقيق غالى الثمن كان يباع كل درم منه بدرم فضة (١).

والبوقلون ، وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار (٢) .

والقباطى ، وهى منسوجات سميت باسم صناعها الأقباط الذين كانت لهم  
دراية كبيرة فى صناعة هذا النوع من القماش (٣) .

والقصب ، وهو قماش كتانى رقيق جداً - والوشى ، وهى ثياب حريرية  
مرفومة بألوان شتى - والخملى ، وهو قماش له وبر على سطحه مثل القطيفة (٤) -  
والخر ، وهو قماش سدهاء من الحرير ولحمته من الصوف (٥) - والمتقلة ، وهى  
ثياب منسوجة بالذهب (٦) .

أما الأقمشة الصوفية الخالصة فقد بلغت شهرة مصر فيها أن الجاحظ قال (٧)

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٥٠ .

(٢) فاصريه خسرو : سفرنامه ص ٢٨ - ولقد سمي هذا القماش باسم قلوبون  
أو أبو قلوبون أو بوقلون نسبة إلى الحرباية باليونانية ، ولعل الذى دعا إلى نسبته  
للحرباية هو أنه كان يماثلها فى ظهوره بألوان شتى حسب تعرضه لشمس ، وحسب  
الوضع الذى يكون عليه ، وكذلك حسب اختلاف ساعات النهار - ذكرى حسن  
كنوز الفاطميين ص ٥٢ .

(٣) ذكرى حسن : نفس المرجع السابق ص ١١١

(٤) مرزوق : الزخرفة المنسوجة ص ٣٣

(٥) نفس المرجع السابق ص ٣٦

(٦) المقرئى : المواعظ ج ١ ص ٢٢٦ ؛ ج ٢ ص ٧

(٧) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ٢٢ .

أن خير الأكسية من الصوف المصرية ، كما روى المقرئى أن معاوية بن أبي سفيان لما كبر كان لا يدفأ فأجمعوا أنه لا يدفئه إلا الأكسية التى تعمل بمصر من صوفها المرز المسلى الغير مصبوغ ، فبدل له عدد فاجتاج منها إلا إلى واحدة ، (١) . كما قال ناصر خسرو ، ويلسجون في أسبوط عمام من صوف الخراف لا مثيل لها في العالم ، والصوف الرقيق الذى يصدر إلى بلاد الجعم والمسمى الصوف المصرى كله من الصعيد الاصل ... وقد رأيت بأسبوط فوطه من صوف الغنم لم أر مثلاً ... وهى من الرقة بحيث تحسبها حريراً ، (٢) .

أما أساليب زخرفة المنسوجات وقتئذ ، فبعضها كانت تحمل برسوم مصبوغة وبعضها كانت تفسج بخيوط مختلفة الألوان ، وذلك بأن تكون خيوط اللعة من لون ، وخيوط السدى من لون آخر ، وبتقاطع هذه الخيوط تتكون الزخرفة المطلوبة .

وبعضها كانت تحمل بزخارف تظهر على القماش بعد لسجه ، وبعضها كانت تحمل بزخارف تفسج مع القماش أثناء لسجه . (٣) .

تلك كانت أهم معالم صناعة المنسوجات في الفهود الإسلامية التى سبقت العهد المملوكى في مصر .

ول العهد المملوكى استمرت هذه الصناعة على نفس التقاليد تقريباً . فقد ظلت المنسوجات الحكومية تفسج في مصنع حكوى يعرف بدار الطراز ، غير

(١) المقرئى : المواظ ١٣ ص ٢٠٤ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٧٠ .

(٣) مهزوق : الزخرفة المنسوجة ص ٧٢ .

أنه في هذا العهد أصبحت الاسكندرية مقراً لهذه الدار .

ومن وظيفة دار الطراز في العهد المماليكي يقول القلقشندي : « ودار الطراز هذه هي التي تعمل فيها الاستمالات السلطانية مما يحمل إلى خزانة الخالص الشريف من الأقمشة المختلفة الصفات من الحرير والمقترح الخوص بالذهب ، والتفاصيل المنقوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكتان وغيره مما لا يوجد مثله في قطر من أقطار الأرض . ومنه تتخذ الأقمشة التي يلبسها السلطان وأهل داره ، ومنه تعمل الخلع والتشارييف التي يلبسها أكبر الأمراء وأعيان الدولة وسائر أهل المملكة ، ومنه تبعت الهدايا والتحف إلى ملوك الأقطار » (١) .

وفي هذه الدار كان يتم تطريز الخلع والتشارييف التي يخلع أو ينعم بها السلطان بالطراز السلطاني ، فرسوم الملك وقتئذ كانت تقضى بأن ينقش لاسم السلطان على ما يفسح ويرقم من الكسوة والطرز المتخذة من الحرير أو الذهب بلون غالف اللون القماش ، لتصير الثياب والطرز السلطانية مميزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها من السلطان أو من يشرفه بلبسها عند ولاية وظيفه أو إتمام أو غير ذلك » (٢) .

وفي العهد المماليكي ظل ناظر دار الطراز يحتفظ بنفس اختصاصته التي كانت له في العهود السابقة . وفي المرسوم الخاص بتعيين ناظر هذه الدار عام ٧٤١ هـ نجد تحديدا لبعض مهامه واختصاصاته وواجباته . وذلك من خلال التوجيهات التي وجهت إليه في هذا المرسوم ، والتي منها : « ... وليصن ذهبها عند صرفه وقبضه ،

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١١ ص ٤٣٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٧ .



وايزن خزمها بتقريب مشوبة وتحرير محضه ، ولين عن حسن التدبير في إبرام  
حررها ونفضه ، وليستجلب رجالها وصناعها ... (١) .

وفي أواخر العهد المالكي البحري قام السلطان الاشراف شيمان بزيارة لهذه  
الدار ، وتفقد سير العمل بها ، وانتقى من منسوجاتها أنواعا منها أخذها معه عند  
عودته للقاهرة .

ويمطينا التورى صورة لما جرى في هذه الزيارة بقوله أن السلطان . جل  
يطوف على الانوال يبصرها ، ويدخل رأسه تحتها لينظر أسفلها ، ويتفرج على  
الصناع كيف ينسجون ، وإلى مكايكهم كيف يرمونها وكيف يرحمون ، ويرفع  
رأسه يشاهد في أعلى الانوال الصياليين من الصبيان كيف يشيلون خيطان المسادى  
ولها يحطون ، وكيف تصنع الطيور المنسوجة والدالات والشادورات وغيرها  
بتلك الخيطان الطالعة والمابطة ، إلى أن يكمل كل طائر وغيره .... ثم إن  
السلطان شاهد ما في دار الطراز بالاسكندرية من عمل ذرا كش ورقوم وثياب  
حريرية مذهبه مفروغ منها ، فاختار منها ثيابا يستصحبها معه ، وترك الباقي إلى  
حين تسكة لسهج . (٢) .

ومن هذا الوصف ندرك أن دار طراز الاسكندرية كانت حتى أواخر  
العهد المالكي البحري تزخر بالنشاط والعمل والإنتاج ، لكنها في العهد المالكي  
المركسى بدأ يسيبها ما لحق بالدولة من تدهور ، إلى أن توقفت عن أداء مهمتها

(١) نفس المرجع ص ١١ ص ٤٢٥ .

(٢) التورى : الإلام بما جرت به الاحكام ، مخطوط ، ص ١٤ ، أ . ب .

في عهد السلطان برسباي (١) .

والواقع أن اختيار الاسكندرية لتكون مقرا لمدار الطراز في العهد المماليكي كان اختيارا موفقا ، فالاسكندرية وقتئذ كانت ميناء مصر الرئيسي وتقوم بدور كبير في تجارة مصر الخارجية والداخلية بوجه خاص وفي التجارة الدولية بوجه عام ، وقد مكنتها هذه الميزة من الحصول بسهولة وبوفرة على كافة المواد الخام التي تلزم لهذه الصناعة ، هذا بالإضافة إلى أنه كان يتوفر في الاسكندرية الصناع اللازمين لها وهم صناع ورثوا خبرتهم العميقة في هذا المجال من آباؤهم وأجدادهم الذين كانوا يحترفون هذه الصنعة في العهود والاقبال السابقة

وفضلا عن ذلك فالاسكندرية كانت لها شهرتها القديمة في صناعة المنسوجات وينبؤه القلقشندي بهذه الشهرة نقلا عن ابن الأثير فيقول أنه بالاسكندرية وينسج القماش الفاخر الذي ليس له نظير في الدنيا ، واليهاء تهوى حكايب التجار في البر والبحر ، وتبخر من قاشها في جميع أقطار الأرض ، (٢) .

هذا ولقد قدرت عدد الأنوال التي كانت تعمل في صناعة النسيج فيها حتى عام ٩٧ هـ بأربعة عشر ألف نول ، غير أن هذا العدد ظل يقتصر تدريجيا إلى أن أصبح ثمانمائة نول فقط في عام ٨٢٧ هـ في عهد السلطان برسباي (٣) .

ومن بين الأقسام التي اشتهرت الاسكندرية بصناعتها الوشي . والسقلاطون والشرب والمنمر والفرج السكندري ، والشاش الحرير السكندري المموج بالذهب

(١) الخالدي : المقصد الرفيع منطوط ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٠٤ .

(٣) ابن حجر : إنباء النمر ج ٢ ص ٥٥٧ .

والفرد وحش والبناخين (١) . كما كانت يفسج بها أيضا الاشكرلاط  
والأطلس (٢) .

والوشى السكندري نسيج من الحرير كان يحمل بحياوط الذهب ، لذلك عرف  
باسم الخلال الموشية ؛

والسقلاطون نوع من النسيج المصنوع من الحرير والمطرز بالذهب ، وهذا  
النسيج كان معروفا في بلاد اليونان ؛ ثم انتقلت صناعته إلى البلاد العربية وحده  
الصناع العرب (٣) .

والشرب نسيج كثاني رقيق كانت تعمل منه القمصان الداخلية ، وتلف به  
البهايم ، وتصنع الخمر لفه . طاه رؤوس النساء ، كما كان يستعمل برسم الطرح أو  
القوارات التي توضع على الموانئ وتشد على الموائد (٤) .

والنمر لسيج خريرى تدخل في صناعته خيوط الذهب . ويردان برسوم  
منقطعة تشبه جلد النمر . وكان يعرف أيضا باسم الشاش (٥) .

والفرج السكندري نوع من النسيج الرقيق المذهب كانت تصنع منه الطرح  
والكلونات المزركشة بالكلايب .

والشاش السكندري هو النمر الذي سبق أن وصفناه ؛ وهو نسيج خريرى

(١) القلشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) المقريزي : السلوك ج ٢ ص ١٩٥ .

(٣) عبد العزيز سالم : تاريخ تجارة الاسكندرية وحضارتها ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٤) نفس المرجع السابق والصفحة - المقريزي : المواظ ج ٢ ص ٣٠ .

(٥) عبد العزيز سالم : نفس المرجع والصفحة .

## موج بالذهب<sup>(١)</sup>

والطرد وحش نسيج بموج جاخات بالة اب السلطان<sup>(٢)</sup> ، وجاخات طرد وحش<sup>(٣)</sup> . وجاخات ألوان مزجة بقصب مذهب . وبين هذه الجاخات نقوش . أما طرازة فقد يكون من القصب أو من الزركش الذهب<sup>(٤)</sup> .  
أما الاشكر لاط فهو قاش قرمى اللون<sup>(٥)</sup> .

ورغم أن الاسكندرية كانت تحتل مركزا رئيسيا في هذه الصناعة في العهد المملوكي ، إلا أن بعض المدن المصرية الأخرى كان لها وقتئذ دورها الهام أيضا في هذه الصناعة ، ولذكر منها المزة<sup>(٦)</sup> ، وطرسكور<sup>(٧)</sup> ، وطوخ مزيد<sup>(٨)</sup> ، وفي مدينة إيار كانت تصنع « ثياب حسان تلو قيمتها بالشام والمرايا ومصر

( ١ ) المقرئى : المواعظ ج ٢ ص ٢٣٧

( ٢ ) أى دوائر تحتوى على كتابه بألقاب السلطان .

( ٣ ) أى دوائر تحتوى على رسوم لطاردة الوحش وصيده

Dozy : Supp. Dict. Ar

( ٤ ) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٥٣

Dozy : Supp. Dict. Ar

( ٥ )

( ٦ ) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٦٨ ، ج ٤ ص ١٥٥ ، ٤٥٦ .

( ٧ ) نفس المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٨ .

( ٨ ) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٤٠٢ ، وطوخ مزيد قرية تابعة لمركز طنطا

نفس المرجع والمضمة حاشية . للدكتور زيادة .

وغیرها ، (١) . وفي مدينة البهنسا كانت تصنع قیاب الصوف الجيدة (٢) .

لكن يبدو أن المنسوجات التي كانت تصنع بالاسكندرية وبالمنزلة بالذات كانت من أفخر أنواع المنسوجات المصرية التي تصنع وقتئذ ، كما يبدو أيضا أن منسوجات مائتين المدينین ظلت تحتفظ بمستواها المتنازحی أو آخر العهد المماليکی ، ونستدل على ذلك من قول ابن إياس أن السلطان النورى أهدى إلى الأمير العثماني قرد بيك ، عدة بقج فيها قماش مفتخر ما بین سکندری ومثولاوی ، (٣) .

وبما هو جدير بالملاحظة أنه في عهدي الأيوبيين والمماليك قلت العناية بعض الشيء بنسج السكتان في مصر ، بينما زادت العناية في نفس الوقت بنسج الحرير وتطريزه ، بل إن بعض علماء الآثار الإسلامية .. ومنهم الدكتور كوتل .. يرون أن المناسج المصرية لم تخرج أقتة من الحرير الخالص إلى في عهد المماليك . وقد يكون كوتل على حق في هذا الرأي لأن البحث الأخرى لم يكشف بعد عن قطع من القماش سداها ولحفا من الحرير الخالص وترجع إلى ما قبل عهد المماليك (٤)

وهناك أمثلة للأقتة الحريرية تحمل إسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وعلى بعضها زخارف صينية الطراز ، وهذه الزخارف تجعلنا نعتقد أن نسج الحرير في العهد المماليکی في مصر تأثر إلى حد كبير بشيلة المصنوع في الشرق الأقصى خصوصا وأن الأقتة الحريرية المصنوعة في الشرق كانت قد تقلنت وقتئذ في

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ج ١ ص ١٥ .

(٢) نفس المرجع السابق والجزء ص ٢٧ .

(٣) ابن إياس : بذائع الزهور ج ٤ ص ١٥٥ .

(٤) مرزوق : الزخرفة المنسوجة .

العالم الإسلامى بواسطة المغول (١) .

ومن بين المنسوجات الحريرية التى صنعت فى العهد المالىكى نوع عرف باسم الحرير الفيار ، وهو قماش حريرى يبدى أكثر من لون واحد (٢) ، ولطه يشبه فى ذلك قماش البوقلون الذى كانت تصنعه نفيس من قبل .

ومنها أيضا نوع آخر اسمه الزربفت (٣) ، وهو قماش يفسج معظمه أو بعضه بغيوط الذهب (٤) .

وكما زادت العناية فى العهد المالىكى بالمنسوجات الحريرية ، فقد زادت العناية فى هذا العهد أيضا بتزيين المنسوجات بالزخارف المطبوعة . وأبدع ما تعرفه من أمثلتها ترجع إلى القرنين السابع والثامن بعد الهجرة (٥) .

### ب - الثياب

من المظاهر البارزة فى العهد المالىكى الإهتمام الزائد والثقل عاوى بالملابس والثياب ، فكل طائفة من الناس كانت لها وقتئذ ثيابها التى اختلفت بلبسها حتى أصبحت هذه الثياب من المعالم المميزة لها . والسلطان أيضا كانت له ملامسه الخاصة به والمميزة له ، وكذلك الأمراء والمالِك .

(١) ذكرى حسن : فنون الاسلام ص ٣٦٧ .

(٢) المقرئى ، السلوك ج ١ ص ٧٢٦ ، وحاشيه ٤ الدكتور زيادة

(٣) المقرئى : المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٢٥٦

(٤) الزربفت لفظ فارسى الاصل يقابله فى العربية كلمة الديباج أو السندس

Steingass : Pers. Eng. Dict

(٥) ذكرى حسن : فنون الاسلام ص ٣٦٧ .

✓ ولم تكن ملابس السلطان والأمراء واحدة في كل المناسبات والأوقات ،  
فلكل مناسبة ثيابها الخاصة بها ، ولكل طرف ووقت ملابسه التي تلائمه . وقت  
الخدمة له ملابس لا تلبس في غيرها ، وكذلك ثياب السفر ، وكذلك السرايات  
والصيد ، وكذلك ثياب التخفيف ، وكل نوع من هؤلاء يطول شرح تفصيله (١) .

✓ والملصق عندهم ملابس خفيفة يبعثه تعرف بالياض وتضيق من قماش  
النصافي (٢) . ولقشتاء ملابس الثقيلة المصنوعة من الصوف النفيس والحرير الفاخر  
وتحتها فراء السنجاب الفضي (٣) . ومن الطريف أن تعرف أن ارتداء الياض  
كان له وقت محدد حسب أنظمة هذا العهد ، وكذلك الصوف ، فلا يستطيع أحد  
من المماليك إرتداء أى منها قبل مواعده المحدد إلا إذا قرر السلطان ذلك .

واقده استخدمت عدة وسائل لتزيين الثياب ومن أبرزها الطرز الزركشي  
الذهب (٤) . وهذا الطرز كان يصنع في مصنع حكومي يقوم في خط الأكفائيين  
بالقاهرة ويعرف باسم قاعة الذهب . وبهذا المصنع أو هذه القاعة كانت تصنع

(١) ابن شاهين : فريدة كشف المماليك ص ٨٨

(٢) الفلقسندى : صبيح الأعراس ج ٤ ص ٤٠ .

والنصافي في قماش من نسيج الحرير والكتان Dasy : Supp. Diet. Ar

والنصافي أيضا هو ما له لونان من الرد . المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٥٨

سائيه ١

(٣) الفلقسندى : صبيح الأعراس ج ٤ ص ٤٠

(٤) المقرئى : المواظ ج ٢ ص ٢٢٧ . والزركشى كلمة فارسية معناها  
الحرير المتسوج بالنقش ، والمولدون يبنون منه فعلا فيقولون زركشى الثوب ،  
ومنه زركشه الكلام عندهم أى برقعته . محيط المحيط .

بعض الخلع التي يتخلس بها السلطان والتي يدخل الذهب في صناعتها أو زخرفتها . وقد وصف ابن إياس بعضها فقال عنها أنها « جر ذهب منسوجة شغل القاعة تلعب كالبرق » (١) وبما هو جدير بالذكر أنه لم يكن يسمح للجند بتزيين ثيابهم بالزركش الذهب إلا إذا كان لهم إقطاع في الحلقة فقط (٢) . أما الأمراء فكان يسمح بتزيين ثيابهم القوقانية (٣) به خصوصاً أكمامها (٤) ، أما ثياب العلماء فكان يزين أكتافها (٥) .

ومن أشهر الطرز الزركش الذهب التي استخدمت في تزيين الثياب في ذلك العهد طرز عريض كان يعرف بإسم « الطرز اليلبغاوى » نسبة إلى اسم الأمير يلغا العمري (٦) ، وهذا الطرز كان عريضاً بدرجة غير عادية وينطى مساحة كبيرة من الثوب حتى أن مساحته على بعض الثياب بلغت ثلاثة أذرع طويلاً وذراعان ونصف عرضاً من الذهب البندق الخالص . وقد ظل هذا الطراز مرغوباً فيه .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٠٥ .

(٢) المقرئى : لمواعظ ج ٢ ص ٢١٧ .

(٣) الثياب القوقانية هي الثياب الخارجية العلوية التي تلبس فوق الثياب الداخلية ، وقد آثرت أن استخدم هذا التعبير للدلالة على هذه الثياب لأنه نفس التعبير الذي استخدمته مصادر العهد المملوكي للدلالة عليها .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٥) ابن الحاج : المختل ج ١ ص ٧١ .

(٦) مر أحد كبار أمراء السلطان حسن ، ولقد تعاطف نفوذه إلى الدرجة التي مكنته من القضاء على هذا السلطان ، وكتيجيه لذلك أصبح أتابكاً للمسكر في عهد السلطان المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي ، وصار بيده تدبير أمور المملكة ، لكن السلطان الأشرف زين الدين شعبان الذي خلف السلطان المنصور محمد في السلطنة استطاع القضاء عليه خلال صراع دعوى لشب بينها .



ومستخدما في تزيين الثياب الفوقانية إلى أن بطل استخدامه نهائيا عام ١٩٢٤هـ<sup>(١)</sup> لكن الطرز الوركش لم يكن هو الوسيلة الوحيدة لتزيين الثياب في هذا العهد فقد استخدم الفراء على نطاق كبير لتزيين الثياب خاصة ثياب الأمراء ، وهي الثياب التي كان يقال عليها أنها مفراة أو مفرية<sup>(٢)</sup> . وبما ساعد على ذلك أن الفراء كان يحلب وقتئذ بكيات كبيرة من موطنه ، ولقد كان سوقه بالقاهرة وهو سوق الفرائين من أبرز أسواق القاهرة وقتئذ وأكثرها أهمية<sup>(٣)</sup> .

استخدم الحرير أيضا لتزيين الثياب وعملت منه سجايف<sup>(٤)</sup> لتزيين الثياب الفوقانية للعلماء ورجال الدين وأذيالها<sup>(٥)</sup> ، لكن كان يراعى أن لا يزيد عرضها عن الشبر لأن رجال العلم والدين كانوا يلزمون بتعاليم الدين الاسلامي التي تحرم على الرجل المسلم استخدام الحرير في ثيابه إلا بقدر محدود .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٧٧ ، ج ٢ ص ١٧٨ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٧١ - المقرئى : السلوك ج ٢

ص ٤١٢ .

(٣) في هذا السوق كان يباع فراء السنجاب والوشق والقاقم والرق والسود والفنك ، كما كانت تباع به الثياب المفراة . وقد بلغ من إقبال الناس وقتئذ على ارتداء الفراء أن صار يلبسه وآحاد الأجناد وآحاد السكاتب وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من لساء يياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه . المقرئى المراءظ ج ٢ ص ١٠٣ .

(٤) السجف هما السران المقرئان بينهما فرجة ، وهو السجايف أيضا المخصص

ص ٦٣

(٥) ابن الحاج . المدخل ج ١ ص ٧١ .

ونحن إذا ألقينا نظرة عامة على الثياب الفوقانية التي كانت تصنع في هذا العهد فإننا نجد أن أبرزها هو القباء بأنواعه ، والجلبة بأنواعها .

أما القباء فقد صنعت منه أنواع عديدة ليرتديها الأمراء ، ومن بينها والقباء الثرى ، الذى كان يصنع من الحرير الأطلس (١)

ولقد كان البساطاق ، نوعا من أنواع القباء الثرى ، وهو قباء بلا أكمام أو بأكمام قصيرة جدا ، وكان يصنع من القطن البلعكي أو من فراء السنجاب أو من الحرير اللامع ، كما كان يزين بالمجوهر الثمينة (٢) .

والبساطاق بدوره كان عدة أنواع ، ومن أنواعه البساطاق الصدر (٣) وكذلك السلارى ، الذى كان ينسب إلى اسم الأمير سلار (٤) ، وهو قباء بلا أكمام ويصنع من فراء السنجاب أو السمور أو من الحرير الأحمر أو من الصوف أو من البلعكي الأبيض (٥) .

والملاحظ أنه غالبا ما كان يلبس فوق القباء الثرى قباء آخر كان يعرف

(١) المقرئى : المواعظ ج ٢ ص ١٢

(٢) Dozy : Supp. Dict. Ar (٢)

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٨٢٠

(٤) الأمير سلار هو نائب السلطنة في العهد الثاني للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ولقد ابتكر هذا الأمير أشياء كثيرة في الملابس وقماش الخيل وأدوات الحرب ، ولذلك فقد نسبت إليه بعضه أشياء ، منها القباء السلارى والمناديل السلارية وأشياء أخرى غيرها . ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٥

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٣١١ ، ٤٣٠ ، ٧٩ ، ١٨٧ ،

باسم ، القباء الاسلاى ، (١) . وهو قباء عربى التفصيل ، لذلك أطلق عليه هذا الاسم تمييزا له عن القباء التترى والبغطاق والسلاوى (٢) .

ومن بين الاقبية التى كان السلطان يخلع بها على ارباب السيف قباء ، الطرز وحش ، وهذا القباء كان يصنع بدار الطراز بالاسكندرية وكذلك بدمشق ، ويرى بترز من القصب ، وبجاءات بها كتابات بالقباب السلطان ، وبجاءات اخرى طرز وحش ( أى جاءات بها رسوم تمثل مطاردة الوحش وصيده ) . وجاءات مائة ملونة بالوان بمنزلة بقصب مذهب ، وبين الجاءات نقوش تفصل بينها . وإذا أخلع السلطان بهذا القباء على واحد من كبار رجال السيف فى هذه الحالة يضاف إليه طرز زركش ذهب (٣) .

وتحت قباء الطرز وحش كان يلبس قباء آخر من المقترح الإسكندرانى الطرز (٤) .

أما قباء الكنخا (٥) فكان يصنع من الحرير وينقش بلون مغاير لونه ، وإن كان أحيانا ينقش بلون مقارب لونه مع تفاوت بينهما ، كما كان يتميز بوجود فراء سنجاب بقندس تحته ، وهو من الاقبية التى كان السلطان يخلع بها أيضا على ارباب السيوف (٦) .

(١) المقريزى : المواعظ ج ٢ ص ٢١٧

(٢) المقريزى : السلوك ج ٢ ص حاشية ١ Dozy : Supp. Diet. Ar

(٣) المقريزى : المواعظ ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٤) نفس المرجع والجزء والصنفه .

(٥) الكنخا كلمة فارسية تعنى النسيج الرفيع المنسوج من الحرير . محيط

المحيط .

(٦) المقريزى : المواعظ ج ٢ ص ٢٢٧

أما القباء الذي كان السلطان يخلع به على الوزراء وكبار موظفي الدولة الكتاب فكان من الكتان الأبيض المطرز برقم حريري ساذج ومنجباب مقدس<sup>(١)</sup> .

أما الرقب الدنيا من رجال السيف فكان السلطان يخلع عليهم قباء<sup>(٢)</sup> مجوما لونا واحداً ، أو قباء مقندسا أى على بفراء القندس . وهذا القباء كان يزين بمخاضات حمراء وخضراء وزرقاء وغير ذلك من الألوان بمنجباب وقندس . وتحت هذا القباء كان يلبس عادة قباء آخر أزرق أو أخضر<sup>(٣)</sup> .

وفي عهد السلطان الأنور شعبان كانت أقبية كبار الأمراء من الحرير بفرو سمور وبأطواق سمور وطرز ذر كش<sup>(٤)</sup> .

أما السلطان خشمقدم فكان يلبس أقبية مصنوعة من الصوف الأخضر ومبطنة بالخممل الأحمر<sup>(٥)</sup> .

ولقد كانت السكاملية ، أحد الأردية الفوقانية التي اعتاد المهابيك لبسها فوق ثيابهم<sup>(٦)</sup> ، وهي عادة تكون ضيقة الكم مفرجة الذيل - أى مفتوحة الذيل -

(١) نفس المرجع والمجلد والصفحة

(٢) النسيج المجموع هو النسيج المزين بيقع مستديرة منسوجة في ذات القماش

أو مرسومة عليه . مرزوق . الزخرفة المنسوجة ص ٧٥

(٣) المقرئى : المراجعة ص ٢٢٧

(٤) أبو الحسن : النجوم ص ١١

(٥) ابن إياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ١٨٢ ، بدائع الزهور

ص ٢٢٨

(٦) المقرئى : السلوك ص ٢٦٨ حاشية ١ - Dozy : Supp. Dict. Ar

وهذا التفريع يبدأ من الحافة السفلى لذيها ويرتفع إلى أعلى (١) . ولقد صنعت  
الكاملية من منسوجات عديدة ، كالخيط بأصابع عدة ، فكان منها كاملية صوف  
صيني بسمور (٢) ، وكاملية مخمل بسمور (٣) . وكاملية صوف أزرق بسمور (٤) .  
وكاملية جرشغل القاعة بسمور (٥) . وكاملية تماسيح على أحمر بفر بسمور (٦) .  
أما الملوحة ، فكانت رداءاً فوقانياً له ياقة (٧) . وله أزرار يزر بها (٨) .  
ولقد شاع لبسها بين الممالك المراكمة على وجه الخصوص (٩) .

وما تحذر الإشارة إليه أن الناس زمن الميرى كانوا يستهجنون لبس  
الثياب المصنوعة من الجوخ ويقولون : وهل الجوخ إلا لأجل البغلة ، لذلك لم  
يكن يلبسها إلا بعض الأكابر والأعيان وقت المطر فقط ، فإذا ارتفع المطر  
نزعوها عن أجسادهم .

غير أنه كتنيجة للمحنة الاقتصادية التي أصابت مصر في عهد السلطان فرج بن

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٨٠ - ماير : الملابس المملوكية

ص ٢٥ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٧٢

(٣) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٨١ .

(٤) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٢٨٣

(٥) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ٣٩٥

(٦) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ١٦٧

(٧) ماير . الملابس المملوكية ص ٤٥

(٨) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٩) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٧

يرتقون إحطار الناس أن يلبسوا ثياب الجوخ وصار يلبسها معظمهم حتى الأمير والوزير والقاضي ، بل إن السلطان فرج بن برقوق نفسه لبس ثيابا من الجوخ ومن بينها « قجون » ، وهو ثوب قصير الكين والبدن ، يخط من الجوخ بغير بطانة من تحته ، ولا غشاء من فوقه . وعلى أثر ذلك انتشر لبس القمجون بين الناس (١) .

تلك كانت أبرز أنواع الاقية والاردية الفوقانية التي كان يرتديها رجال السيف على وجه الخصوص . أما الثياب الفوقانية لرجال العلم والدين فأبرزها وقتشد والجبة . . وهي في الواقع كانت الرداء الفوقاني الرئيسي لرجال العلم والدين ، وكذلك لكبار رجال القلم كالوزير وشيخ (٢) .

والجبة وقتشد كانت نوعين : ريفية وحضرية . أما الريفية فكانت تصنع من صوف غليظ ، ويجعلون أكامها مقسمة خصوصا شعراؤهم . أما الحضرية فكانت تصنع من الصوف الرفيع اللطيف ، ويجعلونها منصورة الأباط مفتوحة ، وكان يقال لها الجبة المقرجة لكونها انفرجت عن قدم لابسها وبان ما تحتها ، كما أنهم كانوا يصنعون لها سجايف الحرير (٣) .

لكن جباب كبار أرباب الوظائف الديوانية كالوزير ومن يماثله كانت تميز عن باقي الجباب الحضرية بتفريجها من الخلف (٤) .

(١) المقرئ : المواعظ ج ١ ص ٩٨

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٣ .

(٣) الشريف : هز التحوف ص ١٠٦

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٣ .

ولقد كانت « التواضع » نوما من الجباب الحضرة لكونها مفرجة المقدم مثلها ، إلا أنها كانت لا تصنع إلا من الصوف (١) .

أما جبة القضاة والعلماء فقد سميت بالفرجية لأن وجهها الأمامى كان مفرجا - أى مفتوحا - من أحلاه إلى أسفله ، ولذلك كانت تزود بصف من الأزرار (٢) ولقد تميزت هذه الفرجية بتلويح الأكام (٣) ، كما أنها كانت تصنع من أقشة متنوعة تلائم فصول السنة كالصوف والقطن والحريز .

ولم تكن الفرجية هى الثوب الفوقانى الوحيد للقضاة ورجال العلم ، فالدلق ، أيضا كان من ثيابهم الفوقانية ، وهو ثوب سابل على القدمين ، متسع بنمير تفريق متسع الأكام ، ففتح على كفه (٤) .

أما الدلق الخاص بمشايخ الصوفية فلم يكن سابل ولا طويل الكم (٥) ، كأن الدلق الخاص بخطباء المساجد كان أسودا مدورا (٦) .

(١) المقرئى : إلبوك ج ١ ص ٤٤٣ حاشية ٢

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢٠ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧٠ .

(٤) نفس المرجع السابق والجزم والصفة - القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤

ص ٤١ .

(٥) القلقشندى : نفس المرجع السابق والجزء ص ٤٣

(٦) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧٠ - المقرئى : المواقف

ج ٢ ص ٢٢٨

ومعنى الدلق المدور أنه دلق لفتحة مدورة للرقبة . ماير : الملابس الملوكية

ص ١٠٧ حاشية ٤

هذا ولقد شاع عند بعض الناس لبس دلوقة الشبهة والمرقعات . . . ولقد اتفق ابن الحاج هذه الدلوقة بشدة وطلب من الخياطين الامتناع من صنعها وبخياطتها ، ومن خلال نقده أعطانا وصفا لها ، ومن بين ما قاله عنها أنه يتعين على الخياط أن يتجنب خياطة دلوقة الشبهة والمرقعات التي اتخذها بعض الناس كأنها دكاكين ، فتجد بعضهم يأخذ خروقة جملة مختلفة الألوان أبيض وأصفر وأخضر وأحمر وأسود إلى غير ذلك ، ويرتبونها واحدة بجانب الأخرى . وبعضهم يتنالى في تلك المرقعات فيجعلها من القماش الرفيع الفاخر الذى لتفصيله لمن كثير ، فيقطعونها خروقة خروقة لأجل غرض الشبهة الممنوعة في الشرع الشريف (١) .

والواقع أن الإسراف في صنع الثياب الغالية لغرض الشبهة لم يكن أمراً قاصراً على دلوقة الشبهة فقط ، فالنساء أيضاً كن يستهوين عمل الثياب الغالية الثمن ولبسها .

ففي عهد السلطان الناصر محمد بن تولاوون كن يرتدين فرجيات غاليات الثمن ثمن الفرجية منها حوالى خمسة آلاف درهم ، كما كن يلبسن أزرا حريرية ، قيمة الإزار منها ألف درهم (٢) .

كما أنهن في عهد السلطان حسن كن يرتدين البغلطاق وكذلك البهطة ، والبهطة قميص مسرف في الطول يتدل جزء كبير منه على الأرض ويتسع كح إلى حوالى الثلاثة أذرع وتبلغ تكاليف صنعه حوالى الألف درهم (٣) . لكن الحكومة

(١) ابن الحاج : المدخل ٣٤ ص ٤٥

(٢) المقرئى : السلوك ٢٦ ص ٥٣٦

(٣) المقرئى : المواظ ٢ ص ١٢٢



المالية شفت حربا على هذا النوع من القمصان (١) لما فيها من إسرائف وخروج على الفضية ، فأكلها الزائده الإتساع كانت تظهر أعكان المرأة ويهودها إذا رفعت يدها (٢) . وأمر الأمير متجك وزير السلطان حسن بمطاردة النساء اللاتي يلبسنها والقبض عليهن وتقطيع أكمامهن (٣) .

## صناعة أغطية الرأس

غطاء الرأس لم يكن موحدا في العهد الماليكي ، فكل طائفة من طوائف المجتمع كان لها غطاء رأس خاص بها .

في أوائل العهد الماليكي البحري كان السلطان والأمراء وسائر العسكر يكتفون بلبس كلونات (٤) صفراء مضربة تضريسا عريضا على رؤوسهم ولها كلاليب (٥) بنير حمامة فوقها ، فلما تولى السلطان المنصور قلاوون السلطنة أمر الأمراء

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ١٩٣

(٢) ابن الحاج : المدخل ج ١ ص ١١٨

(٣) المقرئ : المواعظ ج ٢ ص ٢٢٢

(٤) الكلوة غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة ، وتجمع على كلوات وكلاوات ، وتسمى أيضا كفتة وكفتاه . وقد اختلف الأصوليون في أصل هذا الاسم ، فيقول بعضهم إنه من اللفظ اللاتيني Calva ، أى غطاء أعلى الرأس ، ويقول آخرون أنه من لفظ لاتيني آخر هو Calatitica ، كما يقول فريز ثالث إنه مررب اللفظ الفارسي كلوته . المقرئ : السلوك ج ١ ص ٩٣ حاشية ١

(٥) الكلاليب جمع كلاب وهو ما يبر عنه بلفظ مشبك . المقرئ :

السلوك ج ٢ ص ٢٢٦ حاشية ٥ .

جند الممالك بلبس الشاشات<sup>(١)</sup> طيبا ، ثم لما قول إبنه الأشرف خليل بن  
ملاوون أسرم بلبس كلوات زركش .

ثم استجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عمام صغار فنسبت اليه وسميت  
بالمائم الناصرية .

ثم لما عظم أمر الأمير يلغا الممرى في عهد السلطان شعبان ابتدع نوعا كبيرا  
من الكلوات ، فنسبت اليه هذه الكلوات وعرفت بالكلوات اليلغاريه ، لكنها  
عرفت أيضا في نفس الوقت باسم الكلوات الطرخانية .

وفي عهد السلطان الظاهر برقوق بالغ الممالك في تكبير كلواتهم وعملوا في  
سدها موجبا فاشتهرت باسم الكلوات الجركية<sup>(٢)</sup> .

ومن بين المائم التي شاع صنعها ولبسها - خصوصا في أواخر العهد المملوكي  
جركى - عمامة عرفت باسم التخيفة . ومنها نوع كبير له قرون طوال عرف  
باسم التخيفة الكبيرة كما اشتهر أيضا باسم الناهورة . ويقول ابن إياس عن  
التخيفة الكبيرة و هي الآن في مقام التاج ملوك مصر من حين قولوا بها الأتراك  
وكانت التيجان يلبسونها ملوك الفرس من الأكاسرة ، فصارت التخيفة الكبيرة التي  
بالقرون الطوال لسلطين مصر هي التاج لهم<sup>(٣)</sup> .

ولم يقتصر لبس التخافيف التي بالقرون على السلاطين فقط ، فقد لبسها

(١) الشاش هو ما يلف حول غطاء الرأس من قماش . المزيوى : السلوك  
٢٠ ص ٣٣٦ حاشية ٢ .

(٢) المزيوى : المواعظ ج ٢ ص ٩٨ ، ٢١٧ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٢١ - والتخيفة هي عمامة صغيرة  
محيط .

الأمراء المتقدمون أيضا منذ عام ١٩٠٢<sup>(١)</sup> ، وفي عام ١٩١٤ كبر الأمراء تخافيقهم وطولوا قرونها حتى خرجوا في ذلك عن الحد<sup>(٢)</sup> .

لكن التخافيف لم تكن كلها بقرون ، فقد كان منها نوع صغير بدون قرون غالبا ما كان يسمى التخفيفة الملسة أو الملساء<sup>(٣)</sup> .

ولم تكن التخافيف هي وحدها التي اتخذت كالتاج ، فأمرء المالك كانوا يلبسون في حفل ترفيتهم إلى رتبة الإمارة شربوشا بنير عمامة<sup>(٤)</sup> . والشربوش دى - يشبه التاج كأنه مثلث الشكل<sup>(٥)</sup> .

✓ وفي عهد السلطان الظاهر برقوق شاع عند رجال الدولة من الأمراء والمالكة والامناء لبس الطواق فوق رؤوسهم بنير عمامة ، وهى طواق ترتفع إلى نحو السدس ذراع ويصل أعلاها مدورا مسطحا ، وتتنوع ألوانها ما بين أخضر وأحمر وأزرق وألوان أخرى .

---

(١) ابن ايامس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ج ٤ ص ١٢٨ .

(٣) نفس المرجع السابق والجزء ص ٢١٢ ، ٢٩٠ .

(٤) القرينى : الملاحظ ج ٢ ص ٩٩ .

(٥) نفس المرجع والجزء والصفحة - وما يذكر أنه في حفل ترقية الأمير إلى رتبة الإمارة يزل الأمير المرق من قلعة الجبل في موكب رسمى وهو لا لبس الشربوش فوق رأسه ، حتى يصل إلى قبة ضريح السلطان المنصور فلارون . وهناك يحلف عند التمر المذكور ، ثم يعود بعدها بيتا يكون أهل الأغاقي قد جلسوا له في طريقه ليزفوه في زوله وصعوده . الملاحظ ج ٢ ص ٢٨٠ - السلوك ج ٢ ص ٧٧

ثم تطورت هذه الطاقية فأصبحت تعرف بالطاقية الجرمنية ، وبالفوا في حشوها بالورق والكثيرة فيما بين بطانتها وقاشها ، وجعلوا أعلاها مدوراً مقيماً ورفعوا عصابتها إلى نحو الثلث ذراع ، وجعلوا من أسفل هذه العصاية زيقاً من فرو القندس عرسته نحو ١/٢ ذراع بلف حول الطاقية فوق جبهة الرجل وعنقه .

وبما هو جدير بالذكر أن النساء أقبلن على لبس هذه الطاقية ، لكنهن بالنسبة في عملها بالذهب وأخيراً ونحوه .

أما الأوشاقية - ومفاته من حرس السلاطين - فكانوا يلبسون فرق رؤوسهم نوعاً من الطواق على صفة العباسات ، وهذا النوع من الطواق كان يعرف باسم الكوفى الزركش<sup>(١)</sup> . لأنها كانت تزين بزرقة مذهبة .

لكن هذا النوع من الطواق لم يقتصر لبسه على الأوشاقية فقط ، فالوزير في العهد الجركسى كان يخص حين ولايته الوزارة بكوفية مزركشة بالذهب قدر ثلاثة أصابع ، ولقد حرص وزراء هذا العهد على إبراز زركشتها للناس لذلك رفعوا عماياتهم عنها قدر ربع ذراع<sup>(٢)</sup> ، كما أن النساء أعجبن بهما فأقبلن على

(١) المقرئى : الملاحظ ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٠٤ - ويقول المقرئى أنه من بين أسباب إقبال النساء على لبس هذه الطواق أنه : فشا في أهل الدولة محبة الذكر فقصت نساءهم التشبه بالذكر ليستمان قلوب رجالهم فافتدى بعضهم في ذلك دامة لساء البلد . المقرئى : نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٢) : المرجع ، الجزء ١٨٢ - والطاسة طاقية صغيرة . Dozy ; Sapp. Dict. Ar. أما ابن إياس فيقول عن الطاسة أنها عرقية بذهب . ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٠٤ .

(٣) الخالى : المقصد الرفيع ص ١٢٦

أرتدائها فوق رؤوسهن وحرمهن على التزين بها (١) .

ورغم أن الكوافي كانت غالبا ما تتركش بالذهب إلا أن بعضها كان يصنع من الصوف المرص أي صوف الماسر ، وقد لاق هذا النوع رواجا عند الناس (٢) .

ولقد كان الزنط ، أيضا ، بين أغلبية الرأس التي لبسها الممالك الجراكسة . والزنط كان في الأصل غطاء رأس الفلاحين (٣) ، ثم أصبح بمعنى الوقت غطاء رأس للممالك الجراكسة أيضا ، وهو عبارة عن قفص حواء اللون تتدلى منها سراريب طويلة بلون الإبريق (٤) .

والقفص - وهي غطاء رأس طويل - كانت مألوفة في مصر منذ العهد العباسي لكنها كانت تصنع في العهد المماليكي من الكتان المصبوغ وخيوط الإبريق (٥) . أما القبع (٦) - وهو أحد أغلبية الرأس في هذا العهد أيضا - فكان يصنع من الحرير ويزين بالذهب (٧) .

(١) القريري : المراعط ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) القريري : السلوك ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ .

(٤) ماير : الملابس المملوكية ص ٥٩ .

(٥) القيردي : نهاية الرتبة ص ٦٠ .

(٦) القبع هو ما ينطى الرأس من فوق كقبع البرنس مثلا - يحيط المحيط

(٧) ابن الحاج : المدخل ج ٣ ص ٤٧ - القريري : السلوك ج ٢ ص ٤٩٤ .

أما كبار رجال الدين والعلم والقلم فقد تميزوا بعبائم خاصة ، فعبامة الخليفة العباسي كانت « مدورة لطيفة عليها وفرف من خلف تقدير نصف ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها » (١) .

ومنذ عهد السلطان الأشرف شعبان وبأمر منه أصبحت عمامات الأشراف في الديار المصرية والبلاد الشامية تتميز بشطقات خضراء بارزة « لإجلالاً لحقهم وتعظيماً لقدومهم ، ليقابلوا بالقبول والاقبال ، ويمتازوا عن غيرهم من المسلمين » (٢) .

أما القضاة والعلماء فقد تميزوا بلبس العمام من الشاشات الكبار للغاية ، والتي يتدل منها خوابة طويلة إلى ما بين الكتفين أو اليدين حتى أن هذه الخوابة قد تصل في بعض الأحيان إلى قربوس السرج (٣) إذا ركب الواحد منهم ، غير أن بعضهم كان يتخذ الطليسان الفائق بدلاً من الخوابة (٤) .

والطليسان أشبه بالطرحة يغطي العمامة والراش ، وبعضهم كان يبالغ في طوله إلى حد كبير (٥) ، ومنه نوع كان يختص بالوزراء وقضاة القضاء لإسسه الطليسان المقور (٦) .

(١) إلفنغندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٧٦

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٥٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢٧ .

(٣) قربوس السرج حذو ، أو هو الحشبة الصغيرة القائمة في مقدمه . محيط المحيط .

(٤) إلفنغندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢ .

(٥) ابن الحاج : المدخل ج ١ ص ٧٠ - إلفنغندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٢٨٨

(٦) إلفنغندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٨

والجدير بالذكر أن العمام لم يقتصر لبسها على الرجال فقط ، فنذ أوائل العهد المماليكي المتركى لبست النساء العمام أيضا وتزين بزي الرجال ، فتودى في القاهرة ومصر عام ٦٦٢ هـ أن امرأة لا تتمتع بحمامة ولا تزيا بزي الرجال ، ومن فلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة (١) ، لكن بالرغم من ذلك فقد استمرت النساء يلبسن العمام ، وتميزت حمامهن بسنامين (٢) .

والواقع أن لبس المرأة للعمامة لم يكن هو الشيء الوحيد الذي حاولت منه الحكومة وقتئذ ، ففي عهد السلطان قايتباي شغقت النساء بلبس عصابات قصيرة فوق رؤوسهن اشتهرت باسم العصابات المقزعة ، فتودى بمنمن من الاستمرار في لبسها ، ووضعت مواصفات لعصابات رؤوسهن ، واشترط على صناعها وبائنها بأن لا يقل طول المصاصة عن ثلث ذراع وأن تكون عتومة بحتم السلطان من الجانبين ، ولشط رجال المحتسب في تتبع النساء بالاسواق ، فإن وجدوا امرأة بعصاصة مقزعة علقوا عصاباتا برقبته وضربوها وجرسوها ، وإزاء ذلك اضطرت النساء لبس العصابات الطويلة إذا خرجن إلى الأسواق لكن هذا الأمر لم يدم طويلا ، ثم عدن إلى ما كن عليه من لبس العصابات المقزعة (٣) .

== هذا ولقد كانت الطرحة التي توضع على العمامة وتفصل على الظهر امتيازاً خاصاً لقاضي قضاء الشافعية فقط ، ثم شمل هذا الامتياز قاضي قضاء الحنفية بعد ذلك بناء على طلبه . السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧٠ ، ٢١٥ — القلشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢ .

(١) المقريزي : السلوك ج ١ ص ٥٠٦ .

(٢) ابن الحاج : المدخل ج ١ ص ١١٨ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٢ .

هذا ولقد كان من عادة لساء البدو أن يلقفن حول عصابات رؤوسهن الشنابر المصهرة ، والشنبر المصهر شريط من الحرير الاسود أو الاحمر القاتم عرضه شبران وطوله سبعة أذرع تلفه المرأة البدوية على رأسها فوق عصابة بحيث يتدل أحد طرفيه من مقدم رأسها ويتدل طرفه الثاني من مؤخرها (١) .

### صناعة كسوة الكعبة

بعد أن فتح العرب مصر أمر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بأن تصنع كسوة الكعبة بها كل عام من قماش القباطى الذى كانت تشتهر مصر بلمسجه فى ذلك الوقت . ويخبرنا الأزرقي فى أخبار مكة أن عمر كسا الكعبة القباطى من بيت المال ، وأنه كان يكتب لىكى تحاك لها هذه الكسوة بمصر (٢) .

ومنذ هذا الوقت ظلت مصر تتكفل سنويا بصناعة هذه الكسوة فى مصانع لسيجها ودور طرزها فى تيفيس (٣) وشعنا (٤) وتونة ودمياط . وقد روى الفاكهى فى أخبار مكة أنه رأى بعض هذه الكسوات وعليها لصوص تفيد أنها صنعت فى هذه الدور .

وفى العهد العباسى كانت هذه الكسوة تصنع من الديباج الاسود (٥) ، ولكن

(١) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٥٢٨ .

(٢) الأزرقي - أخبار مكة ج ١ ص ١٦٨ .

(٣) المقرئى : الملاحظ ج ١ ص ١٨١ .

(٤) نفس المرجع السابق والمجرد ص ٢٢٦ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعيان ج ٤ ص ٢٨١ .



في العهد الفاطمي: أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أن تصنع من القباطي البيض (١) ولكن لما عادت مصر تدين بالولاء مرة أخرى للخلافة العباسية منذ عهد صلاح الدين الأيوبي عادت تصنع هذه الكسوة سوداء اللون كما كانت تفعل من قبل لأن هذا اللون كان شعارا للعباسيين (٢).

والكسوة التي صنعت في تلك الفترة كانت تصنع في مصنع يختص بها بالقرب من مشهد الحسين بالقاهرة (٣)، كما كانت دار الطراز بالاسكندرية تقوم بعمل القماش الأطلس اللازم لها (٤)، وخصص لها ناظر مستقل يختص بمباشرة أمر صنعها، كما وقفت لها أرض بيسوس بغواحي القاهرة للصرف عليها (٥).

وحتى أوائل عهد السلطان فرج بن برقوق كانت الكعبة تكتسى من أعلاها إلى أسفلها بالديباج الأسود، وبأعال هذه الكسوة طراز رقم بالبياض (٦) من أصل النسيج مكتوب فيه (إن أول بيت وضع للناس الذي بمكة مباركة) ... الآية.

كما أن بابها كان يصنع له برقع مرقوم فيه بالبياض أيضا، غير أنه في خلال عهد السلطان فرج بن برقوق غير لون طراز الكسوة من اللون الأبيض إلى اللون

(١) السيوطي: حسن الماخرة ج ٢ ص ١٥٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٨١.

(٣) نفس المرجع السابق والجزء ص ٥٧.

(٤) المقرئ: السلوك ج ٤ ص ١٩٥.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٧.

(٦) أي طراز كتاب أبيض اللون، فالرقم هو الكتابة. محيط المحيط.

الأصفر ، وصار الرقم في سواد الكسوة بحبر أصفر مقصب ، فصار أكثر جمالا لشدة التضاد بين البياض والسواد .

كما جعلت بعض جوانب الكسوة من الديباج الأسود على العادة ، وبعضها الآخر كتفا أسود بجمامات مرقوم فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله .  
ثم جعل يرفع البيت بعد ذلك من حرير أسود مشدورا على الخياش (١) الفضة الملبسة بالذهب فزاد نقاسة وعلا قيمة .

وفي عام ٨١٤ هـ جعلت لواجهة الباب كسوة من كتفا أزرق بجمامات مكتوب فيها والله العالم ما كان وما يكون ، (٢) .

هذا ولقد كان حرص المماليك شديدا على أن تكون كسوة الكعبة من اختصاصهم وحدهم فقط ، لذلك لم يسمحوا قط لأحد من ملوك البلاد الإسلامية الأخرى بالقيام بهذا العمل ، وتصدوا بحزم وشدة لكل محاولة من هذا النوع . ففي عهد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون حج الملك المجاهد ملك اليمن وأشيع أنه يريد كسوة الكعبة فتصدى له المسكر المصرى وهزموه هو ومن معه ، وأسر وحل إلى مصر فاعتقل بها (٣) .

وفي عام ٨٧٠ هـ قام الملك محمد الدين إسماعيل ملك اليمن بمحاولة بمائة إلا أن أمير الحاج المصرى والحجاج المضريون الذين كانوا بصحبته تصدوا له

(١) الخياش هي الفضة الملبسة بالذهب . المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٥ .  
والكتفا كلمة فارسية تعنى السيج الرفيع المنسوج من الحرير . محيط المحيط .

(٢) التلغشتى : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٣) التلغشتى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٢ .

فاحتفل أيضا (١).

وفي عهد السلطان برسيای بعث السلطان شاه وخ بن تیمورلنك يطلب الإذن له بكسوة الكعبة تقوئل طلبه بالرفض ، لكنهماد يكرر نفس الطلب في عهد السلطان جقمق ، فاضطر السلطان جقمق لإزاء إصراره وإزاء عودة حلتة فاشلة من رودس أن يستجيب لطلبه هذه المرة ، لكنه أصر في نفس الوقت على أن توضع كسوة وخ تحت كسوته (٢).

ولقد كان الاحتفال الذي يجرى سنويا بمناسبة إرسال كسوة الكعبة إلى مكة على محل خاص من أهم الاحتفالات السنوية التي كانت تشترك فيها الحكومة المالكية مع الشعب بمختلف فئاته وطوائفه ، ففي شهر رجب من كل عام كان يحتفل بدوران هذا المحمل إذئانا يسفره إلى الحجاز بحضور السلطان ذاته . ويبدأ الاحتفال في باكر النهار بمرض في رمى الرمح يقوم به الراحة أمام السلطان ، ثم تعرض الكسوة الشريفة على الناس محمولة على رؤوس المالكة والقضاة والعلماء والمشايع والصلحاء ، وطوائف الفقراء - أي الصوفية - يسرون بها أمام المحمل . وبعد الظهر من نفس اليوم تعرض الكسوة ويطاف بها مرة أخرى ، وفي الليل تطلق صواريخ النفط ابتهاجا بهذه المناسبة (٣).

---

(١) المقرئى . السلوك . مخطوط . مجلد ٢ ص ١١٧

(٢) السخاوى : التبر المسبوك ص ٩٦ - ٩٨

(٣) ابن شافين : زبدة كشف المالك ص ٨٧

## صناعة الخيام

احتلت صناعة الخيام أهمية خاصة بين صناعات مصر في عهد المماليك . فالخيام وقتئذ كانت لها أهمية خاصة في حياة المجتمع المصري لأنه كان يستخدمها في استخدامات عديدة في مناسبات وأوقات عديدة ، ولذلك فقد كان الخياميين - أي صناع الخيام - خط خاص بهم بالقرب من الجامع الأزهر<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن صناعة الخيام في عهد المماليك تعتبر امتداداً لما كانت عليه هذه الصناعة في المماليك<sup>(٢)</sup> ، وهذا يدعونا إلى أن نلقي نظرة عامة على هذه الصناعة في عهد المماليك خصوصاً العهد الفاطمي .

في العهد الفاطمي كانت تصنع أنواع عديدة من الخيام ، ولكل نوع منها اسم خاص ، ولقد ذكر المقرئ في بعضها وأعطانا وصفاً موجزاً لها<sup>(٣)</sup> ، ومن بين الخيام التي ذكرها :

المسطح : خيمة على هيئة حائط مربع له أربع حيطان وسقف بستة أعمدة منها عمودان الحائط الواحد .

الخيمة : خيمة ظهرها على هيئة حائط مربع ، كما أن سقفها الممتدة إلى الباب على هيئة حائط مربع أيضاً ، أركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم ، وفيها أربعة أعمدة إثنان في الباب وإثنان في وسطها ، وكلما زاد حجمها وزادت مساحتها زاد عدد أعمدها .

---

(١) المقرئ : الملاحظ ج ٢ ص ٩٣

(٢) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٤١

الشراع : خيمة يرتفع سقفها على عمودين ، أما ظهرها فهو على هيئة حائط يحول إلى ناحية الشمس حيثما تدور .

المشرعة : خيمة على هيئة المظلة ترتفع على عمود واحد ، ولها شراع سايل خلفها يحرك ويدار إلى حيث تدور الشمس ، بينما تظل قبة الخيمة على حالها .

كما أشار المقرئ إلى خيام أخرى كانت تصنع في هذا العهد منها المضارب<sup>(١)</sup> والغازات والحراكوات<sup>(٢)</sup> ، والحصون ، والقصور ، والنساطط .

وفد صنعت هذه الخيام من خامات عدة ومن منسوجات مختلفة مثل الديق والمحمل ، والخمرواني ، والديباج الملكي . والأرمن ، والبهنساوي ، والكردواني والحلي ، والسندس ، والطميم .

وزخرفت هذه الخيام بأشكال حيوانات وطيور كالقيلة والسباع والخيول والطاراويس وغيرها ، غير أن بعضها كان ساذجا بدون نقوش ، والبعض الآخر منقوشا في ظاهره بقرائب النقوش .

أما أعمدتها فكانت تلبس بأنابيب فضة ، أو تكسى بتياب مذهبية أو غير مذهبية من سائر الأنواع والألوان ، كما لبست حبالها بالقطن والحرير .

أما قبتها من الخارج فكانت تغلبها صفرية ، وهي حلية معدنية تصنع من الفضة ويختلف حجمها حسب حجم الخيمة .

---

(١) المضرب هو النسطاط العظيم . المخصص ٦ ص ٧

(٢) الحراكاة بيت من خشب يصنع على هيئة منصوعة ، ويفشى بالجوخ ونحوه . وتحمل الحراكاة عند السفر لتكون في الخيمة للمبيت بها في الشتاء وقاية من البرد . القلقشندي : صبح الأعشى ٢ ص ١٢٨

أما سائر أدوات الخيمة وآلاتها وهدنها وأوتادها فسكان تبطن بأنواع  
من القماش الفاخر كالديبق الطعم المذهب والحمر واني المذهب والقماش الحرير  
الصيني والقسرى والرجيح والشرقي والشمري والديباج والمريش وسائر أنواع  
الحرير من سائر الألوان .

وتنوعت أحجام هذه الخيام ، ومنها ما كان تحمل أوتاده وعمده وسائر  
هدنه على عشرين بعيرا ، ومنها مادون ذلك أو أكثر (١) .

ومن أشهر خيام الفاطميين الضخمة والقائول (٢) ، وهي خيمة كانت تشتمل  
على قاعة كبيرة تنفرع منها أربع قاعات أخرى تشتمل مساحة تزيد على الفدائين ،  
وكان عمود قاعتها الرئيسية يرتفع إلى سبعين ذراعا ، وبقيته صغرى ضخمة من  
الفضة تسع راوية ماء (٣) .

أما خيمة الخليفة الفاطمي المستنصر فقد ظل مائة وخمسون عاملا يعملون في  
صناعتها لمدة تسعة أعوام متوالية حتى أتموها ، فجاء محيطها خمسمائة ذراع ، وكانت  
تقوم على عمود ارتفاعه خمسة وستون ذراعا ، وتتكون من أربع وستين قطعة  
تجتمع مع بعضها بعري وشراريب ، وبلغ من ضخامتها أن قاشها وجبالها وهدنها  
كانت تحمل على مائة رجل ، كما أن صغرى المصنوعة من الفضة كان وزنها ثلاثة

---

(١) المقرئى : الملاحظ ج ١ ص ٤١

(٢) سميت هذه الخيمة بالقائول وذلك بعد أن سقط من فوقها فراشا فأت  
لساعته . القلقشندى : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٧١

(٣) نفس المرجع السابق والجزء والصفحة - المقرئى : الملاحظ ج ١

قناطير مصرية ، وتسمع من الماء ما يقدر براوية جمل . ولقد صور في رفرق هذه الخيمة العديد من صور الحيوانات والأشكال الطريف والمفرد المليحة (١) .

ولقد شاهد ناصر خسرو في احتفالات فتح الخليج سرادقا ضخما من الديباج الروى موسى كله بالذهب ومكلا بالجواهر وقال أن ظله يقسع لماة فارس (٢) .  
تلك كانت صورة عامة لما بلغت صناعة الخيام في العهد الفاطمي من تقدم ، ولا شك أن هذه الصناعة قد ازدادت نمجا وتطورا بعد ذلك .

وفي العهد المماليكى صنعت أنواع عديدة من الخيام ، واستخدمت هذه الخيام إستخدامات عدة ؛ فبعضها صنع لتظليل الأسواق ومن أمثلتها خيمة كانت تظلل الألفاف بالسوق الذى يتقدم المدرسة المنصورية (٣) .

كما أن بعض الأسواق الطاهرة التي كانت تقام في بعض المناسبات كانت تشيد كلها بالصواوين (٤) .

ويخبرنا المقرئى عن جامع أمر السلطان الطاهر بيبرس بعمله عام ٦٦١ هـ من القماش المفصل ، فعمل كما أمر وضرب على يمين خيمة السلطان الثعنه وجعل فيه محاريب وأبواب وعملت فيه مقصورة برسم السلطان (٥) ، أى خاصة له .

وصنعت خيام مرسية كانت تنام في أماكن الاحتفالات أو أماكن الزمة

(١) المقرئى : المواقظ ١٣ ص ٤١٩

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٥٢

(٣) المقرئى : المواقظ ٢٣ ص ٤٠٧

(٤) نفس المرجع السابق والجزء ص ١١٢

(٥) المقرئى : السلوك ١٣ ص ٥٠١

واللهو التي كان الناس يرتادونها مثل الازبكية وبركة الحبش وجزيرة بولاق (١).

وعما يافت النظر أن بعض هذه الخيام ظلت تحمل نفس الأسماء التي كانت تطلق عليها في العهد الفاطمي ، كالمضارب والمرادقات والقباب والشراعات (٢) ، وهذا يؤكد ما سبق أن قلناه أن صناعة الخيام في العهد المملوكي استمرت على نفس تقاليدھا الموروثة التي كان معمولاً بها قبل هذا العهد .

ولقد كانت تصنع لسلطان الممليك عدة أنواع من الخيام ، بعضها لأسفاره وبعضها الثاني لحر وجهم وبعضها الثالث لرحلات صيده ، وبعضها الرابع لزماته (٣). أما خيام وفساطيط أسفاره فكانت تصنع من القطن الشاي الملون بالأبيض والأحمر والأزرق ، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان ، وما يدهش بحسنه القول لينوب مناب قصورهم في الإقامة (٤) .

ولقد روى عن خيمة السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنها كانت تتكون من شقة وهي خيمة مستديرة مقسمة ، ويتصل بهذه الخيمة شقة محصورة أي خيمة أصغر حجماً ومساحة ، وهذه الأخيرة تؤدي إلى خيمة تالئة تسمى اللاجوق . وبدائر كل خيمة منها من جميع جوانبها من الداخل سور خراكة من خشب (٥)

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٦٥ ، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ٩ - المقرئزي : المواعظ ج ٢ ص ١٥٤

(٢) المقرئزي : المواعظ ج ٢ ص ١٥٤

(٣) النوري : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٢٦

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٩

(٥) الخراكة بيت من خشب يصنع على هيئة محصورة وينشئ بالجوخ ونحوه ،



وفي صدر الالاجوق قصر صغير من خشب ينصب للبيت فيه ، وينصب بإمام  
الشفقة حمام بقدر من رصاص وحوض على هيئة الحمامات بالمدينة إلا أنه مختصر (١).  
أما خيمة السلطان التي يستصحبها معه في حروبه فتسمى دهلزا ، وغالبا  
ما تكون منفردة قائمة بذاتها فلا يلحق بها أو بجوانبها خيام صغيرة أخرى (٢).  
وبعض الدهايز كانت تصنع من الأطلس المعدني (٣)، ومن أمثلتها دهلز أقامه  
السلطان الناصر محمد بن قلاوون في الميدان الذي يتقدم القلعة لاستقبال خطيبة  
الأميرة طلباى عند وصولها من بلاد النتر (٤).

والبعض الآخر من الخيام كانت تصنع من الأطلس الأحمر بأطناط حرير

---

== يحمل في السفر ليكون في الخيمة للبيت في الشتاء وقاية من البرد . القلعة شندى :  
صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٨ — ويعطينا ابن إياس وصفا لحرارة خيمة أهديت  
السلطان النورى عام ٩١٧ هـ فقال أنها خشب مدهونة بماء ذهب ولازورد  
والوان غريبة ، وهي منقوشة هيئة وحوش كاسر ومكسور ، وللهذه الحركة غشى  
جوخ أزرق مقصص ، ولها أطناط وهرارى حرير أحمر ، ولها باب خشب  
موشق وعليه ضبة ، ولتلك الحركة بساط مدور على قدرها منقوش من جملة  
التحف الغريبة ، فأمر السلطان بنصبها في الحوش للقرجة ، ابن إياس : بدائع  
الزهور ج ٤ ص ٢٥٢ .

(١) القلعة شندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٨ — المقرئى : المواضع ج ٢ ص ٢٠

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٤٨ حاشية .

(٣) بالنسب الأطلس المعدنى إل بلدة معدن وهي بأرمينية قرب منبع نهر  
دجلة ، ولقد سميت هذه المدينة بهذا الاسم بسبب وجود مناجم لمعدنى النحاس  
والحديد بالقرب منها . المقرئى : السلوك ج ١ ص ٦٩٠ حاشية ٤

(٤) المقرئى : المواضع ج ٢ ص ٦٦

وأعمدة صندل وتحمل بقفزة مذهبة (١) .

ومن بين الخيام التي كان يستخدمها السلطان أيضا خيمة اسمها سحابة ، وهي أشبه بالظلة ، ومن أمثلتها سحابة صنعت للملك الظاهر أبي سعيد بالقصوه من المخمل المذهب وبها رنوك (٢) ذرکش ، ونصبت فوق الدكة التي كانت بحوش القلعة ، وجلس السلطان على الدكة تحتها ، وهناك استقبل القضاة الأربعة الذين قدموا لتنهئته بحلول الشهر العربي (٣) .

وأحيانا تنصب السحابة على مراكب السلطان أيضا ليجلس السلطان تحتها ، ففي عام ٩١٧ هـ ركب السلطان الفوري حرافته إلى مقياس الروضة ، فنصبت له فيها سحابة من حرير أصفر (٤) .

ولقد صنعت خباء أخرى عرفت باسم المدورة ، وغالبا ما استخدمت المدورات أثناء الجاريد العسكرية ، وعند نصبها في المعسكرات كان يراعى أن تتأخر مدورة الأذن بمقامها عن مدورة الأصفر منه رتبة ومقاماً ، ولذلك كانت تنصب مدورة السلطان في آخر الوطاقات دائما ، وهي مدورة ضخمة كانت تحمل على مائة وعشرين جملا (٥) .

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٨٢ - والاطناب جمع طنب وهو جبل طويل يشد به البيت . محيط المحيط .

(٢) الرنك وجمه رنوك . وهو الثمار الذي يتخذ الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له . الفلقشنى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٦١ - ٦٢

(٣) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٦٤

(٤) نفس المرجع والجزء ص ٢١٢

(٥) ابن شاهين . نبتة كشف المالك ص ١٢٧ - والوطاق هو الخيمة . محيط المحيط .

غير أنه من أكبر المدورات التي صنعت لسلامين المماليك تلك المدورة التي صنعها السلطان الأشرف قايتباي وبلغت تكاليف صنعها ستة وثلاثون ألف دينار<sup>(١)</sup> . وقد وصفها ابن إياس فقال أنها كانت « من عجائب الدنيا ولم يعمل مثلها قط » ، قيل أن مصروفها على الأشرف قايتباي ثلاثون ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك ؛ وكانت غاية في التجميل حيث تنصب لیسلة المولد الشريف ، وكانت كهيئة قاعة ولها أربعة لواوين ، وفوقها قبة بقمريات ، والكل من قاش وكان فيها تقاصيص غريبة وفصوص غريبة ، وصنائع لا يعمل الآن مثلها أبداً وكانت إذا نصبت أيام المولد يحضرون بجماعة من النواتية نحو خمسمائة إنسان حتى ينصبوها في الحوش السلطاني ، وكانت من شعائر المملكة السلطانية بالقاهرة ،<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ابن إيس : بنائع ازهور ج ٤ ص ٤٧

(٢) نفس المرجع ج ٢ ص ١١٢ .

## صناعة البسط

صناعة البسط في مصر الإسلامية صناعة قديمة، فقد كشفت دار الآثار المصرية (متحف الفن الإسلامي حاليا) في حفارها بالفسفاط قطعا من السجاد ذات شأن عظيم في دراسة السجاد في فجر الإسلام ، ومن بينها قطعة عليها بقية تاريخ يرجع أنه عام ٢٠٦ هـ .

وفي بعض المتاحف والمجموعات الفنية قطع من هذا النوع تشهد كلها بأن صناعة السجاد كانت معروفة في مصر في القرن الثالث الهجري ، وأن خيوط السكتان كانت تستخدم في سداه ولحته ، وأن عقده كانت تمقد على خيوط لحته وأن الأنواع التي كانت تصنع منه في ذلك الوقت لم تكن كبيرة المساحة .

ولا ريب أن صناعة السجاد في مصر في العهد الفاطمي كانت زاهرة ، فالمقريزي أشار إلى شهرة مدينة أسيوط في صناعة السجاد الذي يشبه سجاجيد أرمينية ، كما ذكر اليعقوبي ذلك قبل المقريزي بمسدة قرون . وفي متحف المتروبوليتان بليونيرك قطعة من السجاد عليها كتابة بخط كوفي دخلته الزخرفة ويرجع أنها ترجع إلى هذا العهد .

أما سجاد مصر في العهد المماليكي فقد اختلفت آراء مؤرخي الفنون الإسلامية بشأنه ، فمن بين نماذج السجاجيد التي درسوها نوع نسب في البداية إلى دمشق ، كما نسب إلى مراکش وآسيا الصغرى ، لكن الراجح أنه من صناعة مصر ، ويمتاز هذا النوع بأن أرضيته حراء وبأن فيه عدا ذلك اللون الأخضر الناصع ، ومواضع قليلة منه باللون الأزرق ، وله صرف لامع ، فضلا عن أنه معقود على سدة من الحرير .

وبعض هذه السجاجيد كلها من الحرير ، أما قوام وزخرفتها فنطاق هندسية مختلفة نظم رسوماً هندسية أخرى ، ورسوم زهور وأشجار محورة عن الطبيعة . أما مساحتها فتتألف من عدة مناطق متعددة الألوان ، كما أن إطارها لا يختلف في ألوانه ورسومه عن ساحتها إلا نادراً .

والمرجع - كما قلنا - أن هذه السجاجيد مصرية صنعت في عهد المماليك فوعارفها الهندسية تشبه الرسوم التي تراها على كثير من التحف التي ترجع إلى هذا العهد ، ولا سيما جلود الكتب ورسوم التيفساء الرخامية (١) .

والواقع هناك ما يدل على أن صناعة البسط كانت إحدى الصناعات البارزة بمصر في هذا العهد ، فأحد أخطاط القاهرة الواقعة خارج باب زويلة تال يعرف باسم خط سوق البسطيين (٢) .

كما أنه عندما نهب نهر الأمير توصون عام ٧٤٢ هـ كان من بين ما نهب منه أعداد كثيرة من البسط ، بينها بسط من عمل الشريف بمصر ، (٣) . وبعض هذه البسط - أي التي من عمل الشريف - كانت من الحرير (٤) .

كما أنه عندما انتهى من بناء المدرسة الأقباقوية في عهد السلطان الناصر التامر بن قلاوون عمل لها تقيب الأشراف ومكتب القاهرة في ذلك الوقت

(١) زكي حسن : فنون الإسلام ص ٣٩٧ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥

(٢) المقرئى : المواقظ ج ٢ ص ١٠٨

(٣) نفس المرجع والجزء والمصفة

(٤) نفس المرجع والجزء ص ٧٧

و بسطا على قياسها بلغ ثمنها ستة آلاف درهم ... ففرشت هناك ، (١) .

وفضلا عن ذلك فالرحالة الأوروبيون الذين زاروا مصر في نهاية عهد المماليك وبداية الحكم العثماني أشاروا إلى وجود مصانع لنسج السجاد في القاهرة (٢) ، كما أنه كان من بين الصنائع المصرية الذين نقلهم السلطان سليم إلى اسطنبول بعد فتحه لمصر صنائع سجاد (٣) .

## صناعة آلات الركوب

آلات الركوب هي الأدوات التي كانت تستخدم عند ركوب الخيول والجمال على وجه الخصوص ، وقد حددها القلقشندي في : المرج ، اللجام ، الكبوش ، العبادة ، المهاز ، الكور ، الزمام ، الركاب ، السوط أو المقرعة (٤) .

ولا شك أن صناعة هذه الآلات أو الأدوات كانت هي الأخرى تشكل قطاعا هاما من قطاعات الصناعات المصرية ، وهذه الأهمية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأهمية الخيول والجمال في حياة المجتمع وقتئذ . كما أنه هناك من الشواهد التي تدل على أن هذه الصناعة كانت من الصناعات المرفقة في مصر منذ فجر إسلامها ، ومن بين هذه الشواهد أن خلفاء تلك الفترة كانوا يكلفون عاملهم عند إسناد مقاليد مصر إليهم أن يرسلوا إلى دار الخلافة سنوياً كيات من أجلال

(١) المقريزي : المواظع ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٢) زكي حسن : فنون الإسلام ص ٤٣٥ .

(٣) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٣ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

الخيل (١) التي كانت تصنع فيها وقتئذ (٢) .

ولقد خصص لهذه الآلات في العهد المملوكي سوقان كبيران من أسواق القاهرة هما سوق الماهزين وفيه كانت تصنع وتباع الهامير وبدلات الخيول وسلاسلها النضية وغاطها ، وسوق الجمين وكان غصصا الجم والسروج وأدواتها (٣) .

✓ أما السروج فكانت ذات أشكال وقوالب مختلفة ، فمنها ما كان ينشئ بالذهب وهو الذي يصلح للسلطان وأعيان الأمراء ، ومنها ما كان ينشئ بالفضة البيضاء ، وكل من هذين النوعين قد يكون منقوشا أو بدون نقوش ، كما أن بعضها كان يحمل بأطراف من الفضة ، والبعض الآخر ساذج (٤) .

✓ وبعض السروج كانت تصنع حلوة في لون أصفر أو أزرق ، كما أن بعضها كان يصنع من الذبل (٥) .

وكان من العادة أن تعمل السروج التي يستخدمها رجال السيف ورجال القلم قربة (٦) من ستة أطواق من الفضة المطلية بالذهب ، كما كانت تحمل بمقربات

(١) الأجلال جمع جل ، والجل ما تلبسه الدابة لتحصن به . محيط المحيط .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢١ .

(٣) القريزي : المواظ ج ٢ ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٢٥ ، ج ٤ ص ٤١ - والثى الساذج هو ما لا نقش فيه . محيط المحيط .

(٥) الذبل هو جلد السلحفاة البحرية أو البرية أو هو عظام دابة بحرية تتخذ منها الأمورة والأمشاط . القاموس المحيط .

(٦) القريوس حنجر المبرج ، والحامة تسمى به الخشبة الصغيرة القائمة في مقدم السرج . محيط المحيط .

من فضة (١) .

ولما تسلطن السلطان الظاهر برقوق إتخذ سائر الأجناد السروج المخترقة أى التى جميع قرايبها من ذهب، أو فضة مطلية أو ساذجة ، وكثر صنع هذه السروج وإستخدامها حتى أنه لم يبق فارس إلا وسرجه كما ذكرنا (٢) .

وبالإضافة إلى ذلك فسروج بعض السلاطين كانت من البلور (٣) ، والبعض الآخر منها من البلور المزيك بالذهب (٤) ، وكذلك من العقيق المزيك ، كما وضع بعضها بفصوص مثنة (٥) .

أما السروج التى كانت تصنع لركوب القضاة ومشايخ العلم والدين فكان ينلب عليها البساطة وغالبا ما كانت تعمل من سيور من الجلد البغارى الأسود على عادة بنى العباس فى إستخدام السواد ، وهى بصفة عامة ساذجة أى خالية من وسائل الزينة الثمالية كالذهب والفضة (٦) ، وكانت العادة عند هؤلاء أن يحملوا حول المرج قرقرشين من جوخ ، وهو شبيه بشوب مختصر (٧) .

أما الحجم فكانت تصنع فى الأخرى فى قوالب مختلفة ، فالتى تصنع لرجال

(١) الثوب المقرب هو المعوج والمطوف . محيط المحيط .

(٢) المقرئى : المواقظ ج ٢ ص ٩٨ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٤) نفس المرجع السابق والجو ص ٤١٧ - والربك كلمة فارسية معناها

جواهر صغيرة مرصعة حول جوهرة كبيرة . محيط المحيط .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣ ، ج ٤ ص ٤٧ .

(٦) المقرئى : المواقظ ج ٢ ص ٩٨ .

(٧) القلقندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢ .



السيف كان منها ما يطل بالذهب ، أو يطل بالفضة ، أو يكون ساذجا أى بدون طلاء ، ومنها ما كان يحمل جانباه بالفضة ، وكل ذلك حسب إختيار أصحابها<sup>(١)</sup>.

وفي سوق الهاميين كانت تصنع وباع بدلات فضة خاصة بلجم الخيل ، وهذه البدلات كانت تصنع إما من الفضة الجبراء بالميزن أو من الفضة المطلية بالذهب ، فيبلغ ثمنها ما في البدلة من خمسمائة درهم فضة إلى ما دونها<sup>(٢)</sup> .

أما السكايش - وهي التي يستر بها مؤخر ظهر الفرس وكفله - فكانت تصنع من الذهب المزركش ، أو من الخفايش أى الفضة الملبسة بالذهب<sup>(٣)</sup> .

وبعض السكايش الخاصة لركوب السلاطين كان يراد في وسائل زينتها ، فتعمل من الذهب المزركش الزهر<sup>(٤)</sup> بالريش<sup>(٥)</sup> ، أو تعمل من الزركش على غل أحمر وحوالها مرتمش ذهب وفضة<sup>(٦)</sup> .

أما كنايش الفضة وأهل العلم فتكون من الصوف المرقوم<sup>(٧)</sup> .

وأحيانا كان رجال السيف يتبدلون السكايش بالمبي ، فالعباءة كانت تقوم

(١) نفس المرجع والمجلد ص ٤١ .

(٢) المقرئى : الموطأ ج ٢ ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) القلقشندي : صبح الأضيء ج ٢ ص ١٣٥ - وكفل الفرس عبءه أو ردفه . محيط المحيط .

(٤) الزهرة هي البياض والحسن . محيط المحيط .

(٥) القلقشندي : المرجع السابق ج ٤ ص ١٧ .

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٤١٠ .

(٧) القلقشندي : المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٥ - والرقم هو الكتابة ، وهو أيضا ضرب من الخط . محيط المحيط .

مقام الكتبوش (١) . والعبي التي كانوا يركبون بها كانت تصنع إما من الصوف الفاخر ، وربما صنعت من الحرير لأعيانهم (٢) .

وتميز قضاة القضاة بالركوب بالزئاري بدلا من الكتبوش ، وهو نوع من العبي يصنع من الأطلس الأحمر أو الجوخ ويسكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدولا على كفله بحيث لا يرى ذيله (٣) .

وفي المواكب العظام كان فرس السلطان يتميز وحده بالرقبة . والرقبة لباس معين كان يشد على رقبة هذا الفرس في هذه المواكب فيسترها من تحت أذن الفرس إلى حيث السرج (٤) ، وهذه الرقبة كانت تصنع من الحرير الأصفر وتطرز بالذهب والوركتش بنقارة إلى درجة تجعل الحرير غير مرئي (٥) .

أما الممايز فالأصل فيها أن تصنع من الحديد ، غير أن منها ما كان يصنع من الذهب المحض أو الفضة ، أو قد تصنع من الحديد المطلي بالذهب أو الفضة (٦) . ويصف القريري ما شاهده منها فيقول : وأذركت الناس وهم يتخذون الممايز كله قالة وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ، ولا يترك ذلك إلا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب من الحديد ويطلبه بالذهب أو الفضة ، ويتخذ

(١) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩

(٣) نفس المرجع والجزء ص ٤٢ — القريري : السلوك ج ١ قسم ٢

ص ٨٥١ حاشية — Doxy : Supp. Dict. Ar

(٤) القريري : المراعظ ج ٢ ص ٢٠١

(٥) القلقشندي : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٣ ، ج ٤ ص ٨

(٦) القلقشندي : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٦ .

السقط من الفضة ، (١) .

وفي وقت الحرب كانت غيول رجال السيف تكفي بأردية خاصة وسروج  
حرية تعرف باسم البراسم الحية (٢) ، كما كانت تلبس بالبركستوانات ، وهي  
أردية الخيول تصنع من الفولاذ ، كما كانت تغطي وجوها بوجوه مصنوعة  
من الفولاذ (٣) .

أما فيما يختص بالسكود - وهو الرجل الذي يجلس عليه الزاكب فوق ظهر  
الحجين - فله ما كان يمشي بالذهب والفضة في مقدمه ومؤخرة (٤) ، كما أن بعض  
الآريام كانوا يصفون في حمل أكلوا غالية التكاليف ، فالقر الشهابي أحمد بن  
العين - صنع أكلوا من ذهب مرصعة بفصوص بلخش وفيروز وياقوت ، ولم  
يسبق أحد مثل ذلك ، (٥) .

(١) المقرئى : المرجع السابق ٢٠ ص ٦٨ .

(٢) المقرئى : السلوك ١ ص ١٨٥ حاشية ٢ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ٢ ص ١٧٢ ، ٢ ص ٢٣٠ .

(٤) القلقشندي : المرجع السابق ٢ ص ١٢١ .

(٥) ابن إياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ١٤١ .

## صناعة الورق

المعروف عن أهل مصر أنهم كانوا يستخدمون أوراق البردى للكتابة منذ  
العهود الفرعونية لكن لما انتشرت صناعة الورق في الدولة الإسلامية (١) بدأ  
الورق يحل محله في مصر تدريجياً . ويرجع آدم موز أن صناعة ورق البردى إلى  
مصر للكتابة قد أصبحت منتشرة بالإجمال حوالي القرن الرابع الهجري - العاشر  
الميلادي - وبني ترجيعه هذا على أساس أن الورق البردى المقروء بها ينتهي لإنهاء  
تماماً في عام ٢٢٢ هـ ، على حين أن الوثائق المكتوبة على السكاغد أى الورق يبدأ  
تاريخها منذ عام ٣٠٠ هـ .

(١) كان أهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه من الحشائش والكلأ ، فأخذ  
الناس عنهم صناعته . أما الفرس فكانوا يكتبون على المدبوغ من جلود الجواميس  
والبقر والغنم وغيرها ، كما كانوا يكتبون أيضاً على الخفاف وهي حجارة بيضاء  
وقاقي ، وعلى رقائق من النحاس والحديد وغيرها ، وعلى عشب النخل وهو الجريد  
الذي لا يخرس له ، وكذلك على أكتاف الإبل والغنم .

ولما كانت صلة العرب وثيقة بالفرس قبل الإسلام لقربهم منهم لذلك فقد  
نقل عنهم الكتابة على هذه الأدوات واستمروا على ذلك في عهد النبوة .

وعند ما كتب الصحابة القرآن الكريم كتبوه في الرق لطول بقائه زمناً طويلاً  
وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة ، وكان الورق وقتها قد شاع  
صنه ، فأمر ألا يكتب الناس إلا في السكاغد - أى الورق - لأن الجلود ونحوها  
تقبل المحو وإعادة الكتابة عليها مرة أخرى فيسهل تزويرها وهذا بخلاف الورق  
الذي كان من الصعب تزوير الكتابة في عليه فإنه متى عي أو كشط ظهر ذلك بوضوح  
فانتشرت منذ هذا الوقت صناعة الورق والكتابة عليه في سائر الأقطار .

العلامة شندى : صبح الأعشى ٢٠ ص ٤٨٥ ، ٤٨٦

وفي العهد المملوكي كانت مصر تصنع نوعا من ورق الكتابة يعرف باسم الورق المصري ، غير أن هذا الورق كان يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الجودة والقطع بالنسبة إلى الورق البندادي الذي كان ينسب لبنداد ، والورق الشامي الذي كان ينسب للشام (١) .

والورق المصري كان على قطعين ، أولهما القطع المنصوري ، وثانيهما القطع العادة ، والمنصوري أكبر قطعاً ، وقلبا يستقل وجهه . أما العادة فإن فيه ما يستقل وجهه . ويسمى عند الوراقين باسم المصلوح .

أما ما كان يصنع من ورق خلاف ذلك فكان على رتبتين : عال ووسط . وفيه صنف من الورق كان يعرف باسم القوي ، صغير القطع خشن غليظ خفيف لا يصلح للكتابة . وإنما يتخذ للحلوى ونحو ذلك (٢) .

هذا ولقد كان الورق الذي يصنع في الصيف أغلى ثمتا مما كان يصنع في الشتاء فالورق الذي يصنع في الصيف يكون زائداً في البياض وفي الصقال ، أما الذي يصنع في الشتاء فيأتي وفيه سمرة ونقص في الصقال والبياض (٣) .

---

(١) الورق البندادي ورق ثخين مع لبونة ورقة حاشية وتناسب أجزاءه ، وقطعة وافر جدا ، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة ، وربما استعمله كتاب الإيضاء في مكاتبات القنات - أي الملوك - ونحو ذلك .

أما الورق الشامي فدونه في الرتبة ، وهو على نوعين : الحموي وهو دون القطع البندادي . ودونه في القدر نوع يعرف بالشامي ، وقطعه دون الحموي .  
القلقشندي : صبح الألهى ج ٤ ص ٤٨٧ .

(٢) نفس المرجع ج ٢ ص ٤١٧ .

(٣) ابن الحاج : المدخل ج ٢ ص ٧٦ .

## صناعة الدوى

أشار المقرئ إلى صناعة الدوى كأحد الصناعات التي كانت قائمة بالقاهرة في العهد المملوكي ، و ذكر أن صناع الدوى كانوا يمارسون صنعتهم في سوق الخراطين<sup>(١)</sup> وموحد أسواق القاهرة في ذلك الوقت .

ويعطينا القلقشندي فكرة عامة عن أنواع وأشكال الدوى التي كانت مستخدمة في زمنه وعن المواد التي كانت تصنع منها ، ومن كلامه نفهم أنها كانت تصنع من أربعة مواد - من الفولاذ ، ومن النحاس الأصفر ، ومن الأبنوس والصندل الأحمر ، ومن الخشب .

أما الدوى الفولاذية فكانت قليلة القلة الفولاذ وبفاسه ولذلك كانت لا تستخدم إلا بواسطة أهل الرياسة فقط كالوزراء ومن يمالهم في الرتبة .

أما الدوى المصنوعة من النحاس فكانت أكثر شيوعاً واستخدماً عند السكّاب .

أما الدوى المصنوعة من الأبنوس والصندل الأحمر فقد جلبت بحمل الدوى الخشوية بعد أن أصبحت الأخيرة غير مرغوب فيها ، وقد شاع استخدامها بواسطة قضاة الحكم وموتميم وكذلك بعض شهود الدواوين .

أما فيما يختص بأشكال الدوى فكانت تختلف بين التدوير والتربيع . فاما

---

(١) هذا السوق كان زائراً بالحواريات التي تباع المهد الذي يربى فيه الطفل ، وكذلك بحواريات الخراطين، وحواريات صناع السكاكين ، وكذلك صناع الدوى . المقرئ : المراجعة ٢ ص ١٠٣

كتاب الإنشاء فكانوا يتخذونها مستطيلة مدورة الرأسين ، لطيفة القذ طلبا للنفقة  
أما كتاب الأموال فكانوا يتخذونها مستطيلة مربعة الزوايا ليجمعوا في باطن  
غطائهما ورق الحساب الديواني المناسب لما في القطع .

وعلى هذا الشكل أيضا اتخذ قضاة الحكم ومرفوعوم دوريم أيضا (١) .

## صناعة الشمع

كانت صناعة الشمع من الصناعات الرائجة ، فالشمع كان وسيلة رئيسية  
للإضاءة خصوصا في الاحتفالات والمواكب ، ولهذا السبب فقد تفنن صناعه في  
صنع أنواع عديدة منه تباينت في أشكالها وأحجامها ووسائل تزيينها وزخرفتها  
فكان منها الشموع الموكية ، والشموع النابوية ، والشموع الطواقية (٢) .

والشموع الموكية كانت تشعل في الاحتفالات والمواكب الهامة على وجه  
الخصوص ، كما كانت تقدم في الأفراح كهدية عرض (٣) ، ولذلك كانت تصنع

(١) القلقشندي : صبح الاحش ٢٣ ص ٤٤١ - ٤٤٢

(٢) المقرئ : المواقظ ٢ ص ٩٦ .

(٣) من أشهر الأفراح التي قيمت فيها الشموع الموكية بكميات كبيرة كهدية  
عرض فرح الأمير أتوك بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٣٢ هـ ، ففي  
هذا القرح تقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحدا بعد واحد ومعه الشموع ،  
فإذا قدم الواحد ما أحضره من الشمع قبل الأرض وتأخر ، وما زال السلطان  
يميله حتى انقضت تقدمهم فكانت عندها ثلاثة آلاف وثلاثين شمة وزتها ثلاثة  
آلاف وستون قطارا ....

وفي ليلة الزفاف جلس السلطان على باب القصر ، وأقبلت تلك الشموع =

في أحجام ضخمة وأوزان ثقيلة ، فبعضها كان وزن عشرة أرتال . بل إن وزن بعضها بلغ القطار وما فوقه ، وهذا النوع الأخير كان يحمل على عجل عند نقله بسبب ثقل وزنه (١) .

أما الشموع الفانوسية أو الفواويس كما كانوا يسمونها ، فهي شموع مزهرة (٢) بالأصباغ الجميلة والتماثيل البديعة ، وبعضها كان يتكلف كثيرا في صناعته ، وقد أدرك المقرئى واحدة منها بلغت تكاليف صنعها ألف وخمسمائة درهم . وفي يوم الاحتفال بعيد ميلاد المسيح كانوا يطلقون منها في الأسواق بالحوائيب شيئا يخرج من الحد في الكثرة والملاحة وكذلك في موسم العطاس (٣) وقد بلغت العناية بترزين الشموع وتجميلها في ذلك الوقت حدا كبيرا ، فبعضها كان يذهب (٤) ، وبعضها الآخر كان يزين بأشياء من الوى الجميل المجيب (٥) بل لقد بلغ التباهى والتفاخر ببعض الناس أنهم كانوا يركزون في شعورهم التي كانوا كانوا يوقدون في ليال رمضان دهن من الفضة أو الذهب (٦) .

== بأسرها ، وجلس ابنه الأمير أبوك تجماه وأقبل الأمراء جميعا ، وكل أمير يحمل بنفسه شمعاً وخلفه باليكة تحمل الشمع ، فتقدموا على قدر رتبهم ؛ وقبلوا الأرض واحدا بعد واحد طول ليالهم . - المقرئى : الباك ج ٢ ص ٢٤٦ .

- (١) نفس المرجع والمجلد ص ٩٦
- (٢) الزهرة هي البياض والحسن . محيط المحيط .
- (٣) المقرئى : المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٥
- (٤) ابن لياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٨٣
- (٥) المقرئى . الملاحظ ج ٢ ص ٩٠
- (٦) ابن الحاج ، المدخل ج ٢ ص ٩١



## الصناعات المعدنية

ساهمت الصناعات المعدنية بنصيب وافر في مجالات عديدة من الإنتاج الصناعي في العهد المماليكي ؛ ومن الصعب حصر كافة المصنوعات المعدنية التي أنتجت في هذا العهد ، لكن يمكننا بصفة عامة أن نقول أن هذه الصناعات إما كان لها دور هام في إنتاج الكثير من الأدوات والآلات التي كان المجتمع يحتاج إليها يستخدمها وقتئذ ، كما كان لها دور هام أيضا في تجهيل بعض الأدوات الغير معدنية بإضافة عناصر زخرفية معدنية إليها .

من الحديد صنع الحدادون المسامير والمساوي والمحاريث . ومن الصلب صنعوا الخناصير والشقار<sup>(١)</sup> والفوائيس الأكرية<sup>(٢)</sup> ، والمشاغل .

(١) ابن الإخوة - معالم القبة في أحكام الحسبة ص ١٤٨ - ابن بام .  
نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٩١ .

(٢) القانون الأكرية آلة كرية ذات أخلاص من حديد تنقى بقمش من رقيق الكتان الصافي البياض ، وتنخذ للاضاءة بفرش شعبة في قاعها من الداخل ، فيشع ضوءها من خلال القماش الأبيض . وكانت العادة أن يحمل إثنان من هذه الفوائيس أمام السلطان أو الأمير أثناء السفر ليلا - الفقهشندى : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٧ .

وما يذكر أن تطبيق هذه الفوائيس على أبواب الدور والقصور كان يدل على علو شأن صاحب الدار أو القصر ، فإبن إياس يقول أن السلطان النوروى شغل منصب أمير آخوور كبير قبل أن يلى السلطنة ، وأن نفوذ علا إلى حد كبير أثناء شغله لهذا المنصب ، ومن مظاهر علو نفوذه أنه دهاق في كل ليلة يقعد على باب السلسلة فائوسين أكرية وكذلك على باب الميدان ، - ابن إياس - بدائع الزهور ج ٤ ص ٤٥٧ .

ومن الفولاذ صنع الآبارون أنواعا عديدة من الإبر أجودها الإبر الحياطة التي يسميها الآبارون باسم المسودة ، وهي إبر كانت تسن ثلاث دفعات وتصل .  
وصنع المسلمون مسلات من الفولاذ ومن الحديد الأرمهان منها الحزاميه والموابليه والفقايعه والحياطييه والنقشيه والركاييه والمكاليسيه ومسلات التضريب والكفيعه والخرجيه والآباريه (١) .

وصنع النحاسون من النحاس الأحمر والنحاس السوسى الكثير من الأدوات المزلية كالمحاربات والطاسات والصواني والسرر والحنابات والأطباق (٢) ، كما صنعوا أيضا الطشوت والشمعدانات والتناير (٣) وكراشى العشاء والصاديق وأحفاق الأشنان (٤) والياخر والمقلبات والكسوات النحاسية لبعض الأبواب وكثير غيرها من الأدوات التي كان يستخدمها الناس في ذلك الوقت في حياتهم وفي منازلهم .

وقد زينت بعض هذه المصنوعات بكتابات زخرفية وبزخارف متنوعة أخرى ، بعضها نقش على المعدن بالحفر ، وبعضها الثاني نقش في المعدن بالتخريم ،

---

(١) ابن الأثير : معالم القرية في أحكام الحسية ص ١٤٨ .

(٢) ابن الأثير : معالم القرية ص ١٤٧ و ١٤٨ .

(٣) التناير هي ثريات أو منابر خضمة نحاسية بعضها على شكل مفصول مشتمل على شبيكون من عدة طبقات فوق بعضها البعض ، وفي كل طبقة فتحات توضع فيها فتناديل الإضاءة - كما أن بعضها الآخر على شكل هرم ناقص وبأسفلها كيزان نحاسية تتركب فيها القرايات أى أقذاح الزيت الذي يعمل ليلا .

(٤) الأشنان نبات يعرف في مصر الآن باسم الشوك الأحمر . أحمد عيسى : معجم أسماء النباتات ص ١٦١ وهذا النبات كان يملحن ثم يستخدم مسحوقا في إزالة الأوراسخ من الأيدي ابن الأثير : معالم القرية في أحكام الحسية ص ١٥٨

وبعضها الشالك كنتت زخارفه ، وبعضها الرابع زين بالنيلو .

والتكفيت أسلوب زخرفى قوامه حفر رسوم على سطح خشب أو معدن ، ثم تملأ الرسوم الفائرة بقطع أخرى من الخشب الملون أو العاج أو المعدن . والغادة أن تكون المادة المكفت بها أغل قيمة من المادة الأصلية ، فالخشب يكفت مثلا بالعاج ، بينما يكفت النحاس بالنهب أو الفضة (١) .

ولقد قامت صناعة التكفيت فى البداية على أكتاف فنائين من الموصل كانوا قد زحروا إلى القاهرة ودمشق وحلب ، ثم تبع فيها الصناع المصريون أنفسهم (٢) . وازدهرت هذه الصناعة فى العهد المملوكى حتى أصبح لصناعها سوق خاص بهم يعرف بسوق الكفتين (٣) .

ويجربنا المقرئى أن الناس رغبوا رغبة كبيرة فى إكتناء الأواني النحاسية المكفتة وقال أنه ، كان لهذا الصنف من الأعمال بديار مصر رواج عظيم ، والناس فى الكفت رغبة عظيمة ، أحركنا من ذلك شيئا لا يبلغ وصفه ، فلا تكاد تظفر دار بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ، ولا بد أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت ، والدكة عبارة شئ شبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصفر مكفتة بالفضة ، وعدة الدست سبيع قطع بعضها أصفر من بعض ، تبلغ كبرها ما يسع نحو الإردب من الفصح ، وطول الأكتفات التى نقش

(١) ذكرى حسن : تراث الاسلام - ٢٠ ص ٢٦ حاشية ٢

(٢) ذكرى حسن : فنون الاسلام ص ٥٥٢

(٣) المقرئى : الملاحظ - ٢٠ ص ١٠٥

يظهرها من الفضة نحو الثلث ذراع في عرض إصبعين ، ومثل ذلك دست أطباق  
عزتها سبعة بعضها في جوف بعض ، ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر . وغير  
ذلك من المناير والسرر وأحاث الأثاث والعلقت والإبريق والمبشرة ، فتبلغ  
قيمة الدكة من النحاس المسكفت زيادة على مائتي دينار ذهباً ، (١) .

أما الزخرفة بالتليد فتتألف في حفر الأشكال الزخرفية على سطح المعدن  
الذي غالباً ما يكون من الفضة أو الذهب ، ثم يصب في هذه الأشكال المحفورة  
مزيج مرتفع الحرارة من النحاس والراساس والبورق والكبريت وملح النشادر .  
وبعد أن يبرد ويحمى يلمع سطح المعدن فتبدو الزخارف المحفورة به سوداء  
اللون تحيط بها أرضية لامعة فاتحة اللون هي لون المعدن المصنوع منه الإناء ،  
فتصبح هذه الزخرفة أكثر وضوحاً وأكثر جمالاً (٢) .

ويوجد بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة إبريق نحاسي يرجع إلى القرن  
الثامن الهجري مزين بهذا الأسلوب الزخرفي (٣) .

كما أنه يوجد بهذا المتحف أيضاً مجموعة ضخمة أخرى من التحف المعدنية  
المملوكية تتمثل فيها باقي الأساليب الزخرفية الأخرى التي ذكرناها (٤) .

---

(١) المقرئى : المراجعة ٢ ص ١٠٥ .

(٢) زكى حسن : كنوز الفاطميين ص ٤٦ .

(٣) Exhibition Islamic Art in Egypt, p 48

(٤) [راجع إلى الدراسة التي أجراها الأستاذ فيت على هذه التحف وأقيمتها في  
كتالوج المتحف العربي عام ١٩٢٢ هـ

Wiet. G : Objets en cuivre - Catalogue du musée Arabe du  
Caire, Le Caire, 1932,

## صناعة الخزف والقاشاني

صنع الخزفيون المصريون في عهد المماليك أنواعا عديدة من الخزف ، لعل أبرزها تلك التي حاولوا بها تقليد الخزف الصيني ولا سيما ما كان منه ذا طلاء من لون واحد . ولقد كهفت بمخازن القساط كيات وافرة من الخزف الصيني وكذلك من الخزف الذي أنتجه الخزفيون المصريون تقليدا له .

ولقد صنع الخزفيون في هذا العهد أيضا خزفا أيضا عليه كتابات أو نقوش بدائية باللونين الأخضر أو الأزرق ، وكذلك خزفا به زخارف منقوشة تحت دمان شفاف باللون الأزرق أو الأخضر .

ولقد وصلت إلينا أسماء بعض الخزفيين الذي عملوا في صناعة الخزف ذي الزخارف المنقوشة تحت الدمان ، إذا اعتاد صناعة أن يكتبوا أسماءهم على الوجه الخارجى من قاع الإناء . ولعل أشهرهم « غيبي » .

والحق أن غيبي كان إماما بين زملائه في إبداع التصوير وتصميم الموضوعات الزخرفية ، ورسوم القطع المنسوبة إليه آية في الحياة والحركة ، ولا سيما رسوم الطيور التي يتجلى فيها التنوع والحيثال ورسوم السمك الذي يهد به في بعض الأحيان عن الطيحه . ولا ريب أن هذا الفنان كان له أتباع وتلاميذ كثيرون يعملون معه في معنته وينسبون إليه ويكتبون إسمه أو يشيرون إليه على آثارهم الفنية في أساليب مختلفة .

ومن الخزفيين البارزين بمصر في نهاية القرن الثامن الهجرى ، غزال ، الذي نجد توقيعهم على قطع كثيرة من خزف هذا العصر . وقد انتازت منتجاته بزخرفة

رئيسية قوامها رسوم زهور متعددة القصور ، ومن منتجاته الخزف ذو زخارف على أرضية بيضاء ، وآخر ذو زخارف ورقا. على أرضية سوداء .

أما القطع الخزفية المصرية التي تنسب إلى القرن التاسع الهجري فيعنيها من صناعة « الأستاذ المصري » وكان هذا الفنان من أعلام صناعة الخزف في عصره ، كما أن بعضها الآخر من صناعة « ابن جبد الملك » وأيضا من صناعة ثالث اسمه « السجيل » .

على أن هذه الأسماء التي ذكرناها ليست كل ما وصل إلينا من أسماء الخزفيين المصريين في عصر المماليك ، فالتاحف والمجموعات الفنية الخاصة تضم قطعا خزفية عليها أسماء عديدة لخزفيين آخرين ، وهذا يؤكد لنا أن صناعة الخزف كانت إحدى الصناعات التي لما شأن في هذا الوقت ولذلك حرص صناعة على تسجيل أسمائهم على ما يصنونه منه .

وقد كان « أبو المر » آخر الخزفيين الذين ذاعت شهرتهم في عصر المماليك ، والأرجح أنه عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري . وقد كان عصره بداية الإضمحلال في صناعة الخزف الذي يحصل توقيعات صناعة ، فلقد غمر الخزف الصيني البديع الوارد من الصين الأسواق في ذلك الوقت ، وكان من الصعب على الخزف المصري أن ينافسه ، كما أن تقليده بمصر لم يكن ناجحا تماما ، فكان من نتيجة ذلك أن فقد الخزفيون المصريون منذ أبي المرقطعا وإفرا من براعة خيالهم واثقان أساليبهم ونموة ابتكارهم (١) .

وبالإضافة إلى الخزف فقد امتاز عهد المماليك بصناعة نوع من الفخار المثلج

بالمينا، وصبغة هذا الفخار مائلة إلى الحمرة، وفوقها قشرة بيضاء، يطوها  
دهان بالمينا الصفراء أو المحضراء أو بظلة اللون. وتبدل الزعارف في هذا الفخار  
واضحة كل الوضوح لأنها تحفر في القشرة حتى تصل إلى الصبغة الحمراء.

ولما كان هذا النوع من الفخار يستعمل بكثرة في بيوت الأمراء ولذلك فإننا  
نلاحظ أن ربوك هؤلاء الأمراء وشاراتهم التي اتخذوها شعاراً لهم كانت من  
أهم العناصر الزخرفية التي تزيهه.

وفي نهاية العصر المملوكي عرفت مصر صناعة القاشاني لكسوة الجدران، لكن  
هذه الصناعة لم تبلغ في مصر ما بلغت من الازدهار في إيران وتركيا وبلاد المغرب  
والأندلس، ولعل ذلك يرجع إلى الناس في مصر كانوا يفضلون وقتل نفطية  
جدران دورهم بالزجاج ولذلك لم يستعملوا القاشاني إلا في توكية مساحات  
محدودة من محارمهم، ومنها على سبيل المثال قبة منارة ميرس الجاشنكير ١٧٠٩ هـ،  
وقبة مثمنه جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة ٧٣٥ هـ، وقبة قبة طشتر،  
وقبة القوي.

ويوجد في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ألواح من القاشاني المصنوع في  
تلك الفترة، بعضها ذات لون واحد، وعلى البعض الآخر منها كتابة بيضاء فوق  
أرضية زرقاء (١).

## الصناعات الزجاجية

بلغت صناعة التحف الزجاجية الإسلامية قمة نضجها في مصر والشام فيما بين القرنين السادس والتاسع بعد الهجرة .

ولعل أهم المصنوعات الزجاجية التي انتجت في تلك الفترة تلك التي كانت تزين بالزخارف المذهبة أو تمويه بالمينا ، والراجع أن هذا الأسلوب يرجع إلى العصر الفاطمي حين بدأ صناع الزجاج يزينون لإنتاجهم بالزخارف المذهبة أو المدهونة بالألوان .

وتعتبر المشكيات المدهونة بالمينا من أبرز ما أنتجه صناع الزجاج وقتئذ . والمشكاة عبارة عن خلال زجاجي خارجي للصاييح التي كانت تستخدم في الإنارة في ذلك الوقت . والمصباح في حد ذاته عبارة عن مسرجة أو ( قراية ) بها زيت وقليل ، وتلبث في التجويف الداخلي للمشكاة بواسطة أسلاك متصل بحافة المشكاة العليا . ولكل مشكاة مراوى زجاجية تبرز من سطحها الخارجي ، وعن طريق هذه المراوى تعلق المشكاة بسقف الفضاء بواسطة سلاسل فضية أو نحاسية تتجمع في كرة زجاجية مستديرة أو بيضيه الشكل تتدل فوق المشكاة .

والمينا التي استخدمت في تزيين هذه المشكاوات منها ما هو أحمر اللون ومنها ما هو أزرق أو أخضر أو أبيض أو وردي . ولقد رسمت بها على السطوح الخارجية للمشكيات والكرات التي تحملها أشكال زخرفية تشتمل على أشرطة فيها كتابات من آيات قرآنية أو عبارات تاريخية أو دعائية مكتوبة بخط نسخ علوي ، وتسمن أيضا على مناطق أو جامات فيها رموز أو شارات الأسماء ، فضلا عن أسماء بعضهم وألقابهم ، كما أن فيها أحيانا رسوما هندسية ونباتية .



وبعض الشكايات الملوكية تحمل اسم صانعها ، تذكر من بينهم اسم علي بن  
عبد أمكي (أو الرمكي) (١).

ويلاحظ أن أبداع الشكايات الزجاجية وأدقها صنعة وأبدعها زخرفة هي  
تلك التي ترجع إلى منتصف القرن الثامن الهجري ، غير أنه منذ نهاية القرن الثامن  
الهجري بدأت تفقد بعض مظاهر دقة صنعها وجمالها ، واستمرت صناعتها في  
الاضمحلال حتى إذا كان القرن التاسع الهجري نلاحظ أنها قدت قسطا وافرا من  
جمالها ومن دقة صنعها (٢).

ولم تكن الشكايات هي كل ما أنتجه الصانع من مصنوعات زجاجية موحدة  
بالمينا ، فقد صنعوا أيضا وبنفس الأسلوب الزخرفي كؤوسا وقنينات وأواني جميلة  
بديعة الزخرفة ، وتوجد أمثلة رائعة منها في المجموعات الخاصة التي جمعا بعض  
هواة التحف ، وكذلك في بعض المتاحف العالمية (٣).

وبالإضافة إلى المصنوعات الزجاجية الموهنة بالمينا فقد أجاد صناع الزجاج  
استخدام الزجاج في ترزين القمريات أو الشمسيات . والقمرية أو الشمسية نافذة  
صغيرة يغطيها ساتر جلي يفرغ بزخارف كتابية أو نباتية أو هندسية يملؤها شرايح  
من الزجاج الملون بألوان مختلفة . والراجع أن بداية استخدام هذا النوع من

(١) زكي حسن : فنون الإسلام من ٦٠٣ - ٦٠٨

(٢) نفس المرجع من ٦٠٨ - ٢٤٧-٢٤٨ : *Muhammadian Art*

(٣) Lane Poole : *The Art of the Saracens in Egypt*, pp 221-224.

M. S. Briggs : *Muhammadian Architecture in Egypt, and Palestine*, pp 227-228.

Migon : *Manuel d'Art Musulman*, vol 2, pp 154-156 .

التواقد يرجع إل النصف الثانى من القرن السابع الهجرى (١).

## الصناعات الخشبية

إهتم الفنانون المشتغلون بالحفر فى الخشب فى العهد المائىكى بإنتاج تحف دقيقة، لا سيّما تلك التى كانت تستخدم فى المنازل والمساجد كالنوايب الخاطمية والخزانات المنزلية والأبواب والكراسى والدكك والمتابر.

وأبدع هؤلاء الفنانون فى زخرفة الحشرات الخشبية بالرسم الدقيقة، كما أبدعوا أيضا فى تجميع هذه الحشرات بجماد بعضها البعض لتؤلف أشكال أطباق نجمية أو أجزاء من أطباق، وطعموا هذه الحشرات بأشرطة رفيعة من خشب آخر فادروا أغل ثمتا، أو بالناج أو بالظم أو بالآبنوس.

واتجه بعضهم إل كسوة الخشب أحيانا بطبقة دقيقة من الصنفاء تتألف فى الغالب من قطع صغيرة من الآبنوس والسن، وعوما يسمونه بالترصيع، والفرق بين التلميع والترصيع أن السطح الخشبي الملمع تحفر فيه الرسوم ثم تملأ الفجوات التى تولدت هذه الرسوم بقطع أخرى من مادة أغل قيمة، أما فى الترصيع فإن طبقة الزخرفة تلتصق على السطح كله (٢).

وصنعت كسوات خشبية السقوف آية فى الجمال، حل بعضها برغارف مضمرة ملونة أو مذهب، وحل بعضها الآخر بأشكال مقرنصات أو بأشكال قصب. ومن أبدع السقوف الخشبية التى وحلب إلينا سقف بيت الصلاة بمخاضة السلطان الظاهر برفوق.

(١) ذكرى حسن: نفس المرجع ص ٦١٧.

Creswell: The Muslim architecture, vol 2, p91.

(٢) ذكرى حسن: فنون الإسلام ص ٤٧٤.

ولقد ازدهرت في عهد المماليك صناعة الفسيفساء أو المشريات من الخشب  
المخروط ، وغالبا ما اتخذت هذه المشريات في واجهات المنازل لتلطيف الضوء  
الداخل إلى جدرانها ، ولتلطيف درجة الحرارة بها ، ولتمكين أهل البنا من  
رؤية من الخارج مع عدم تمكن من الخارج من رؤيتهم . وغالبا ما جعلت في  
هذه المشريات عوارض منخورة أو مشعة لتوضع فيها قلال الماء لتبريدها  
وبما كان وضع القلال بها هو الذي أشهرها باسم المشريات .

وقد روي في بعض المشريات أن تفاوت فتحاتها في الإتساع وأن تملا  
بقطع مختلفة من الخشب المخروط لتؤلف كتابات أو رسوما (١) .

ولم تقل صناعة الخشب المخروط على المشريات فقط ، فقد صنع منه أيضا  
سياجات خشبية وضع بعضها في المساجد لفصل بعض إيواناتها عن صحنها ،  
ومن أمثلتها السياج الذي يفصل الإيوان الشرق من الصحن بمسجد الطنطا  
المدني الذي يرجع إلى عام ١٧٤٠ هـ (٢) .

وما تعدد الإشارة إليه أن خرط الخشب لم يكن كله من نوع واحد ، فقد  
تعددت أنواعه . وعرف كل نوع باسم معين منها الخرط الميموني العربي أو البدي  
والخرط الميموني المغربي (٣) .

(١) نفس المرجع ص ٤٧٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) عبد الطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار ، مصر : الملوكي ص

## صناعة السفن

حكيت صناعة السفن - خاصة سفن الأسطول - باهتمام خاص من حكومات الممالك المتعاقبة ، وعملت هذه الحكومات على توفير الخشب اللازم لها سواء من الأخشاب المحلية أو الأخشاب المستوردة .

أما الأخشاب المحلية فكانت تتوفر في الحراج ، وهي مساحات شاسعة من أشجار السنط كانت توجد في بعض مناطق الصيد كالهنساوية وسفط وبعين والاشمولين الأسيوطية والقومية ، وأخشاب هذه الأشجار كانت جيدة وتصلح لصناعة سفن الأسطول ، لذلك أقامت الحكومة عليها الحراس ليعتمروا الناس من قطعها ، خصوصاً أهوادها الصالحة لصناعة السفن ، وهي التي كانت تعرف باسم أهواد العمل . ولم يسمح للناس إلا بقطع أطرافها التي لا تصلح إلا للوقود فقط وذلك نظير رسم مقرر عرف باسم مقرر السنط .

ومساحات الحراج كانت كبيرة شاسعة في بعض المناطق خصوصاً في منطقة الهنساوية التي قال ابن عاتق عنها أن المقطعين تصدوا على ثلاثة عشر ألف فدان منها ، ورغم ذلك فإن هذا لم يؤثر فيها (١)

ويدور أن أخشاب منطقة الهنساوية بالذات كانت أكثر جودة وأكثر صلاحية لتشييد السفن من غيرها ، لذلك لم تسمح الحكومة ببيع شيء منها إلا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية .

غير أنه رغم كل إجراءات الحماية التي وفرتها الدولة للحراج فقد أخذت مساحتها تتناقص بعض الزمن تدريجياً بسبب قطع الناس لأشجارها خلسة

(١) ابن عاتق : قوانين النواوين ص ١٧

واستيلائهم على أخشابها حتى زالت تماماً ولم يبد لها وبهرد في أوائل القرن التاسع الهجري ، وأشار المقرئى إلى ذلك فقال : وقد بطل هذا جميعه واستولت الأيدي على تلك الأشجار فلم يبق منها شيء البتة وليس هذا من الديوان ، (١) ،

غير أننا نستطيع أن نقول أنه حتى عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى كانت لا تزال هناك بقية منها ، فعندما شرع هذا السلطان في تشييد وحدات بحرية لأسطوله احتجز على الحراج ومنع الناس من التصرف في أعراد العمل ، (٢) . أى أن الحراج كانت لا تزال فيها بقية في عهد هذا السلطان .

لكن يبدو أن هذه البقية كانت ضئيلة وغير كافية تماماً لسد إحتياجات الأسطول من الأخشاب ، لذلك فقد اضطر نفس السلطان إلى قطع أربعين شجرة جيز كانت قائمة على شاطئ النيل بجزيرة الروضة وشيد بها مراكب جديدة لأسطوله عوض ما تلك التي حرق من قبل بجزيرة قبرص (٣) .

ورغم تلافى أشجار الحراج فإن ذلك لم يوقف حجة إلقاء وتفريد وتجهيد وحدات الأسطول المصرى المالىكى ، فقد لجأت الحكومة المالىكية إلى استيراد الأنواع الجديدة من الأخشاب من خارج مصر ، كما أنها استغلت أخشاب الأشجار الحلية في هذا الغرض أيضاً .

ولقد حرصت الحكومات المالىكية المتعاقبة في كافة معامداتها التجارية التي عقدتها مع الدول الأوروبية التجارية المصدرة للخشب على أن تقوم هذه الدول

(١) المقرئى : المواظ ١٦ ص ١١١

(٢) المقرئى : نفس المرجع السابق ٢٦ ص ١٩٠

(٣) نفس المرجع ٢٦ ص ١٨٥

بتصدير الأخشاب الجيدة إلى مصر كخشب الأرز والصنوبر ، وكذلك المواد الخام الأخرى التي يلزم لتشيد السفن كالحديد والقطران وغيرها ، لكن هذه الدول الأوروبية المسيحية كانت تخطر أحيانا تحت ضغط الصليبيين والسبابا والبيزنطيين إلى وقف بيع هذا الخشب بعض الوقت لمصر ، غير أنها غالبا ما كانت تهود ثانية فتصدره لها مغلبة مصلحتها التجارية على أى اعتبار آخر ، بل إن بعض هذه الدول خصصا تلك التي كانت لها مصالح تجارية مشتركة مع مصر كانت تحرص على مد أسطول مصر بما يلزمه من أخشاب ليظل قويا وليستطيع القيام بدوره كما يجب في حماية هذه المصالح المشتركة ، ويتجلى ذلك واضحا عندما حدد البرتغاليون تجارة مصر والهندية في المحيط الهندي والبحر الأحمر في عهد السلطان النورى ، فقد يادر البنادقة في ذلك الوقت بإرسال الأخشاب إليه بالسويس وممها العمال المهرة في إنشاء الأساطيل . وواضح أن الذى دفع البنادقة إلى ذلك هو رغبتهم في تمكين أسطول مصر من حماية مصالحهم التجارية المشتركة مع مصر في هذه البحار (١) .

وفي عهد السلطان الأشرف شعبان جلبت مصر الأخشاب اللازمة لأسطولها من منطقة جبل شغلان المجاور لأنطاكية بشمال الشام حيث تنكث أشجار الصنوبر والقرور ، وقد قامت بحلب الخشب من هذه المنطقة في أعقاب الهجوم الفادر للفرنج على الاسكندرية عام ٧٦٧ هـ ، وأرسلت الأوامر والمراسيم إلى البلاد الشامية المحلية بإخراج جميع التجارين وكل من يمسك مفشار بيده ولا يترك واحدا منهم ، وكلهم يخرجون إلى جبل شغلان . . . وأنهم يقطعون الألواح

---

(١) مختار العبادى : البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك ، بحث بكتاب  
• تاريخ البحرية المصرية ص ٥٤٦ .

ويلشرون الأخشاب للراكب ويحملونها إلى الديار المصرية ، فمثل نائب حلب ذلك ، وفعل ما أمر به ، ووقع الشروع في حمل المراكب ، (١) .

ويبدو أن منطقة الجون الواقعة بدير التكية ، كانت تجلب منها أيضا الأخشاب الجيدة اللازمة للأسطول مصر ، وفي عام ٨٦٠ هـ في عهد السلطان إينال توجهت جماعة من الأمراء والجند إلى هذه المنطقة لإحضار الأخشاب منها ، على العادة ، (٢) . كما أنه في عام ٨٨٢ هـ في عهد السلطان قايتباي سافرت بعثة بقيادة الأمير وردبش الظاهري إلى نفس المنطقة لإحضار الأخشاب منها (٣) .

لكن يبدو أن الأخشاب التي كانت تجلبها أو تستوردتها مصر من الخارج لم تكن كافية في بعض الأحيان لاحتياجات أسطولها ولذلك كانت حكومة المماليك تضطر في أمثال هذه الحالات إلى استخدام الأخشاب المحلية ، وقد ذكرنا من ذكرنا من قبل أن السلطان الظاهر بيبرس اضطر لقطع أربعين شجرة جبر لهذا السبب ، كما أنه لنفس السبب اضطر الأمير شتر قرق شيق الشاد على عبارة مراكب الأسطول في عهد السلطان إينال أن يأمر رجاله بقطع أشجار الغيطان غصبا (٤) . ورغم الضرر الذي لحق بالناس بسبب هذا الإجراء إلا أنه كان مضطرا لذلك لكي يوفر الأخشاب التي تلزم لتفئيد مراكب الأسطول التي كان موقعا توجيها إلى قبرص وكثند .

(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٣٠٠

(٢) ابن إياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ٢٧

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٨٢

(٤) ابن إياس : صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ص ٦٦

وكان الحكومة المالكية حدة دور صناعة لتشييد السفن الحكومية بها سواء الحربية منها أو التيلية الديرانية التي يستعملها كبار رجال الدولة .

لكن بعض دور الصناعة هذه كانت قائمة منذ عهد إسلامية سابقة على هذا العهد ، كما أن البعض الآخر منها شيد في خلافة .

أما التي كانت قائمة قبل العهد المالكي فهي دار صناعة الجوزية التي شيدت في جزيرة الروضة عام ٥٤٩ هـ .

ورغم أنه في عام ٥٢٢ هـ شيد محمد بن طنجح الإخشيد دار صناعة أخرى بساحل القنطرة عرفت باسم صناعة مصر ، إلا أن دار صناعة الجوزية ظلت تتأخر عملها أيضا .

وفي العهد الفاطمي زاد عدد دور صناعة سفن الأسطول ، فقد شيد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله دار صناعة جديدة بمنطقة المنصورة وشيد بها سفينة مركب (١) ، كما واصل الخلفاء الفاطميون من بعده الإهتمام بتشيد مراكب حربية فقصبوا دور صناعة أخرى بالاسكندرية ودمياط ، واستمرت هاتان المدينتان تفرمان بعض العمل في العهد المالكي أيضا (٢) .

أما صناعة مصر فقد ظلت تقوم بمهمتها إلى عام ٥٧٠ هـ ، ثم أحل شأنها بعد ذلك ، وأقيم محل أرضها بستان (٣) .

كما أن دار صناعة الجوزية ظلت تزدى وظيفتها إلى ما بعد نهاية العهد المالكي (٤) .

(١) المقريزي : المواظ ٢٦ ص ١٩٥ - والمقصود اسم لمكان كان يقص على النيل بالقرب من القلعة المملوكية ، وهذا الاسم عرف من كلمة المكس لأن صاحب المكس كان يجلس هناك لجباية المكوس أي الضرائب ٢٦ ص ١٢١

(٢) نفس المرجع والمجلد ص ١٩٢ - ١٩٤

(٣) نفس المرجع والمجلد ص ١٩١ - ١٩٨

(٤) نفس المرجع والمجلد ص ١٨٥ - ٢٩٧ - ابن أبياس : بدائع الزهور ٣٣ ص ٢٤٧



وقد العهد المالكي شيدت عدة دور صناعية جديدة لأول مرة ، نذكر منها دار صناعة بولاق التي شيدت في أرض بولاق التي انخرس عنها النيل غرب القاهرة منذ عام ٨٠٦ هـ (١) . ولقد ظلت لهذه الدار قائمة حتى نهاية العهد المالكي ، وفي عام ٩١٧ هـ صنع بها سفن خربية في عهد السلطان النوردي (٢) ، كما ظلت تقوم بوظيفتها في صناعة السفن بعد سقوط حكم الماليك ، وأشار ابن إياس لذلك أثناء فترته لأحداث عام ٩٢٧ هـ (٣) .

وفي خلال العهد المالكي أيضا شيدت المراكب بمنطقة المنشية قرب قصر ابن العيني (٤) ، وفي عام ٩١٧ هـ توجه السلطان النوردي إليها ، فكشف عن مراكب خمرها هناك (٥) .

وشيدت المراكب الحربية أيضا في جزيرة أروى أو الجزيرة الوسطى (٦) ،

(١) القريزي : نفس المرجع والجزء ص ١٣٦

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٣٨

(٣) ابن إياس : نفس المرجع ج ٢ ص ٢٠٣

(٤) شيد هذا القصر عام ٨٧٠ هـ المقر الشهابي أحمد بن العيني ، فعرف باسم صاحبه . ولقد ظلت المنطقة التي كان يقوم عليها هذا القصر تعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا ، ولذلك اشتهر المستشفى الذي شيد على أرضها باسم مستشفى قصر العيني . عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة ص ١٦٦ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٢ .

(٦) نفس المرجع ج ٢ ص ٦٢ - أما تسمية جزيرة أروى باسم الجزيرة فذلك يرجع إلى أنها تقع بين جزيرة الروقة وبولاق .

سعيد طاشور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ٣١٦ حاشية ١ - أما اليوم فقبل الجزيرة تعرف باسم الجزيرة أو جزيرة الزمالة .

عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ص ١٤

كما شيدت أيضا في رشيد (١)، وكذلك في الطور (٢)، وفي السويس (٣).  
 ويحتمل هنا أن نشكر أن بعض سلاطين المماليك كانوا يعرفون بأنفسهم على  
 صناعة المراكب الحربية في عوز الصناعة ، ومن أبرزهم في هذا الشأن السلطان  
 الظاهر بيبرس البندقداري ، فتدعا قدم إليه رسول الملك رجار للفتح في صاحب  
 عكا ، كان وقتئذ جالسا في دار الصناعة ، بين الاختاب والصناع ، والأمراء  
 يعمل بأنفسها آلات الشواني وهي تمد ، فراهم ما شاهدوه ، (٤) . كما أن هذا  
 السلطان نجار يزل ينضم إلى الصناعة بمصر ويرتب ما يجب ترتيبه من عمل  
 الخراشي فيلنت زيادة على أربعين قطعة سوى الخراشي والعرائد فإنها كانت عدة  
 كثيرة . (٥)

ولقد تعددت أسلحة وأشكال المراكب الحربية وكذلك الديبوانية التي صنعت  
 في هذه الدور وكان لكل منها استخدام معين ، ولعل أشهرها وأبرزها تلك التي  
 تكرر ذكرها في مصادر العهد المماليكي أمثال الشيشي والغراب والطريدة والظليون  
 والحراقة والذهبية .

أما الشيشي : فهي من أهم قطع الأسطول ، وفي كل واحدة منها برج وقمة  
 تحاصر ... وحدة من الغنابين في أحوال الحيلة والقتل ، (٦) ، وفي الطبعة النعل

(١) ابن إياس : المرجع السابق ص ١٣٩ ، ١٤٠

(٢) نفس المرجع ص ١٥١

(٣) نفس المرجع ص ٣١٠

(٤) المقرئ : السلوك ج ١ ص ٦٠١

(٥) المقرئ : الواظ ج ٢ ص ١٩٤

(٦) نفس المرجع السابق والجوء والصنعة .

عليها الملاحون بالهياض التي تبلغ حوال مائة وأربعين ميلا، يسكنونها حيث يراد، ومتوسط ما بين المينى من الرجال يقرب من مائة وعشرين رجلا<sup>(١)</sup>.

والغراب : نوع من الطيور<sup>(٢)</sup>، وربما سميت بالأخربة بهذا الاسم بسبب أن القدماء كانوا يصنعون سفنهم على أشكال الطيور فيجعلون رأس السفينة أو مقدمها على شكل رأس غراب أو أى طير من الطيور الأخرى على سبيل التماثل<sup>(٣)</sup>، أو لأنها كانت تملأ بالزحف وغيره فصارت تشبه في سوادها الغرابان<sup>(٤)</sup>.

ويطعن أن يكون الغراب القزواني بلالون من يتيزون بالحنة في حرب السيف ومقاتل البحر وأربعون دافيا، وأكبر الغرابان مائة وثمانون ميلا<sup>(٥)</sup>.

والطريقة : سفينة مؤخرتها تنح وتثقل<sup>(٦)</sup>، وهي في الواقع نوع من القزواني القزواية<sup>(٧)</sup> لكنها تخص بحمل الحمول والغران، وأكثر ما يعمل فيها أربعون فارسا<sup>(٨)</sup>، وشكلها العام أقرب شيئا بالبرميل المائل<sup>(٩)</sup>.

(١) ابن مسلق : قوانين القوارير ص ٢٤٠ - حياض : سفن الأسطول الإسلامي من ١٠١٤ - الجوى ياروغ الأسطول العربى ص ٢٢.

(٢) ابن عاتق : نفس المرجع والصفحة.

(٣) حياض : المرجع السابق ص ٧.

(٤) حموش التخميل : السفن الإسلامية على حروف المعجم ص ١٠٤.

(٥) محمد بن منكل : الأحكام الملوكية والفتاوى القاموسية، مخطوط.

ص ٢٠.

(٦) حموش التخميل : المرجع السابق ص ٨٩.

(٧) محمد بن منكل : نفس المرجع السابق ص ١٩.

(٨) ابن عاتق : المرجع السابق ص ٢٢٩.

Dozy : Supp. Diak. Ar.

(٩)

والنليون : مركب لم يظهر اسمه في النصوص التاريخية المالكية إلا في أواخر عهد المماليك الحراكية ، ويقول ابن إياس أنه في عام ٩١٨ هـ أحضر السلطان القوي : المركب الكبير النليون الذي حمّره وأصرف عليه نحواً من عشرين ألف دينار ، فأمر سوا به قيادة القياس ، وصنّفوا له ثمان مئزر في البحر وطلقوا في سواربه القناديل في الأمشاط ، (١) .

ومن كلام ابن إياس نفهم أن النليون مركب كبير ، غالى التكاليف ، كأن دورى يقول عنه أنه نوع من المراكب العاليه الأطراف (٢) .

والجراقة : نوع من السفن الحربية الخفيفة (٣) ، ومن أقل حجماً من الشين ، ومجاذيقها حوالى مائة مجداف (٤) ، وكانت تستخدم لحمل الاسلحة النارية كالنار الإغريقية ، وبها مرام تلقى منها النيران على العدو (٥) .

وكثيراً ما استخدمت هذه السفينة في العهد المماليكي كسفينة نبيلة عسكرية لحمل السلطان وأمراء المماليك في رحلاتهم ونقلاتهم النيلية لقضاء الأشغال والإبحار (٦) ، أو للمشاركة في الأحتفالات كاحتفال وفاة النيل وكرم الخليج على وجه الخصوص ، ففي هذا الاحتفال تزين حراقة السلطان وحراويل الأمراء

(١) ابن إياس : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٢٨٦ .

(٢) Dasy : Supp. Dict. Ar

Ibid

(٤) ابن عثاق ، قوانين الدواوين ص ٢٤٠

(٥) محيط المحيط .

(٦) القوي : المواظ ، ج ٢ ص ١٦٧ ، ١٦٨

بأنواع ألوان مختلفة ، ويلب بها وسط إمتدادها ، ويرى بمدافع تنشط على مقدمها (١) .

وكان السلطان أكثر من حراة يشارك بها في هذا الاحتفال ، منها حراة الصخرة ، وكذلك حراة العظمى التي كانت تعرف باسم النخبة كما يقول القلقشندي (٢) .

النخبة : هي حراة السلطان العظمى كما ذكرنا من قبل ، وكانت من شاعر الملكة خاصة في يوم وفاة أنيل ، وكان من الضروري أن يتوجه السلطان بها إلى القياس في هذا اليوم .

غير أنه أبطل استخدامها في عهد السلطان قايتباي ، ويحدثنا ابن إياس عن ذلك فيقول أن هذا السلطان أبطل المركب المساء بالنخبة ، وكانت من شاعر الملكة ولا سيما يوم الوفاء بالنيل ، وكانت الملوك تتوجه فيها إلى القياس وكان بها ستر من مخاها (٣) .

لكنه يعود فيخبرنا بأن السلطان النوري ، حر مركبا يولاق على صفة المركب لتقديم المساء بالنخبة (٤) . وهذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن النخبة ربما عادت من شاعر الملكة مرة أخرى في عهد هذا السلطان الأخير .

ذلك كانت أبرز المراكب الحربية والديوانية التي كانت تعيد في دور الصناعة الحكومية .

(١) القلقشندي : صبح الأمشق ٤ ج ٤ ص ٤٨ + ٤٩ .

(٢) نفس المرجع والمجلد ، الصفحات

(٣) ابن إياس - بدائع الزهور ج ٣ ص ٦ - ٧ .

(٤) نفس المرجع السابق ٤ ج ٤ ص ٢٩٨ .

أما المراكب الأملية - أى التى كانت تصنع بواسطة صنّاع بفسن جتريفين من  
الأمال - فكانت تصنع فى أماكن عديدة على شواطئ النيل وشواطئ مصر على  
البحرين الأبيض والأحمر .

ويبدو أن عدد المراكب النيلية التى كانت تصنع لحساب السلطان والرعية  
كان كبيرا ، فقد قدر ابن بطوطة عددها بستة وثلاثين ألف مركب ، السلطان  
والرعية تمر مساعدة إلى الصعيد ومنحدرة إلى الاسكندرية ودمياط بأبواب  
الخيرات (١) .

كما أن ابن شاهين يقول أنه حملت إحصائية بعدد السفن التى بساحل القسطنطين  
فقط ، فوجد أنها تبلغ على ألف وثمانمائة مركب (٢) .

وبما نحمد الإشارة إليه أن بعض السفن النيلية التى كانت تصنع لنقل المتاجر  
والنلال كان يراعى فيها أن تكون ذات سعة كبيرة ، حتى أن بعضها كان يستطيع  
حمل مقدار ما يحمله خمسمائة بعير (٣) . كما أن بعضها - واسمها الدرمونة - كانت  
تستطيع حمل خمسة آلاف أردب من النلال (٤) ، ولذلك غالبا ما خصصت  
الدرمونة لحمل النلال إلى الحرمين الشريفين (٥) ، أى أنها كانت مركبا نيليا وبحريا  
فى نفس الوقت .

(١) ابن بطوطة : تحفة النظائر ١ ص ٢٦

(٢) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ٢٧

(٣) المقريزى : المرجع السابق ١ ص ٢٦

(٤) ابن شاهين : المرجع السابق ص ١٢٣

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ٢ ص ٣٠١

هذا ولقد كانت سفن الجروم ، أيضا من السفن النيلية التي كانت تصنع وقتئذ ، ولقد ركب طافور إحداها عند سفره من دمياط للقاهرة ، ووصفها فقال أنها طويلة وقاعها مسطح لكي تستطيع السير في المياه الضحلة ، كما أنها مجهزة بشراع مرتفع مثلث الشكل ، ومزودة بنرف تمتد من أحد أطرافها إلى طرفها الآخر يأوي إليها المسافرون على ظهرها ، وتستطيع حمل شحنة كبيرة من البضائع (١) .

غير أن بعض الجروم كانت أصغر حجما ، وقد شاهد بيريلون أنواعا منها بساحل بولاق فقال ولقد شاهدنا سفنا في النيل تسمى جروما ، وهي على ثلاثة أو أربعة أنواع مختلفة ، بعضها منخفض منبسط مريض ، مستدير الشكل قريبا ، وأكبرها شبيهة بالفوارب في نهر السين إلا أنها أقصر بكثير ، وهي تنقل حمولات أكثر من غيرها ، ولها شراع مثلث الشكل . والنوع الأصغر منها - وهي تلك السفن ذات الشراع المربع - لا توصل بعيدا عن بولاق ، فمد ، تستخدم فقط لعبور النيل ، أو لنقل المؤن من القاهرة إلى القرى أو لنقل الدواب من خفة إلى أخرى ، (٢) .

ويبدو أن الأنواع الصغرى من الجروم هي التي استخدمها السلطان الظاهر بيمرس لنقل المتاجر والسلع إلى ميناء دمياط من السفن الضخمة التي كانت ترسو في البحر الأبيض أمام مصب النيل هناك ، وذلك بعد أن أصبح متطلبا على هذه السفن الدخول إلى ميناء دمياط ذاته بعد أن أمر هذا السلطان بردم قم النيل

عندما لحايتها من التارات البحرية المفاجئة من الفريج . وقد ظلت المبروم تقوم  
بمهمتها هذه في العود التي تلت عهد بيرس ، وحاصرها القريزي وهي تقوم  
بنفس المهمة (١) .

أما السفن التي كانت تصنع لنقل المتاجر والمسافرين بالبحر الأحمر على وجه  
الخصوص فن أشهرها ، الجلبة ، . والثى الغريب في هذا النوع من السفن أنه كان  
يرامى أن لا يدخل في صناعته أى صهار . ويشرح ابن جبير طريقة صنعها (٢)  
فيقول : والجلاب التي يصرفونها في هذا البحر القرحون ملفقة الإلقاء لا يستعمل  
فيها صهار البتة ، إنما هي غيطة بأمراس من القنبار وهو قشر حمول التارجيل (٣)  
يدرسونه (٤) إلى أن يتخبط ويفتلون منه أمراسا يخيطنون بها المراكب ، ويخلطونها  
بدسر (٥) من حيدان النخل ، فإذا فرغوا من إلقاء الجلبة على هذه الصفة سقوها  
بالسن أو بدمن الخروع أو بدمن القرش وهو أحسنها . وهذا القرش حوت  
عظيم في البحر يتلعث الفرق ، ومقصدهم في دهان الجلبة ليلين عودها ويرطب ...  
وعود هذه الجلاب يملوب من الهند واليمن ، وكذلك القنبار المذكور ، ومن  
أعجب أمر هذه الجلاب أن شرعها مرسومه من خوص شجر المقل (٦) .

(١) القريزي : المرجع السابق ١٥٠ ص ٢١٣ ، ٢٢٤

(٢) رحلة ابن جبير ص ٤٢

(٣) حمول التارجيل هو ما يسميه اليوم بحمول الهند . رحلة ابن جبير ص ٤٢

حاشية ٣ .

(٤) أى يدرسونه . نفس المرجع والصفحة حاشية ٤

(٥) أى بخروا به . نفس المرجع والصفحة حاشية ٥

(٦) أى شجر القوم . نفس المرجع والصفحة حاشية ٦



وأهل عيذاب كانوا يستخدمون الجلاب بفكر رئيسي، ويحملون عليها الحجاج بأجر إلى جدة وبالعكس، ومن هذا العمل كانوا يجمعون مالا كثيرا، ولم يكن في أهل عيذاب إلا من له جلبة فأكثر على قدر يساره، (١).

والجلاب لم تستخدم في جبل المتاجر والحجاج فقط بل كانت تستخدم أيضا لحل الجند إذا ما ثبت بهم في حملة عبر البحر الأحمر، ففي عام ٧٠٧ هـ أظهر الملك المؤيد هزبر داود ملك اليمن المخالفة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ومنع ما كان يرسله إليه في كل سنة من الهدايا والتقايم، فعز ذلك على الملك الناصر وجبر له تمهيدة، وشرع في حمارة مراكب تسمى الجلابات، (٢).

== هذا ولم يقتصر استخدام السفن الخبيطة بجبال اليف على البحر الأحمر فقط فقد شاع استخدامها في المحيط الهندي أيضا، ولقد اختلفت الآراء حول عدم استخدام البحار في صنعها، فإن جبريد - وهو ذلك إلى الحرف من الغاب المرباية الموجودة بحدرة في البحر الأحمر، والرغبة في تخفيف أثر الاصطدام بها. رحلة ابن جبريد ص ٤٢.

أما المسعودي فيقول ذلك بالحرف من تأكل المسامير من ماء البحر. المسعودي: [مروج الذهب ج ١ ص ٣٦٥].

أما القزويني فيقول ذلك بالحرف من جبال مغناطيسية مضمورة بماء البحر، والحرف من أن تجذب هذه الجبال المراكب إليها إذا ما استخدمت المسامير في صنعها. القزويني: عجائب المخلوقات ج ١ ص ١٧٢.

(١) الخريزي: المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٣.

(٢) ابن أبي عمير: المرجع السابق ج ١ ص ١٤٧.

## البناء والتشييد

لا شك أن عهد سلاطين المماليك بمصر من أروع عهودها الإسلامية في التشييد والعمارة والبناء ، فالتنافس كان واحدا بين سلاطين المماليك للقييد أحسب عدد تمكن من المنقشات والنقائر على اختلاف أنواعها سواء كانت نوبيلية كالساجد والمدافن والخوانق (١) والأربطة (٢) والأحرحة ، أو مدنية كالقصور والقصور والوكالات والخانات والقنادق (٣) .

(١) الخوانق جمع خانقاه أو خانكاه ، وهي كله قوسية منها بيت ، وقيل أصلها خزانة أي الموضع الذي يأكل فيه الملك . والخوانق نوع من المنقشات الدينية خصص للصوفية لينظفوا فيها للعبادة والعبادة والعبادة في جوف الدين . ولقد بدأ ظهورها في العالم الإسلامي في حدود الأربطة من سني الهجرة ، وكان ذلك سوريا ، ثم انتقلت إلى مصر على يد صلاح الدين الأيوبي . المقريزي : (الواحد ٢٦ ص ١١٤) .

Van Berchem : Enc. Isl. Ark. Architecture

(٢) الرباط نوع من المباني العسكرية شيد في ياديه الأمر على حدود البلاد الإسلامية للدفاع عنها ، وكان يربط فيها مجاهدون مسلمون بذور أنفسهم قهر الدين لكن بمعنى الزمن زالت الصفة العسكرية من هذا النوع من المنقشات ، وأصبح الرباط مجرد مبنى لخدمة العبادة يسكنه الزهاد والصوفية . ذكر حسن : فنون الإسلام ص ٢٦ .

(٣) القنادق والخانات والوكالات ثلاثة أسماء كانت تطلق على نوع واحد من المنقشات التجارية ، وكانت تخصص لإقامة التجار الوافدين من البلاد الأخرى ، وكان يراعى في تسميتها أن تتضمن على مساكن أو غرف لخدمة هؤلاء التجار ،

والبياراتات<sup>(١)</sup> والحمامات - الأسبجة - أو صكرية كالحصون والقلاع والأبراج ، وغير ذلك من منشآت عامة أخرى كالفناطر والحدود .

ويحتج السلطان الناصر محمد بن علاون من أبرز هؤلاء السلاطين إيماناً بالتشيد والبناء حتى أنه أنشأ ديواناً عاماً لهذا الغرض تراوح مصروفه اليومي من ثمانية آلاف إلى اثني عشر ألف درهم ، واقتدى الناس بسلطانهم الناصر ، فجاءوا بدورهم البناء لأنفسهم ، وكانوا يودون في الناس ألا يبقى أحد حتى يصر وذلك أن الناس على دين ملوكهم .<sup>(٢)</sup>

ولقد كان لامراء الممالك أيضاً نصيب كبير في ازدهار حركة التشيد والبناء في هذا العهد ، فقد أنشأ إمام أيضاً الكثير من المنشآت ، وجاروا ملوكهم في هذا الأمر ، كما أن السلاطين كانوا يكون إليهم الإشراف على منشآتهم أثناء تشييدها وكذلك منشآت الدولة .

ولا ريب أن حركة التشيد والبناء الازدهار التي تمت في هذا العهد لم تكن لتتم بهذه الصورة لولا توفر الفنين والمهال المهرة المتخصصين في هذه الصنعة وفي الصنائع الأخرى التابعة أو المكملة<sup>١١</sup> . وعن هؤلاء المهال والصنائع قال الفيلسوف

== وكذلك على غايزن وحواليت لتاجرهم التي قدموا بها ، واستطلبت لهم أجورهم .  
للقريضي : الملاحظ ٢٠ ص ٩٢ .

(١) البياراتان أو المارستان هو المستشفى ، وهو أيضاً المكان المهد لإقامة الجائعين . وكلمة بياراتان فارسية الأصل ومكونة من بيار ومعناها مريض - وستان ومعناها محل . يحيط المحيط

(٢) القريضي : السلوك ٢٠ ص ١٢٠ .

فقسلا من القصر في ضللك الأبحار لله . لا يرى مثل جناح مصر في هذا الباب . (١) .

والواقع أن العاملين في هذا المجال كانوا أصحاب تخصصات عديدة ، منهم المهندسون ، والبنائون والراقصون (٢) والحاتون والمجارون (٣) والمرمخون والمجارون والحاتون .

أما المهندسون فقد برز منهم عدة أشخاص ، والشئ الملفت للنظر أن أعدادا من هؤلاء البارزين كانوا يتمتعون لأسرات معينة توارث أبناؤها هذه المهنة كآسرة ابن غنائم التي تلبس للمهندس إبراهيم بن غنائم الذي شيد الكثير من المآثر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري ، والذي بلغ من شهرته أن أصبح أبناؤه يعرفون من بعده ببنى المهندس ، وورث هؤلاء الأبناء والأحفاد هذه المهنة عنه وعملوا فيها من بعده (٤) .

ونذكر أيضا أسرة الطولوني بمهندسيها الكبار الذين توارثوا هذه المهنة كأحد بن أحمد بن محمد الطولوني ، وإبنة محمد بن أحمد الطولوني ، وعبد الرحيم بن علي الطولوني (٥) ، والبدرى حسن بن الطولوني (٦) .

(١) التلخيص : ص ٢٣٠ ص ٢٦٦ .

(٢) الرقصون م النقة . ابن الأخره : معالم القرية ص ٧٠ .

(٣) الحجار هو الذي ينقش النقوش الكتابية على الحجر . المقرئ : السلوك

١٣ ص ٧٣٨ .

(٤) أحمد تيمور : أعلام المهندسين ص ٥١ .

(٥) نفس المرجع ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ .

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور ١٣ ص ٣٥ .

وبما يدل على أهمية المهندسين وطول شأنهم في العهد المماليكي أن بعض السلاطين صامروهم كالسلطان الظاهر برقوق الذي صامر المهندس أحمد بن الطولوني وتزوج إبنته (١) ، كما أنهم كانوا يلتقبون بلقب المعلم (٢) ، كما أن كثيرهم كان يلتقب بلقب معلم المعلمين (٣) ، وهي كلها ألقاب تكسر أهمية المهندس في ذلك الوقت ، ومدى الاحترام والتقدير الذي كان يحظى عليه وقتها .

الخطوات الأولى لعملية البناء في ذلك الوقت كانت تبدأ بعمل رسم للبني المزمع تشييده ، فإذا نال هذا الرسم موافقة من صاحب المبنى تبدأ بعدها عملية البناء ذاتها ، ولقد كان مسجد السلطان الظاهر يبرس أحد المباني المماليكية التي حمل لها رسم قبل بنائها (٤) .

ويصف جده الطيف البندادي بعض الخطوات التي كانت تتبع في مصر عند الشروع في تشييد مبنى معين فقال أن المصريين « إذا أرادوا بناء ربيع أو دار ملكية أو ليسارية استنصر المهندس وفوض إليه العمل ، فيعتمد إلى العرصة وهي قل التراب أو نحوها فيقسمها في ذهنه ، ويرتبها بحسب ما يقترح عليه ، ثم يمدد

(١) نفس المرجع والجزء ص ٢٩٦ .

(٢) القرينى : الملاحظ ٢٣ ص ٢٨٤ .

(٣) ابن إياس : المرجع السابق ١٣ ص ١١٧ ، ٤٣ ص ٣٥ .

(٤) القرينى : الملاحظ ٢٣ ص ٣٠ - وما يذكر في هذا الشأن أيضا أن أحمد بن طولون عندما فكر في بناء مسجده كتب إليه مهندس نصراني يقول له « أنا أبنيه لك كما تحب وتختار... فأحضره... فأمر أن تحضر له الجلود فأحضرت وصوره له فأعجبه واستحسنه » . نفس المرجع والجزء ص ٢٦٤ .

إلا جزء في تلك الأرض فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به كل أفراد ويسكن ، ثم  
يعود إلى جزء آخر ، ولا يزال كذلك حتى تكمل الجلة بكل الأجزاء من غير خلل  
ولا استدراك (١) .

ولما كان أساس المبنى هو الممول عليه دائما لحل ثقل المبنى لذلك كان يتم بأن  
يكون هذا الأساس قويا عميقا خاربا في باطن الأرض إلى أبعاد كبيرة ، ومن  
أشلة ذلك أساس قصر الأمير بشتاك الذي كان ينفذ في باطن الأرض إلى عمق  
أربعين ذراعا ، وإلى نفس العمق أيضا كان يمتد أساس قصر الأمير بكتمر السابق ،  
وبكذلك أيضا أساس قصر الأمير يلينا اليجايوى (٢) .

ومن بين الوسائل التي كانت تقبض لتقوية الأساس وزيادة قدرته على حمل  
ثقل المبنى أنهم كانوا يهيّدون في باطن الأرض أوتادا رأسية تعرف باسم المسناة  
أو الزرية .

ويصف عبد الطيف البغدادى كيفية بنائها وكيفية النزول بها إلى أبعد حق  
مكن فقال : ... المسناة ويسمونها الزرية ، ولهم في بنائها إختان حسن ، وصنعت  
أن يحفر الأساس حتى تظهر التندوة ونزير الماء فحينئذ يوضع ملبن من خشب  
الجزر أو نحوه على تلك الأرض الندية بعدما تمهد ، ويكون عرضة نحو ثلاث ذراع  
وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذى يعمل في قعر الآبار ، ثم يبنى عليه بالطوب  
والجسيمر نحو قامتين فيصير بمنزلة التنور ، فيأتى الغواصون وينزلون هذه البئر  
ويحفرونها ، وكلما نبع الماء نزحوه مع الطين والرمل ، ويحفرون أيضا تحت ذلك

---

(١) عبد الطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار ص ٣٩ .

(٢) المقرئى : السلوك ٢٨ ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

اللبن ، فكلما تخلخل ماتحته وتقل بما عليه من البنا نزل ، وكلما نزل فاصوا عليه وحفر واتحته ، والبنا في أثناء ذلك يبنى عليه ويرفقه . ولا يزال البنا يرفع والفواصل تحت يحفر ، وهو يشتهل بفصوص حتى يستقر على أرض جملته ويصل إلى الحد الذي يرفقونه ، فحينئذ ينقلون إلى عمل آخر مثله على سمته وعلى بعد أربع أذرع منه أو نحوها ، ولا يزالون يفعلون ذلك في جميع طول الأساس المفروض . ثم يبنون الأساس : كالعادة بعد ردم هذه الآبار فترجع أوتاداً رأسية للبنا وعمداً تدعمه وترفعه ... (١).

أما مادة البناء التي استخدمت في تشييد العمائر فكانت تختلف حسب نوعية البناء ووظيفته وأهميته ، لذلك استخدم الحجر في بناء بعضها ، كما استخدم الحجر في بناء بعضها الآخر ، كما استخدم في بعض الأحيان خشب النخل والقصب المحكم السمكة لبناء الأجزاء العليا من المباني لتخفيف ثقلها على الطبقة التي تحتها (٢) .  
والحجر الذي استخدم في التشييد والبناء كان منه الحجر النصف المشهر (٣) ،

(١) عبد العزيز البغدادي : الإفادة والاحتياط ص ٣٩ .

وبما هو جدير بالذكر أن المباني الضخمة التي تبنى في عصرنا الحاضر تدك في أساساتها إلى أعماق كبيرة أوتاد ضخمة من الحراسنة المسلحة بواسطة آلات ذلك الميكانيكية ، وهذه الأوتاد الحراسانية تقوم اليوم بنفس الوظيفة التي كانت تقوم بها المستاء من قبل .

(٢) القلقشندي : صبح الأهرى ص ٢٦٦ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ص ٢٦٢ - والحجر المشهر هو الحجر المنقور السطاح .

وكذلك الحجر المنيع<sup>(١)</sup> ، وكذلك أيضا الحجارة العالية وهي أحجار تقطع من الجبل في أحجام كبيرة وتنقل إلى مكان التشييد على عجلات تسحبها الأبقار<sup>(٢)</sup> . وغالبا ما استخدمت هذه الأحجار الأخيرة في تشييد المباني الضخمة الذي يراد لها أن تكون منيعة أو أن تبقى مدة طويلة كالقلاع والحصون وكذلك بعض المساجد والمدارس الضخمة<sup>(٣)</sup> .

وفي بعض المآثر مدت عمد رخامية في سلك جدرانها كأربطة لها تدعها وتزيد من قدرتها على الاحتمال ، ونشاهد هذه الطريقة مستخدمة في جدران جامع الظاهر ببورس وكذلك في قلعتي قايتباي بالإسكندرية ورشيد<sup>(٤)</sup> .

واستخدم في بعض المباني نوع من الجبس القسوى السريع الشك يعرف بالجبس الزجاجي لربط الطوب بعضه ببعض ، كما استخدم كرسادة الصق القاشاني على بعض المنشآت ومن أمثلتها قبة القنوري<sup>(٥)</sup> .

والواقع أن المجال هنا لا يتسع لإعطاء وصف مفصل لكافة المآثر والمنشآت التي بقيت من العهد المملوكي ، لكن سنكتفي بالإشارة إلى بعض مظاهر التطور الرئيسية التي لحقت ببحثها في خلاله خصوصا المآثر الدينية كالمساجد والمدارس

(١) نفس المرجع ٤٣ ص ٥٦ .

(٢) نفس المرجع ١٣ ص ٢٦٥ .

(٣) كانت مدرسة السلطان الظاهر برفوق من بين المدارس التي شيدت بهذا النوع من الأحجار . إن إياس : نفس المرجع والمجلد والصفحة .

(٤) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ص ٩٩ .

(٥) عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار ، مصر المملوكي ص ٢٢٢ .



والخائقات لأنها غالباً ما بقيت محتفظة بأغلب عناصرها المهدية والزخرفية إلى وقتنا الحاضر بما نألمنا من رسم وعناية على مـ الصور .

أول ما يلاحظه من تـ هو أن التخطيط المتعاند بدأ يطبق في تخطيط المدارس، وهذا التخطيط يسميه المشترون من علماء الآثار الإسلامية بالتخطيط الملبس لأن رسومه على الورق تبدو في مجملها قريبة الشبه بشكل الملبس .

وعنتى التخطيط المتعاند أصبحت المدرسة تـ على صحن أو سط مكشوف تـ على أحلاعه الأربعة أربعة إيوانات متقابلة . وهذا التخطيط يطبق في مصر لأول مرة في المدرسة الظاهرية التى شيدتها السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٠ - ٦٦٢ هـ (١) ، ثم شاع استخدامه وتطبيقه في عدد كبير من المدارس المالكية بعد ذلك ، بل إن بعض المساجد التى بنيت منذ القرن التاسع الهجرى شيدت بنفس التخطيط (٢) .

حدث تطور أيضا بواجهات المساجد والمدارس والخائقات ، فأصبحت هذه الواجهات تخضع لحذف وخطة ، أما الهدف فهو الرغبة في أن يتحقق لها مظهر الضخامة مع الفخامة في نفس الوقت .

(١) ورغم أن هذه المدرسة تخربت بعض الزمن واندثر معظم أجزائها إلا أن وصف المقرئى لحفل افتتاحها يدل على أنها كانت ذات إيوانات أربعة متقابلة ، فهو يقول « وجلس أهل الدروس كل طائفة في إيوانها ، الشافعية بالإيوان القبلى ... والحنفية بالإيوان البحرى ... وأهل الحديث بالإيوان الشرقى ... » والقراء بالقراءات ، السبع بالإيوان الغربى » . المواظ ٣٦ ص ٢٧٨ .

(٢) حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص ١٤ .

ولتحقيق هذا الهدف عمد البناء إلى إيجاد تأثيرين في الواجهة : تأثير رأسى  
يخفى عليها مظهر الارتفاع العايق ، وتأثير أفقى يخفى عليها مظهر الإمتداد  
الأفقى الطويل .

أما التأثير الرأسى فقد أوجده البناء بتقسيم الواجهة إلى قطاعات رأسية غائرة  
تتكرر بينها قطاعات رأسية بارزة ، كما جعل النوافذ تصطف فوق بعضها البعض  
رأسياً في القطاعات الغائرة ، فتتج عن تكرار هذه القطاعات النائرة والبارزة  
وتكرار الصفوف الرأسية للنوافذ وبماورتها لبعض البعض تحقيق مظهر الارتفاع  
العايق الواجهة .

أما التأثير الأفقى فقد أوجده البناء بمجموعة عناصر معمارية وزخرفية ، منها  
صف من الشرفات الزخرفية الشكل تمتد أفقياً فوق القمة العليا للواجهة ، ثم  
كورنيش بارز يمتد أفقياً تحتها ، وفي بعض الواجهات استقبل البناء هذا الكورنيش  
البارز بكورنيش ضخم من المقرنصات (١) ، وفي بعض الأحيان كان يضيف إلى  
ذلك طرازاً كتابياً ينقش على الواجهة بطول امتدادها الأفقى .

(١) تعد المقرنصات من أبرز خصائص الفن الإسلامى . وكلمة المقرنص كلمة  
عربية على اللغة العربية ، ولها معربة عن كلمة الكورنيش اليونانية ثم حُرِفَتْ إلى  
مقرنص ، أو لها جاء من الكلمة العربية «مقرنص» أى مجلس القرفصاء ، وهى  
تسمى هكذا في بلاد المغرب .

وفي اللغات الأوروبية يطلق على المقرنص كلمة Stalactite التى تعنى الرواسب  
الكلسية المخروطية الشكل التى تتدلى من أسقف بعض الكهوف ، لكن هذه الكلمة  
الأوروبية غير دقيقة في التعبير عن الصور المختلفة الممتدة للقرنصات ، إذ هى =

وإن أحيان أخرى كان يتوج القطاعات الرأسية النائرة بالواجهة بصفوف أفقية من المقرنصات . وبكل هذه العناصر استطاع البناء أن يحقق التأثير الأفقي في الواجهة (١) .

والشيء الجدير بالملاحظة هنا أن البناء استطاع أن يستخدم بمهارة الشرفات والمقرنصات والإزارات الكتابية ، فبجانب أنه استخدمها لتحقيق التأثير الأفقي في الواجهة فقد استخدمها أيضا في نفس الوقت لتجميل وتزيين هذه الواجهة وإضفاء مظهر الفخامة عليها .

والواقع أن تزيين الواجهات لم يقتصر على هذه العناصر فقط ، فقد زينا البناء أحيانا بأشكال معوية كما زيناها في أحيان أخرى باستخدام مدايك حجرية

== لا تمسك إلا على صورة واحدة منها فقط وهي التي تعرف باسم الدلايات والتي تروا أعلى مداخل بعض المساجد والمدارس المالكية . محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامي في العصر الأيوبي ص ٨٢ .

ولقد تعددت استخدامات المقرنصات في العمارة الإسلامية . فقد استخدمت للزخرفة المعمارية بالواجهات وتيجان الأعمدة ، أو لتدرج من شكل إلى آخر ولا سيما من السطح المربع لقاعدة القبة إلى التكوين الدائري لقبة ذاتها ، كما كانت تستخدم في بعض الأحيان لتقوم بعمل الكواويل أسفل دورات المؤذن بالمنارات ذكرى حسن . فنون الإسلام ص ١٥٤ .

(١) واجهة مدرسة وخريج المنصور قلاوون ٦٢ - ٨٦٤ هـ . هي أقدم واجهة مالكية باقية حتى اليوم يظهر فيها بجملة التأثيرين الرأسي والأفقي .

أقنية صفراء تتألف من مداميك أقنية أخرى حمراء داكنة أو بيضاء (١) .  
وبالأضافة إلى ذلك فقد عمد البناء - حرصاً منه على إبراز الواجهة - إلى إقامة  
مدخل المبنى على أحد جانبي الواجهة وليس في وسطها كما كان متبعاً من قبل .  
ولنفس الغرض أيضاً حرص البناء على تقوم المئذنة فوق أحد طرفي الواجهة ،  
وفي بعض الأحيان أقام مئذنتين فوق طرفيها (٢) .

نلاحظ أيضاً أن مداخل المساجد والمدارس والخانات قد لحق بها هي  
الأخرى تطور فأصبحت تتميز بصفات تميزها عن مثيلاتها التي شيدت في العهود  
السابقة . ويمكننا أن نلخص مظاهر التطور الذي لحق بها في الآتي :

١ - أصبح المدخل يقوم على أحد جانبي الواجهة ويرتفع عن مستوى  
الفارح بعض الشيء ، وتقدمه بصفة عريضة تتصل بالفارح من جانبيها بواسطة  
درجات حجرية (٣) .

٢ - أصبح باب المدخل يقوم داخل فجوة عميقة شامخة تمتد في ارتفاعها  
إلى نفس ارتفاع الواجهة ، بل قد يزيد ارتفاع بعضها على ارتفاع الواجهة ذاتها .  
وغالباً ما توجد هذه الفجوة بقدر ثلاث الفصوص تستند طاقيته على عدة

(١) أرنست كورل : الفن الإسلامي ص ١١٢ - كال الدين سامح : العمارة  
الإسلامية في مصر ص ٣٨ - ذكي حسن : فنون الإسلام ص ٨٠  
(٢) كال الدين سامح : نفس المرجع والصفحة - كي حسن : نفس المرجع  
والصفحة .

(٣) ولنفرد جوزيف داني : العمارة العربية بمصر ص ١٦ - كال الدين سامح :  
نفس المرجع ص ١٧٦ .

ضخوف من الدلايات والمقرصات (١) .

٢ - أصبح من المتاد بناء مصطبة حجرية على كل جانب من جانبي المدخل تعرف باسم المكسة (٢) .

وبصفة عامة نستطيع أن نقول أن مداخل كثير في المساجد والمدارس والخانقارات في العهد المملوكي تأثرت بما كانت عليه المداخل السلجوقية من فخامة ووضاعة ونقش في الزخرف فحاكتها في ذلك (٣) .

تطورت المآذن أيضا في العهد المملوكي ، فبعد أن كانت في أواخر العهد الأيوبي تتكون من قاعدة مربعة يلوها طابق مشتمل الشكل تنوحه مبنرة (٤) ،

(١) سامح نفس المرجع والصفحة .

لكن يجب أن نوه بأن ظاهرة تنويع المداخل بالمقرصات لم تكن ابتكارا مصرياً ، ففي سوريا أمثلة لها أقدم بقرن من الزمان تحرياً من مثل معروف لها في مصر .

Creswell : The muslim architecture of Egypt, vol II, pp 146-147

(٢) عرفت مصر هذه المساطب عن طريق سوريا ، فقد استخدمتها المنازل السورية منذ عهد قديم .

Hautecoeur ; Les mosques de eaire, P 283

ولعل إطلاق اسم المكاسل عليها يرجع إلى تلك الكسائل وجلوسهم عليها حين عيد الوهاب . المصطلحات الفنية المعمورة الإسلامية ، مقال بمجلة المجلة العدد ٢٧ مارس ١٩٥٢ م .

Hautecoeur : Ibid. p 249

(٣)

(٤) المبنرة هي قبة ذات قطاع عذب الشكل ، سطحها مقسم إلى ضلوع مجزأة

أصبحت في أوائل القرن الثامن الهجري - كما في مئذنتي سنجر وسلاز ٧٠٢ هـ - تتكون من ثلاثة طوابق : طابق مربع قصير ، يعلوه طابق مشمن أطول منه ، ثم طابق مستدير علوي تتوجه نحو مئذنة مضلعة (١) .

ثم نجد في مئذنة مسجد المارداني ١٢٩ - ٧٤٠ هـ أن الطابق المربع السفلي قد قصر إلى حد كبير فأصبح لا يظهر منه فوق سطح المسجد إلا جزءا بسيطا ، بينما زاد بقع المئذنة ارتفاعا ورشاقة ، وأصبح هذا البدن يتكون من طابقين مشمنين بدلا من طابق واحد كما كان الحال من قبل .

أما الجزء العلوي للمئذنة فقد أصبح على هيئة جوسق مفرغ يقوم على أعمدة .

لكن في نهاية القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري ظهرت مآذن إذات أشكال فريدة ، مثل مئذنة القروى التي تطل على صحن الجامع الأزهر ، فهي ذات رأس مزدوج . أما مئذنته بمسجده بالقروية فتتميز برؤوس أربعة (٢) .

== بارزة . ولقد تعددت الآراء حول أصلها ، فريشوار يرى أن أصلها هندي ويقول أنه توجد تماذج مشابهة لها في معابد هندية ترجع إلى ما بين القرن الثامن والقرن الثالث عشر الميلادى .

Rivoira : moselem architecture. p 164

لكن كريستول يرى أن المبخرة بنتها المقرص للعات في القاهرة

Griswell : The evolution of the minaret, Burlington magazine (mars, may, June 1926) .

(١) سيد عبد العزيز سالم : المآذن المصرية ص ١٩ - ٢٥

Hassid : The Sultan's turrets. pp 40 - 43

(٢) سامح : المرجع السابق ص ١٩٤ - وهناك أمثلة أخرى لمآترات أو ==

وكما تطورت المآذن فقد تطورت القباب أيضا ، ويسود ذلك واحدا في مقرصاتنا التي ترتكزها على قاعدتها المربعة ، فقد زادت طوابق هذه المقرصات عما كانت عليه في أواخر العهد الأيوبي ، وزيد في تزييناتها ، ودرجتها فوق بعضها البعض في شكل هرمي ، أو على هيئة مثلث كروي ضخم إرأسه إلى أسفل وقاعدته إلى أعلى .

وفي بعض القباب صنعت قوالب خطية في شكل المقرصات ، وبالصفت في أركان قاعدة القبة فوق مقرصاتنا المربعة ، وزينت هذه القوالب بخارفي مذهبة وملونة (١) .

ولقد تنوع الشكل الخارجى لقبة أيضا ، فأصبح منها ما هو نصف كروي ، ومنها ما هو يضاوى ومنها ما هو غريب في شكله كقبة عبد الله المنوفى التي ترجع إلى نهاية القرن السابع الهجرى فهي تنتهى من أعلاها بمنور فوقه مشنة تحمل قبة صغيرة مضلعة (٢) .

وحسب أوائل القرن ٨ كان القباب تبنى عادة بالأجر ، لكن منذ هذا

المآذن ذات رؤوس مودوجة بليت في نفس الفترة نذكر منها منارة القمري بمصر  
ومنارة مسجد جان بلاط ومنارة مسجد العمروسى بالمنيا ومنارة مسجد  
قانى باى بالناصرية . وهناك احتمال بأن بداية هذا النوع من المآذن ترجع إلى  
النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ، فإن كثير يصف منارة مسجد السلطان  
حسن التي سقطت عام ٧٦٢ هـ بأنها مودوجة الرأس . حسن عبد الوهاب : تاريخ  
المساجد ص ٢٨٤ .

Hautecœur : op cit, pp 272-273

(١)

(٢) ذكرى حسن : فنون الإسلام ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

الزقمة يدعى في بنائها بالحجر .

ونلاحظ أن الطابع العام لقباب هذا القرن هو التفتحة والزخرفة والجمال  
باعتبار ذلك بالقباب السلجوقية<sup>(١)</sup> ، كما تعددت أساليب زخرفتها وتزيينها من  
الداخل والخارج .

أما من الخارج فبعض القباب خلعت بشلوع محدبة تفصل بينها فواصل  
مقعره ، أو بشلوع ذات شكل حلزوني . وتميزت قباب العهد المملوكي الجمركي  
بجمال زخارفها المنقورة والبارزة على سطوحها الخارجية ، وتروى هذه  
الزخارف في أشكال هندسية وبائية أو زخارف مجدولة<sup>(٢)</sup> .

أما وقاب القباب من الخارج فقد زينت بإزادات زخرفية وينقوش كتابية،  
كما زين بعضها بأشكال مقرنصات ومطاقات ، أو أحيط بحلقة من الأسنة البارزة<sup>(٣)</sup>  
كما حل بعضها بفسيفساء زخرفية ملونة .

ولقد تفنن البناء في ابتكار أشكال مختلفة جميلة للانتقال الخارجي من القاعدة  
المربعة لفتية إلى رقبته ، وجعل هذا الانتقال يتم أحيانا بواسطة عدة درجات  
متتالية تملأ بعضها البعض ، وفي بعض القباب حور البناء هذا الشكل المتدرج إلى  
شكل زخرفي تتكرر به المقرنصات المحدبة والمقعره<sup>(٤)</sup> .

Hautcoeur : op cit. p 272

(١)

(٢) سامح : العمارة الإسلامية في مصر ص ٢١٢ .

Hautcoeur, op cit, p 272

(٣)

(٤) سامح : المرجع السابق ص ٢١٢ .



## صناعات متنوعة .

بالإضافة إلى ما ذكرناه من صناعات فلا يفوتنا أن نغير إلى صناعات متنوعة أخرى ورد ذكرها في بعض المصادر ، لكن بما يؤسف له أن هذه المصادر لم تتكلم عنها باستفاضة ولم تعدنا بتفاصيل وإليه هنا ، ولذلك سنكتفي بمتطرين بمجرد الإشارة إليها فقط . ولها على أسماء بعضها :

صناعة المكاس (١) .

صناعة المرادن (٢) .

صناعة المراح (٣) .

صناعة الشرايات (٤) .

صناعة الأمشاط (٥) .

- (١) ذكر ابن الأخوة في كتابه معالم القرية ص ٢٣٨ أنها تصنع من اليف .  
 (٢) الرदन هو الغزل ، وعند العامة تصيب دقيق من الحديد يركب في الدواليب تلف عليه خيوط الغزل . يحيط المحيط .  
 وقد كانت المرادن تصنع من خشب الساسم أو من خشب السط الأحمر وأيضاً من النحاس الأصفر . ابن الأخوة : معالم القرية ص ٢٢٥ .  
 (٣) تصنع من الخوص النقي . نفس المرجع ص ٢٣٨ .  
 (٤) تصنع من اليف المنفوخ في الماء يوماً قبل استعماله لتزول حره ، وتعمل حول الشرايات دائرة من جلود التماسيح المدبوحة ، أو من جلود البقر المدبوحة وتغرز بخيوط الكتان . ابن بسام : نهاية الرتبة ص ٩٩ .  
 (٥) تصنع من خشب البقس الرومي وهو خشب صلب . والأنواع الممتازة منها تصنع من الذيل وهو عظم ظهر السلحفاة . ابن الأخوة : المرجع السابق ص ٢٣٧ .

- صناعة الحصر (١) .
- صناعة الأخفاف (٢) .
- صناعة الحرانفس (٣) .
- صناعة الترايل والمناخل (٤) .
- صناعة الضيب أى الاغلاق التى تنلق بها الأبواب (٥) .
- صناعة رسالات الجبال وأقنابها (٦) .
- صناعة الحابر (٧) .

- (١) الأنواع الجيدة منها تصنع من السيار القلازى وتصنع بالقوة القبرصية .  
أما الأنواع الرديئة فتصنع من أنواع أخرى من السيار كالسيار القطوى والسيار  
الكرامى ، وتستخدم خيوط من غزل الكتان لشد السيار إلى بحنه البعض . ابن  
الأخوة : نفس المرجع ص ١١٠ .
- (٢) المقرزى : المواعظ ج ٢ ص ٨٩ — وما يذكر أنه كانت تصنع خفاف  
بيض ليلبسها رجال السيف فى الصيف — كما كانت تصنع لهم خفاف صفر من  
الاديم الطائى ليلبسوها فى الشتاء . القلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٤١ .
- (٣) المقرزى : نفس المرجع ص ٩٩ . والحياصة هى الجوزم أو المنطقة التى  
يشدها رجال السيف حول أوساطهم ، وتصنع من الذهب وتركب على حاشية من  
الحرير . القلقشندى : المرجع السابق ص ٥٢ .
- (٤) المقرزى : نفس المرجع ص ١٠٠ .
- (٥) نفس المرجع والجزء والصفحة .
- (٦) نفس المرجع والجزء ص ٩٥ — والرحل مركب ليجهز أصفر من القتب ،  
محيط المحيط .
- (٧) المقرزى : نفس المرجع والجزء ص ١٠١ — والمخارة ثقبه المودج

صناعة قسي البندق (١) .

صناعة الطوب (٢) .

صناعة الصابون (٣) .

صناعة القريب (٤) .

---

وفي اصطلاح العامة صندوقان يشدان إلى جانبي الرجل يوضع فيهما الأولاد

الصغار الذين لا يستطيعون الركوب . محيط المحيط .

(١) المقرئى : نفس المرجع والجزء ص ١٠٤ .

والبندق تمرير لكافة الفارسية فندق ، وهو طين صلب كروى الشكل يرى

به . محيط المحيط .

(٢) المقرئى : نفس المرجع والجزء ص ٢٩٨ .

(٣) ذكر عبد الطيف البغدادى أن مصر كانت تصنع في العهد الأيوبي أنواعا

من الصابون من زيوت بعض النباتات كزيت الحش ، كما قال أن هذا الصابون

يتمتع بالوان فته الاحمر و ته الاضفر و ته الاخضر . عبد الطيف البغدادى :

الإقادة ص ٤١ .

وأغلب الظن أن صناعة هذا الصابون استمرت في العهد المائلى .

(٤) نظرا لكثرة عدد السقائين واجت صناعة القريب رواجاً كبيراً ، وكثر

عدد مناعها حتى أصبح لهم حتى خاص بهم يعرف بإسم حتى القرية . ابن إياس :

بدائع الزهور ص ٢٣٠ ص ١٩٢ .

## نظام الطوائف الصناعية والحرفية

يجدر بنا قبل أن نحتم كلامنا على الصناعات في مصر المالكية أن نلقى بعض الضوء على نظام الطوائف الصناعية والحرفية في ذلك الوقت .

والواقع هناك ما يدل على وجود هذا النظام في مصر منذ العهد الفاطمي على الأقل ، واستطيع أن نستدل على ذلك من قول المقرئى أنه في العهد الفاطمي كان « كل أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمرهم » (١) . وعجاجة « أرباب كل صنعة » التي وردت في كلامه تعطينا معنى الجماعة أو الطائفة التي تضم في نطاقها كافة العاملين في صنعة من الصنائع (٢) .

وعلى الرغم من أن مؤرخى مصر المالكية والرحالة الذين زاروها في هذا العهد لم يتكلم أحد منهم عن هذه الطوائف وعن نظمها بالتفصيل ، إلا أننا نستطيع أن نكون صورة تقريبية عنها بالاعتداد على الصورة التي كانت عليها مثلتها من الطوائف الأخرى في العالم الإسلامي بصفة عامة ، وكذلك بالاعتداد على بعض الشواهد والأدلة التي تعرفنا ببعض نظم هذه الطوائف خلال عهدي المماليك والعثمانيين بمصر بصفة خاصة .

فرغم أن الطوائف الصناعية والحرفية الإسلامية كانت تقوم متفرقة في أرجاء وأقاليم العالم الإسلامي المختلفة ، إلا أنها كانت تتقارب في نظمها الرئيسية العامة . فقد كانت تتقارب في أن لكل منها رئيسا اختلقت الألقاب التي لقب بها من بلد

---

(١) المقرئى : (خاتمة الأمانة ص ١٨) .

(٢) استخدم برنارد لويس وكذلك ماسينيون كلتي صنف وتقابة للدلالة على معنى الطائفة الصناعية أو الحرفية الإسلامية .

آخر ، مثل لقب الشيخ أو الأمين أو العريف<sup>(١)</sup> أو المعلم<sup>(٢)</sup> . ولشيخ الطائفة مساعد عرف في بعض أقاليم وبلدان العالم الإسلامي بأسماء متعددة منها اسم القريب<sup>(٣)</sup> . وقد يساعد الشيخ أحيانا في إدارة شئون الطائفة مجلس مكون من المستن من كبار معلمي الصنعة أو أساتذتها أو أسعوانها ، وهؤلاء كانوا يعرفون بالاختيارية<sup>(٤)</sup> .

ويبدأ أعضاء الطائفة عملهم بطائفتهم وهم صغار ، حيث يبدأ الواحد منهم في تعلم أسرار الصنعة أو الحرفة وفنونها لفترة من الزمن على يد معلم من معلمي الصنعة أو أساتذتها .

وفي فترة التدريب هذه يعرف الواحد منهم بالمبتدى<sup>(٥)</sup> أو المتعلم<sup>(٦)</sup> أو الصبي<sup>(٧)</sup> .

وإذا أتم المبتدى تعليمه وتدريبه ، واقتنع أساتذه أنه أصبح جديرا بأن يمارس الصنعة أو الحرفة مستقلا ، فإنه يخرج بذلك شيخ الطائفة فيقام عنده

---

(١) برنارد لويس: التفافات الإسلامية ، مقال مترجم بمجلة الرسالة الأعداد ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ سنة ١٩٤٠ م ، ترجمة عبد البريز النورى .

Louis Massignon ; Essai sur l'art Sufi (٢)

(٣) برنارد لويس : المرجع السابق .

(٤) برنارد لويس : المرجع السابق .

(٥) برنارد لويس : المرجع السابق .

Louis Massignon : op cit (٦)

(٧) ليلى بروفسال : سلسلة محاضرات جامعة في أدب الأندلس وقارظها

احتفال يراه أساتذة الصنة أو الحرفة ، وفي هذا الحفل تتم ترقية المبتدع إلى درجة أعلى .

وكان من المعتاد أن يبدأ الحفل بقراءة فاتحة ، وإلحاد في مدح النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم يقب ذلك إجراءات تعرف بالشد ، أي شد الحفل به . وتتلخص هذه الإجراءات في قيام شيخ الطائفة بشد وسط الحفل به بمندبل أو حرام أو شال ، يقدّم عدة عقد . وبعد عملية الشد هذه يلبس الحفل به لباسا خاصا يعرف بالسروال ويوضع على كتفه شال ، ويعرف بواجباته الجديدة ، ويؤخذ عليه العهد والميثاق بأن يلتزم بها ولا يخرج عليها ، وأن يظل عظما لها . فإذا انتهت هذه الإجراءات يأخذ الحفل به مكانه بين زملائه على بساط الشكرس لتناول غذاء يعرف بالتعليق أو الوجبة (١) .

تلك كانت أبرز تقاليد ونظم الطوائف الصناعية والحرفية الإسلامية بصفة عامة ، ولاشك أن مثلها في مصر كانت لها نفس الملامح سواء في فكرتها أو نظامها أو تقاليدها ، فالقريوي عندما تكلم عن الصانع بقبارية طاشنر قال أنه ، تحت يد كل معلم منهم عدة صبيان من أولاد الأتراك وغيرهم (٢) ، أي أن أرباب الصنة الواحدة كان فيهم المعلمون . كما كان فيهم البشكرون وهم الصبيان ، وإن هؤلاء الصبيان كانوا يتقنون التدريب على يد معلم الصنة وتحت مباشرتهم وإشرافهم .

ولقد اختلف الأتقاب المهنية (رؤساء الطوائف الصناعية والحرفية المصرية

Louis Massignon : Ess. Isl. art Shedd (١)

(٢) القريوي : المواقف ٢٠٧ ص ٩١ .

وكذلك ألقاب معلمى الصنعة ، ويمكننا أن نستدل على بعض ألقابهم تلك من بعض النقوش الكتابية التى نقشوها على بعض مصنوعاتهم واتى سجلوا فيها أسماءهم وألقابهم المهنية ، ومن بينها مثلا نقش كتابى منقوش على كرمى عشاء مكنت بالفضة محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ونصه : « عمل البعد الفقير الراجى حفره وبه الحروف » (ف) بأن المعلم الأستاذ محمد بن سقر البغدادى السنائى وذلك فى تاريخ سنة ثمانية وخمسين وسبعمائة ...<sup>(١)</sup>

و كما أن بعض الناحف والمجموعات الفنية الخاصة تختم قطعا خرفية باليكة عليها توقيعات صناعها وألقابهم المهنية ، ومنها لقب « المعلم » ، ولقب « شيخ الصنعة »<sup>(٢)</sup> .

وعلى لوحة التذكارية لمنبر مسجد أبي العاطى بدمياط نجد نقشا باسم صانه . المعلم أحمد بن يوسف فى شهر رجب سنة ٨٧٧ هـ<sup>(٣)</sup> .

كما أننا نجد على بعض القطع الخرفية المصرية التى تنسب إلى القرن التاسع الهجرى عبارة « عمل الأستاذ المصرى » . والمصرى هذا كان من أعلام صناع الحرف فى مصر فى عصره<sup>(٤)</sup> .

وكان الخراويه كبير ذكره المقرئ بعبارة « كبير الخراويه »<sup>(٥)</sup> .

Wiet : Objets en cuivre, p. 18

(١)

(٢) زكى حسن : فنون الاسلام ص ٣٢٤ .

(٣) حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناعات على آثار مصر الإسلامية

ص ٥٤٧ .

(٤) زكى حسن : المرجع السابق ص ٣٢٢ .

(٥) المقرئ : المراسم ٢٣ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ . هذا ولم أجد فى المعجم النقري وكذلك فى المصادر الأخرى التى رجعت إليها تمرينا للمولود كاله خراويه .

أما كبار السقائين فكان يقب ب لقب مقدم السقائين (١) .

ومن كل هذه الانقلاب نستطيع أن نقول أن أعضاء الطوائف الصناعية والحرفية في مصر المماليكية كانوا يخضعون داخل طائفتهم لنفس نظام التدرج الذي أشرنا إليه من قبل ، وأن مرتبة الصبي كانت أدنى مرتبة في هذا التدرج ، تعلموها مرتبة المعلم أو الأستاذ . أما رئيس الطائفة - فواضح من الأمثلة التي ذكرنا - أن القاب المهنية كانت تختلف من طائفة لأخرى وعرفنا منها لقب شيخ ، ولقب كبير ، ولقب مقدم .

أما فيما يختص بالروابط التي كانت تربط بين أفراد الطائفة المصرية وبوعية العلاقة بينهم ، فلما لاشك فيه أن الصبي في أى حرفة أو صنعة كان ينظر إلى أستاذه فيها نظره إلى أبيه تماما ، ويعتبر أن لأستاذه حقوقا عليه ، كحقوق الأب على ابنه . وتستطيع أن تلبس ذلك جليا فيما روت كتب الحسبة المصرية من أن الأطباء المصريين كان يتعين عليهم قبل السماح لهم بممارسة صنتهم أن يتعهدوا بعد بقرط ( الطبيب اليوناني المتوفى عام ٤٦٠ ق . م ) (٢) ، وهذا العهد يلزم الطبيب بمجمله التزامات ، بعضها تخص أستاذه بصا ... أرى أن المعلم هذه الصناعة بميزة أبائي ، وأراسيه في معاشي ، وإذا احتاج إل مال واسيته وواصلته من مال ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مسار لإخوت ، وأعلمهم هذه الصناعة إذ احتاجوا إل تعلمها بنهر أجرة ولا شرط ... (٣) .

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٣٣١ .

(٢) الصيروري : نهاية الزينة في طلب الحسبة ص ٩٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء وطبقات الأطباء ص ١٥٠ .



أما تقاليد ترقية الصبي في الطائفة المصرية إلى مرتبة الصانع أو المعلم فلخصها أن الصبي إذا أتم تدريبه تحت إشراف أحد المعلمين ، فإن معلمه يخبر شيخ الصنعة أو الحرقة بذلك ، فيأمر الشيخ بدعوة أهل الطائفة لحضور حفل تربيته .

وفي الاحتفال المذكور يصحب المعلم صبيه إلى مكان الاحتفال حيث يكون شيخ الطائفة والخاتمة ( وم كبار معلمى الصنعة الذين يماونون الشيخ في إدارة شئون الطائفة ) مجتمعين . وتبدأ إجراءات الاحتفال بأن يقدم الصبي وبجانبه معلمه إلى الشيخ ويحييه ثم يقرأ الفاتحة ، فيتلو الشيخ وجميع الحاضرين الفاتحة أيضا ، وبمسدداً يسأل الشيخ المعلم والصبي سزالا تقليدياً يستظم به عن سبب مجيئهما ، فيجيب المعلم بأن الصبي الذى جاء بصحبته قد أتم تعلم الصنعة بما فيه الكفاية ، وأنه يطلب الإذن له ليفتح لنفسه دكاناً لممارسة فيه الصنعة التى تعلمها . فتتخذ يقوم الشيخ باختياره ، فإن اطمأن إلى إجادته للصنعة اقترب وشد حول وسطه حراماً أو شالالاً (١) ، مع عقد عدة عقد أظها ثلاث وغايتها سبج عقد فى المادة بعدد المعلمين الكبار الموجودين فى الحفل . ولهم فى ذلك اصطلاح ، فالعدة الأولى تسمى الأسطارية ويحلها معلمه الذى رباؤه وحله الصنعة . والثانية تسمى الرتبة ويحلها شيخ الطائفة ، أما باقى العقد فيحلها كبار المعلمين الحاضرين فى الحفل وفى أثناء ذلك يقرأ النقيب - وهو نائب رئيس الطائفة - خطبة وينشد قصائد (٢) ثم يتناول الجميع طعام ولحمة يولها لهم الصبي المختل بترقيته .

Jomard : Description de L'Egypte, T. 18, p. 372 (١)

(٢) على مبارك : الحفل الترفيقي ص ١٠١

والواقع أن شهادة شيخ الصنعة أو أساتذتها كانت أمراً هاماً للعالمين فيها ، وقد أشار المجهري إلى ذلك أثناء ترجمته لأحد الفيلسوفين الذين توفوا عام ١٢٠٢ هـ ، فقال عنه أنه قد « أقر له أشياخه ومعاذروه بالافتان والمعرفة » (١) .

ونلاحظ في بعض الإجازات التي منحها أساتذة الصنعة لتلاميذهم أنها تضمنت نصائح ، وفي هذه النصائح رسم الأستاذ لتلميذه أدب وأخلاق الصانع المصري كما نرى لهم فيها أيضاً التبع الصحيح السوي الذي به يجازى صنعة . ولدينا مثالي لهذه النصائح في الإجازة التي منحها صانع النفس لتلميذه عام ١٢٠٥ هـ ، ففيها يوصي أستاذ الصنعة تلميذه بقوله : وأوصيه كما أوصى إخواني ونفسي المحاطة بالأدب الجليل ، وتواضع النفس ، وحملها على مكارم الأخلاق ، وأن لا يرفع نفسه على أحد ، وأن لا يهجر أحداً من خلق الله ، وأن يعمل دأبه لزوم الصمت والإدمان والفتانة بالقليل مع المتداومة على ذكر الله بالسكينة والوقار ، وأن يسمى الله في أول مسكه في صنعة ، ويستمد من الله القوة والحول ، ولا يهجر ولا يرأس من روح الله ، ولا يسب نفسه ولا نفسه ولا سهامه ، ولا يحدث نفسه بالسجل ، فإنه يصل إلى ما وصل إليه غيره ، فإن الرجال بالهمم ... وأن يديم النظر إلى إن الله الغنيب إن حدثه ، ويعرف من أين خلق الله » (٢) .

ورغم أن شيخ الصنعة كانت يحكم رعايته لأرباب صنعة مشغولاً عنهم مسئولية عامة أمام الحكومة ، إلا أن الحكومة المالية كانت لا تكن بذلك ، لذلك كانت تعين على كل صنعة عريفاً منهم يكون على قنطرها ، يقولون بمرأيتهم ،

(١) نفس المرجع والمجلد ص ١٨١

(٢) نفس المرجع والمجلد ص ٢٨٤

ويكون حلقة اتصال بينهم وبينها (١).

وبين هذا العريف لا يتبرأ أمراً مستجداً في العهد المالكي فقد أثرنا من قبل إلى قول القرطبي أنه كان في العهد الفاطمي وعلى أبواب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمره (٢).

ولقد حلت كتب الحسبة بالشروط التي يجب توفرها في العريف، وأوضحت تفاصيل مهمته، وفي هذا الشأن يقول ابن الأختوة في كتابه معالم القرية في أحكام الحسبة أنه يجب على الحاسب أن يعرف على أهل الصنعة رجلاً ثقة أميناً من أهل مناعتهم ... بصيراً بصنائعهم، طارفاً بنشهم وتدليسهم ... بصيراً بأحوالهم ... له دين ... ينهى أخبارهم للحاسب (٣).

والسلطة الممنوحة للعريف كانت تتيح له أن يحضر وأن يراقب بنفسه إنشاء طائفة أثناء قيامهم بالعمل في صنعتهم، بل إن بعض كتب الحسبة اشترطت أن لا تتم مراحل معينة من بعض الصناعات إلا بحضور العريف (٤).

ومن ملحة العريف أيضاً أن يراقب مواعيد حضور وانصراف أهل صنعة وذلك في الأوقات التي يعملون فيها لحساب أحد من العملاء بأجر معين، وقد

(١) يخبرنا القرطبي عن دور هؤلاء العرفاء في العهد المالكي فيقول: العادة جارية باستخدام عرفاء في الأسواق على أبواب الصنائع، ويقبل قولهم فيها يذكرهم، إقالة الأمة من ١٩.

(٢) نفس المرجع من ١٨

(٣) ابن الأختوة: معالم القرية في أحكام الحسبة من ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧.

٢٢٤ - ٢٢٥.

(٤) الشيرازي: نهاية الزينة في طلب الحسبة من ٣٦.

يرافق أكثر الصنائع على أجره معلومة كل يوم فيتأخرون عند الغدو ، وينصرفون قبل المساء ، فيلبي أن يفترط في ذلك ( أى العريف ) ما يمنع منه ، ولا ينصرفوا إلا مسياً ... (١) .

ولم تقف مهمة العريف عند حد المراقبة ، بل كان من سلطته أيضا أن يكون حكا بين الصانع والعميل ، ومن أمثلة ذلك أنه إذا أخذ أحد المخدمين غولا لإنسان ليسجد له فوجبا ... وادعى صاحب الغول أن الخادمك أبدل غوله ، عرضته الخسب على العريف ، فإن رجعا إلى قوله كان بها ، وإلا حملها إلى حكم الشرع (٢) .

---

(١) ابن الأثير : المرجع السابق ص ٢٢٤

(٢) الفيدي : المرجع السابق ص ٦

تجارة مصر الداخلية وأنظمتها



## أولاً - السوق المصرية في العهد المائليكي

### ١ - الوصف

دراسة السوق المصرية في العهد المائليكي لها أهمية غائصة في دراستنا لإقتصاد مصر الداخل في هذا العهد ، فالسوق من المرأة التي تنعكس على صفحتها علامة وحشية النشاط الإنتاجي والاقتصادي للجموع في ذاك الوقت ، كما أنها تنعكس الكثير من أنظمتها الإقتصادية والمالية التي كان يعمل بها وقتئذ ، ومن هنا كان من الضروري أن تلقى نظرة عامة شاملة على السوق المصرية في ذاك الوقت من جهة زوايا .

ورغم أن بعض مؤرخي مصر المائليكية والرحالة الذين زاروا القنطرة في هذا العهد تحدثوا عن أسواقها إلا أن القريزي - في رأينا - غير من كتب عنها ، فقد ضمن خفطه فصلاً تحتها ذكر فيه أسماءها ، وأنواعها ، وأنواع منشئاتها ، وأنواع تجارتها ، وباعها ، وأنواع السلع التي تعرض في كل سوق وأسواقها ، ونظام الرقابة عليها ، ونظام حراستها ورعايتها والحفاظة على أمنها . كما بين القريزي أهمية السوق ليس فقط من الناحية الإقتصادية البحتة ، وإنما أيضاً من الناحية الإجتماعية فالسوق وقتئذ لم تكن مرآة للحالة الإقتصادية فقط بل كانت مرآة أيضاً لكثير من تقاليد المجتمع المصري وعاداته خصوصاً في المواسم والأعياد وكذلك في بعض المناسبات الأخرى (١) .

ونحن إذا اتخذنا أسواق القاهرة مقياساً لمدى النشاط التجاري داخل مصر

(١) إرجع للروايع والاعتبار ص ٢٠٦ وما بعدها .

في هذا العهد ، فيمكن أن نستدل على ضخامة هذا النشاط من قول المقرئ في حواشيت النصبة في المنطقة التي كانت تمتد من حي الحسيبة<sup>(١)</sup> إلى المشهد النفيسي<sup>(٢)</sup> كانت تقدر بحوالا اثنى عشر ألف حانوت وأنه أدرك هذه المسافة بأسرها رغم امتدادها الطويل ، خاصة بأنواع والمأكول والمعارب والامتعة<sup>(٣)</sup> .

أغلب الاسواق المصرية وقتئذ كانت منطقة لحماية السلع والتجار والمشتريين من حرارة الشمس أو تقلبات الجو . وقد تعددت وسائل تغطيتها ، فبعضها كان ينطلى بسقف عذب على هيئة الجلون لذلك كانت تعرف باسم الجلون ، وكان بالقاهرة من هذا النوع سوقان أحدهما سوق الجلون الكبير<sup>(٤)</sup> ، والثاني سوق الجلون الصغير<sup>(٥)</sup> . البعض الآخر من الأسواق كان ينطلى بسقف خشبي مسطح ولذلك كانت

---

(١) هو أحد الأحياء التي قامت خارج الأسوار الشمالية لقاهرة الفاطمية ، وامتد من شمال باب النصر والفتوح حتى الرديانية (أي إلى المنطقة التي تقوم عليها الآن العباسية ومنطقة البكري ومصر الجديدة) ، وقد سمي هذا الحي باسم طائفة من العبيد كانت موجودة في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي . المقرئ : المواظ ٢٠٠ ص ٢١ .

(٢) هو مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب التي توفيت عام ٢٠٨ هـ ودفنت بمنزلها الذي كانت تقيم به في الخط الذي كان يعرف قديما بدرب السباع جنوب باب زويلة . نفس المرجع والمجلد ص ٤٠ . وهذا المشهد ما زال قائما حتى اليوم بشوارع الأشراف بقسم الخليفة بالقاهرة .

(٣) نفس المرجع والمجلد ص ٩٤

(٤) نفس المرجع والمجلد ص ١٠٣

(٥) نفس المرجع والمجلد ص ١٠١



أسواقه تعرف بالسقائب<sup>(١)</sup>.

والبعض الثالث منها كان ينطى بحزمة متحركة عالية ، تمد فوق السوق بجبال وقت الحاجة خصوصا عند اشتداد حرارة الشمس ، وتجمع عند امتداد الظل<sup>(٢)</sup> ورغم أن القاهرة وضواحيها كانت تحتوي على العديد من الأسواق الدائمة الثابتة إلا أنه في بعض الأحوال والناسبات الطارئة كانت تقام أسواق مؤقتة لفترة من الوقت تزال بعدها ، وأشكال هذه الأسواق غالبا ما كانت تعيد بالصراوين<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان من المعتاد إقامة مسطبة تتقدم الحانوت ليجلس عليها صاحب الحانوت ، ويستقبل زبائنه عليها ، ويقعد صفقاته ويمرر مسامحته . ويبدو أن بعض المساطب كانت تزجر وحدها لبعض الباعة خصوصا إذا كانت تقوم في موقع تجارى ممتاز ، بل إن بعضها كان يؤجر لأكثر من بائع أثناء النهار ، كل واحد منهم يستأجرها لعدة ساعات فقط<sup>(٤)</sup>.

أما المحراييت التي كانت تقع في موقع تجارى ممتاز فكان التجار يتنافسون

(١) نفس المرجع ص ١ ص ٢٤٢

(٢) نفس المرجع ص ٢ ص ٩١

(٣) نفس المرجع ص ٢ ص ١١٣

(٤) من أمثلتها مسطبة كانت تقوم خلف مسجد أحمد بن طولون ، تنافس التجار والباعة على استئجارها ، فكانت تزجر من بكرة النهار لبائع يبيع النزل ، ثم عند الظهر كانت تزجر لحجاز ، أما عند العصر فكانت تزجر لبائع يبيع الحمص والنزل . نفس المرجع والجزء ص ٢ ص ٢٦٢ .

على استجارها تنافسا يرسطون فيه الحكم (١) .  
البيع بالتخلف كان يتم في الحرايت ، أما البيع بالجملة فغالبا ما كان يجري في  
الفسادق والحانات والوكالات (٢) .

والفسادق والحانات والوكالات هي أسماء ثلاثة أنواع واحد من المنشآت التجارية،  
ونفهم ذلك من قول المقرئ عن وكالة قوصون أنها ، في معنى الفسادق  
والحانات ، (٣) .

وكالة الفسادق جاءت من الكلمة اليونانية Pandeketon التي كانت تطلق على  
مثل هذا النوع من المنشآت التجارية (٤) .

أما كلمة الحانات فهي فارسية الأصل إذا أن الفرس كانوا يطلقون على الحانات  
أو المكان الذي ينزل به التجار كلمة خان (٥) .

(١) من أمثلتها حرايت كانت تقع بخط الربع خارج باب زويلة ، فوقها  
المنار الذي كان يوسط ما بين القبطاط والقاهرة جعل التجار يتنافسون على  
على استجارها تنافسا شديدا وسطوا فيه أهل الحكمة الدولة . المقرئ : المراسل  
١٣ ص ٢٩ .

(٢) ينضح دور الوكالات في البيع بالجملة فها قال المقرئ عن وكالة قوصون  
فقد قال أن التضاع والكثرة والأسر والرجل التي كانت مصر تستورد من الشام  
كانت تباع أولا في هذه الوكالة ثم تنقل بعد ذلك إلى أسواق القاهرة ومصر .  
نفس المرجع ٢٥ ص ٩٢ .

(٣) نفس المرجع والمجود ٩٢ .

(٤) Mez : The renaissance of Islam, p. 481

Wies : Précis de l'histoire d'Egypte, deuxième partie, (٥)  
L'Egypte musulmane, p. 275

أما كلمة الوكالة فقد جاءت من كلمة التوكيل العربية، وشاع استخدام المصريين لهذه الكلمة للدلالة على المحل الذى يبيت فيه التجار بامتصم<sup>(١)</sup>، ولعل ذلك يرجع إلى شيوع نظام الوكلاء في التجارة الإسلامية وكثرت.

ولما كان الفندق والحان والوكالة شيئا واحدا لذلك كان تخطيطها وتصميمها متماثلا .

ويمكن أن نعرف على هذا التصميم والتخطيط من تصميم وتخطيط وكالة وكالة النورى ٩١٥ هـ التى ما زالت باقية حتى اليوم محفظة بأغلب عناصرها المعمارية .

وبمقارنة ما تبقى من هذه الوكالة بالوصف المسجل عنها بوثيقة السلطان النورى<sup>(٢)</sup> نقول أنها تتكون من مبنى مستطيل الشكل ، يتوسطه من الداخل فناء مستطيل مكشوف أى غير سقف .

وكان يتوسط هذا الفناء مسجد صغير تحاوره فسحة ماء الوضوء<sup>(٣)</sup> . وبأحد

#### (١) محيط المحيط

ولملاحظ أن استخدام كلمة الوكالة كان قليلا في مصر حتى منتصف القرن التاسع الهجرى رغم استخدامها من قبل في العهد الفاطمى، لكن منذ النصف الثانى للقرن التاسع الهجرى بدأ استخدامها بدرجة أكبر، حتى إذا جاءت الحملة الفرنسية كانت كلمة الوكالة هي الشائع استخدامها بدلا من كلمتي الحان والفندق

Van Berchem : Corpus Inscriptionum Arabicarum, premiere partie, Egypte, p. 180

(٢) وثيقة النورى أوقف رقم ٨٨٢ - وقد قام الدكتور عبد اللطيف ابراهيم بشرها في بحث بعنوان « الوثائق في خدمة الآثار ، العصر المملوكى ،

(٣) المسجد وفسحة الوضوء لندرا ولم يبق منها أى أثر اليوم ،

جواب الفناء يؤدي إلى إسبيل كان مخصصا لإيواء دواب التجار .

والمبنى الرئيسى للوكالة يتكون من ثلاثة طوابق تحيط بالأحلاق الأربعة لفناء الداخل الذى أشرفنا اليه ، الطابق الأرضى منها به دحواصل ، كانت تستخدم كخازن أو حوائط لتخزين ولعرض السلع بها ، ويتقدم هذه الحواصل بمشى أو يمر ويمتد محيطا بالفناء من جهاته الأربعة وسقفه محمول على عقود وأعمدة .

بالطابق الثانى للوكالة حواصل مماثلة لتلك التى بالطابق الثالث الأرضى ، ويتقدمها هى الأخرى مر بدرابزين يطل على الفناء . أما الطابق الثالث فيحتوى على مساكن ، وكل مسكن منها يحتوى على قاعة للجلوس أو لاستقبال الزوار بها ، ودخزاة ، أى غرفة النوم و د كرسى خلا ، أى مرحاض ، وهذه المساكن كانت مخصصة لإقامة التجار الوافدين مدة بقائهم بالقاهرة .

وهكذا كان الواحد منهم يحدد فى أمثال هذه الوكالة أو الخان أو الفندق المأوى لنفسه ولدوابه ، وكذلك الخازن أو الحوائط التى يستطيع أن يخزن أو يعرض فيها بضاعته ، كما يجد فيها أيضا المسجد الذى يؤدي فيه فرائضه الدينية .

وفى الفنادق التى كانت تخصص لإقامة التجار الفريج كانت الحكومة تسمح بأن يقام لهم فيها كنيسة وسان وفرن وحمام ، كنوع من التسهيلات التى كانت تمنح لهم لترغيبهم فى تنشيط تجارتهم مع مصر . وفى الاسكندرية كانت تقوم صدة فنادق من هذا النوع (١) .

وبالإضافة إلى الفندق والخان والوكالة كانت القيسارية ، من المنشآت

---

(١) الطاهر أحمد مكي : معاهدة من القرن الخامس عشر بين سلطان مصر وملك أرغون . مقال بمجلة المجلة العدد ٤٩ سنة ١٩٦١ م .

التجارية التي لها أهميتها هي الأخرى في أسواق مصر وقتئذ . والقياسية استمدت اسمها من لفظ يوناني معناه الإمبراطوري ، وهذا يدل على أنها كانت نشأ في العهد الروماني بواسطة الإمبراطور أو القيصر . أما في مصر الإسلامية ، وفي العهد المملوكي على وجه الخصوص فكانت نشأ بواسطة السلاطين والأمراء أو كبار الموظفين والأثرياء ، وأغلب الظن أن هذه القياس كانت تخصص للحرفين والصناع ليمارسوا بها حرفتهم أو صنعتهم بها ، وليبيعوا مصنوعاتهم بها أيضاً (١) .

والقياسية تصب في الفندق والحان والوكالة في تخطيطها العام ، فهي تتكون من فناء أوسط مكشوف يحيط به مبنى القياسية المكون من طابقين . الطابق السفلي به حوانيت يتقدمها عر مسقوف (٢) أما الطابق العلوي ففيه ربيع أى مساكن مخصصة لإقامة أهل المصناعات بها (٣) . وبعض القياس كانت تشتمل على مسجد معلق - أى مرتفع عن سطح الأرض - وفسقية ماء للوضوء (٤) .

#### ب - أنواع التجار والباعة

التجار والباعة كانوا عدة أنواع ، فالذين لهم حوانيت كانوا يعرفون بأرباب

(١) بمراجعة فعل القياس الذي أورده القرطبي في تخطيطه ج ٢ ص ٨٦ - ٩١  
نلاحظ أن كل القياس التي ذكرها بهذا الفصل كانت مخصصة للحرفين وصناع .

Ency. Isl. art Kalsariya (٢)

Wies : Mosques du Caire . p. 108 (٣)

- Précis de l'histoire d'Egypte. deuxième partie. L'Egypte  
Musulmane. p. 274-275

(٤) القرطبي : المواضع ج ٢ ص ٨٦ - ٩١

الحوائيت أو الدكاكين (١) .

أما الذين لم تكن لهم حوائيت فكانوا يجلسون بشوارع السوق ويمرضون بضاعتهم على مقاعد أو ذلك ، لذلك عرفوا بأصحاب الدكك (٢) ، أو أرباب المقاعد (٣) ، كما أن بعضهم كان يمرض بضاعته على طيليات فعرفوا بأصحاب الطيليات لهذا السبب (٤) .

وهناك نوع ثالث منهم كان جوالا لا يستقر في مكان واحد ، ويطوف بسلته في الشوارع والأزقة ، ويطوف بها على البيوت (٥) .

ومنهم أيضا من كان يطوف بمراكب صغيرة في برك الناهرة ليبيع سلته لسكان الدور القائمة على شواطئها .

ومن أشهر وأبرز الباعة الجائلين وقتئذ السقاؤون ، وقد لفت السقاؤون دائما نظر الرحالة الذين زاروا مصر في عصورها المختلفة بكثرة عددهم وبأهمية الدور الذي كانوا يقومون به في تزويد الناس بالماء ، فعندما زار ابن سعيد القسطنطين رأى السقاوين فيها من الكثرة ، بما لا يبق به إلا مشاهدته ، يرحمون الأسواق بجمالهم وبما تحمله من روايا (٦) .

(١) نفس المرجع ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) ابن الحاج : المدخل ج ١ ص ١٩١

(٣) القرطبي : الموضح ج ٢ ص ٩٧

(٤) ابن الحاج : المرجع السابق ج ١ ص ١٩١ .

(٥) ابن الحاج : المدخل ج ٣ ص ٨٥

(٦) ابن سعيد : المغرب في حل المغرب ص ٦

كانقدرا بن بطرطة عقد سقائي الجمال بمدينة مصر (١) وحدهما بالثي عشر  
الف سقاء (٢) .

وفي العهد المالكي كان السقاؤون يحملون الماء في الروايا والقرب والدلاء (٣) .  
والراوية أكبر من القربة وتصنع من جلد البقر المدبوغ (٤) ، أما القرب فتصنع  
من جلد الماعز المدبوغ (٥) .

ونظرا لضخامة حجم الراوية ونقل وزنها بسد امتلائها بالماء لذلك كانوا  
يستخدمون الجمال لحملها ونقلها من مكان لآخر ، فحرفوا لهذا السبب باسم سقائي  
الجمال ، ومؤلا كانوا يؤمرون بتطبيق صفقات من الحديد والنحاس في أعناق  
جمالهم لتحدث أصواتا أثناء سيرها فيفسح الناس الطريق لها (٦) .

أما السقاؤون الذين كانوا يستخدمون القرب فقد عرفوا بسقائي القرب لأنهم  
كانوا يحملونها معلقة في رقابهم أو اكتافهم ، وقد تفتتوا في تزيين فوهاتهما  
بزخارف مختلفة (٧) .

(١) مدينة مصر هي المنطقة التي كانت تمتد جنوب باب زويلة ، وهي التي  
قامت عليها القساط والسكر والقطائع ، إرجع الملاحظ ج ١ ص ٢٦

(٢) ابن بطرطة : تحفة النظار ص ١٦

(٣) ابن الأخوة : معالم القرية ص ٢٤٠ .

(٤) ابن بسام : نهاية الرتبة ، ورقة ١٢٢

(٥) نفس المرجع ورقة ١٢٢

(٦) ابن الحاج : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٥

Leon L'Africain : Description de L'Afrique. T. 8. p. 16 (٧)

وهناك طائفة ثالثة من السفائين كانوا يبرفون بسقاي الكيزان ، وهؤلاء كانوا يترفون سقاية الناس في الأسواق بأجر ، ويقدمون لهم الماء في كيزان من النحاس طيبت رائحتها بالبخور والمسك واللائق (١) .

### ج - أهم السلع

السلع التي كانت تباع بأسواق مصر كانت من أنواع مختلفة متعددة ، فبعضها سلع مصنوعة ، وبعضها محاصيل زراعية ، وبعضها سلع غذائية كالبحوم والطيور والأسماك ، وبعضها سلع حيوانية ، بل إن الإنسان نفسه كان سلعة مبهمة تباع وتشتري بالأسواق وقتئذ .

ونظراً لأن بعض السلع كانت لها أهمية خاصة لذلك خصصت لها أسواق سميت بأسمائها أو باسم صناعاتها أو تجارتها ، ونذكر من هذه الأسواق :

دار الديباج (٢) ، قيسارية الجلود (٣) ، سوق الوراقين (٤) ، سوق الحريريين (٥) ، الصاغة (٦) ، سوق الخييين (٧) ، سوق النرسيين (٨) . سوق

(١) ابن إسحاق : المرجع السابق ورقة ٦٥ ، ابن الأثير : معالم الفريضة ص ٢٢٠

(٢) المقرئ : المواقف ج ٢ ص ٤٢ .

(٣) نفس المرجع والجزء ص ٤٣ .

(٤) نفس المرجع والجزء ص ٨٦ .

(٥) نفس المرجع والجزء ص ٩٠ ، ٩٢ .

(٦) نفس المرجع والجزء ص ٩٠ .

(٧) نفس المرجع والجزء ص ٩٢ .

(٨) المرحلون هم صناعات أو تجارات وحالات الجمال والقطيع . نفس المرجع

والجزء ص ٩٥ .



الشعاعين<sup>(١)</sup> ، سوق السلاح<sup>(٢)</sup> ، سوق النفصيات<sup>(٣)</sup> ، سوق السيوفيين<sup>(٤)</sup> ،  
سوق الأمشاطيين<sup>(٥)</sup> ، سوق المهاجرين<sup>(٦)</sup> ، سوق الجعنين<sup>(٧)</sup> ، سوق  
المجرحيين<sup>(٨)</sup> ، سوق الشرايين<sup>(٩)</sup> ، سوق الحوائصيين<sup>(١٠)</sup> ، سوق الفرايبين<sup>(١١)</sup>

(١) الشعاعون هم تجار الشمع . نفس المرجع والجزء ص ٩٦ .  
(٢) هذا السوق كان غرضاً لبيع مختلف أنواع الأسلحة كالقسي والشباب  
والزرديات وغيرها من آلات السلاح . نفس المرجع والجزء ص ٩٨ .

(٣) هذا السوق كان غرضاً لباعة يحلبون على نخوت ، وفوق تلك النخوت  
أقراص صفار من حديد مشبك فيها طرائف من الخواتيم والقصوص وأساور  
النساء وخلاجيلهن . نفس المرجع والجزء ص ٩٧ .

(٤) نفس المرجع والجزء ص ٩٧ ، وفيه تباع السيوف  
(٥) نفس المرجع والجزء . وفيه تصنع وتباع الأمشاط  
(٦) كان غرضاً لبيع المهاجرين والبذلات الفضة الخاصة بلحم الخيل وسلاسلها  
والمخاطم الفضة التي تحمل تحت لحم الحجور من الخيل . نفس المرجع والجزء  
ص ٩٧ - ٩٨ .

(٧) كانت تباع فيه آلات اللحم ونحوها مما يتخذ من الجلد ، كما كان فيه  
عدد وافر من الطلائين ، ومكفتو اللحم والركب والمهايز ، كما كان فيه عدد من  
صناع السروج . نفس المرجع والجزء ص ٩٨ .

(٨) كان غرضاً لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر  
وغياب السروج وغواشيها . نفس المرجع والجزء ص ٩٨ .

(٩) كانت تباع فيه الخلع بها السلطان على الأمراء والزوار . والقضاة ومن  
بماثلهم . نفس المرجع والجزء ص ٩٨ .

سوق الحمايرين (١) ، سوق الكتيين (٢) ، سوق الصناديق (٣) ، سوق الزماجين (٤) ، سوق المنبرين (٥) سوق الخراطين (٦) ، سوق الفرايين (٧) ،

والشرايشيون هو صناع ونجار الشرايش . والشربوش ودهاء الرأس مثلث الشكل يشبه التاج بلونه الأمير المرق إلى رتبة الإمارة في الحفل الذي يقام بهذه المناسبة . نفس المرجع والجزء ص ٢٨٠ .

(١) الحوامص هي الأحزمة أو المناطق التي يشدها رجال السيف حول أوساطهم ، وتصنع من الذهب وتركب على حاشية من الحرير . القلقشندى : صبح الأعشى ٤ ص ٤١ .

(١٩) فيه تصنع وتباع مناخيل البوق والفرايل . المقرئى : المرجع السابق ٢ ص ١٠٠ .

(١) فيه عدة حوائث لعمل المحابر التي يسافر فيها إلى الحجاز وغيره ، ولهذا السوق موسم عظيم عند سفر الحجاج ، وعند سفر الناس إلى القدس . نفس المرجع والجزء ص ١٠١ .

(٢) فيه تباع الكتب لذلك كان مجعاً لأهل العلم . نفس المرجع والجزء ص ١٠٢ .

(٣) فيه تباع الصناديق والخزائن والأسرة ونحوها مما يصنع من الخشب . نفس المرجع والجزء ص ١٠٢ ، وفيه يصنع ويباع الزجاج

(٤) نفس المرجع والجزء ص ١٠٢ .

(٥) كان مخصصاً لباعة المنبر ، والمنبر وقتئذ كان من السلع الراجعة بديار مصر والناس فيه رغبة زائدة ، فنه كانت تصنع قلايد النساء ، كما كانت تعمل به الخناد والكرال والستور وغيرها . ونجار المنبر وقتئذ كانوا يعدون من يباض الناس - أى من أعيانهم - لأن ثرواتهم كانت كبيرة .

نفس المرجع والجزء ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

سوق البخافين (١) ، سوق الاخفافين (٢) ، سوق الكفتين (٣) ، سوق الخطيين (٤) ،  
سوق الضيبين (٥) ، سوق الحصرين (٦) .

(٦) كان معمور الجائين بموانيت النراطين المتخصصين في صناعات الخشب  
المخروط . نفس المرجع والجزء ص ١٠٢ .

(٧) في هذا السوق كان يباع فراء السنجاب والوشق والقاسم والدق  
والسبور والفتك ، كما كانت تباع فيه الثياب المفراة أى المزينة بالفراة أو  
المصنوعة منه . نفس المرجع والجزء ج ٢ ص ١٠٢ .

(٨) البخافيون هم تجار البختق وهو قناع تتقنع به المرأة وتسد طرفيه  
تحت حنكها لتقي خمارها من الدمن ، والدمن من القبار . يحيط المحيط .

(٩) كان غصصا يبيع خفاف النساء وتعالن التي يقال لتعل منها سرموزه ،  
وهو لفظ فارسي معناه رأس الخنف ، فكلمة سر معناها رأس وكلمة موزة  
معناها خف . المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٠ .

(١٠) كان غصصا لصناعة وبيع الأواني النحاسية التي تكفت . أى تطعم  
بالذهب والفضة . نفس المرجع والجزء ص ٥٥ .

(١١) كان غصصا لباعة الثياب المستمعة ، إلا أنه كان من أحرر أسواق  
القاهرة ، لكثرة ما يباع فيه من ملابس أهل الدولة . نفس المرجع والجزء  
ص ١٠٢ .

(١٢) فيه تصنع وتباع الأخلاق أى الضيب . نفس المرجع الجزء ص ١٠٠ .

(١٣) نفس المرجع والجزء ص ١٠٢ . وفيه يباع الحصر .

فندق الحصر بمصر (١) ، فندق دار التفاح (٢) ، سوق الحلاويين (٣) ،  
سوق الدجاجين ، (٤) ، عرصة الفلال (٥) ، سوقه القبة (٦) ، سوق الشرايين (٧)

(١) خصص هذا الفندق لنوعين من الحصر كانت تجلب من القيوم ، النوع  
الأول يسمى الحصر الرفيعة والنوع الثاني الحصر القطبان . ابن دقاق : الإتيان  
برأسه عقد الأمصار ج ٤ ص ٤٠ .

(٢) كان سوقا رئيسيا للفراخ ، وقد إله الفراخ على اختلاف أصنافها  
بما يلبث في بساتين ضواحي القاهرة ، وكذلك التفاح والفرجل المستورد من  
الشام . المقرئ : المواعظ ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) كان يباع فيه السكر والحلوى المصنعة من السكر ، والحلوى المصنعة في عدة  
أشكال والأوان وهي التي كانت تعرف باسم الجمعة ، والحلوى المصنعة في هيئة  
خيول وسباع وقطط وغيرها من الأشكال وهي التي كانت تعرف باسم الملايق  
المقرئ : المواعظ ج ٢ ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) كان يباع فيه الدجاج والأوز وأنواع أخرى من الطيور كالمصافير التي  
يبتاعها الأرواد ليحتفوا باعتقادهم أن ذلك يدخلهم الجنة ، وفي كل يوم جمعة  
تباع فيه القهري والمزازات والشعابر والبيضاء والسنان وسائر الطيور ذات  
الصوت الجميل وهي التي كانت تعرف باسم طيور المسموع . نفس المرجع والجزء ص ٩٦  
(٥) نفس المرجع والجزء ص ٣٠ . والعرصة هي البقعة الواسعة بين الدور  
التي ليس فيها بناء ، وقبل كل بقعة ليس فيها بناء فهي عرصة . محيط المحيط .  
(٦) رغم أن السوق - لنقربا - هي السوق الصغير ، إلا أن السوق كانت  
سوقا كبيرا رئيسيا لفت والكرنب ، ومن هذه السوق كانت كافة أسواق القاهرة  
تحصل على بئرها من هاتين السلتين . المقرئ : المواعظ ج ٢ ص ١٠٦ .

(٧) الشرايون هم باعة اللحم المشوى ، تخصصوا في شئ الخراف والجديان  
بداخل التور . ابن الأختة : معالم القرية ص ٩٢ ، ٩٣ - ابن بسام : نهاية الرتبة  
ورقة ٢٠ .

سوق الشرايين (١) ، سوق خان الرواسين (٢) .

ومن أهم السلع التي كانت تحظى باهتمام خاص من سلاطين وأمرأه الممالك : الرقيق والخيول فبحور النظام المالي كان يعتمد اعتماد كبيراً على الرقيق فهم يشكل جيش الدولة ، ومنهم يتخذ الخدم بالقصور والدور ، ومنهم ترقى العناصر الممتازة إلى رتب الإمارة لتتولى السلطة والحكم .

أما الخيول فهي العدة الأساسية لفرسان الممالك ، وهي معيشتهم الأساسية في السلم والحرب .

ولقد عرف عن بعض السلاطين الإهتمام الكبير بشراء الأعداد الوفيرة من الرقيق - أي الممالك - ليجهزوا منهم قوة عسكرية مرهوبة الجانب ، تهمهم وتلبث أفداهم في الحكم ، وتمكنهم من توريث عرش السلطنة لأولادهم من بعدهم . ومن أبرز من فعلوا ذلك السلطان المنصور قلاوون ، وابناه السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وقد بلغ عدد ممالك السلطان المنصور قلاوون ٦٧٠٠ مملوك ، ثم زاد ابنه الأشرف خليل عددهم حتى بلغوا عشرة آلاف مملوك من أجناس مختلفة كالآرامن والجر كس والخطا والقبجاقي . أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فكان يميل إلى جلب الممالك من بلاد أذربك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد ، ويبحث في طلبهم وبذل الأموال الوفيرة لتجار الرقيق ليجهزوا له الأعداد الكبيرة والممتازة منهم ، وحرص السلطان الناصر على

---

(١) الشرايين فئة من صناعات زراعة الأطنمة الواقية تخصصت في طهي

شرايين اللحم . المقيرون : المواظ : ٢ من ١٠٠ .

(٢) الرواسين : منسوبة إلى الرواس المنقرة ، أي رؤوس الذبائح التي تسم

أي التي تكفر كرا عكها أعتد شبعها وإصاها . نفس المرجع : ٢ من ٩٥ .

أن يفيض على من يفتريه منهم البطاء السخى منذ اليوم الاول من كافة أنواع  
الطعام دفعة واحدة ، ليهرم ، وليستحوذ على رضائهم وولائهم ومحبتهم .

ولما ذاع صيت السلطان الناصر ، وصيت السعادة التي يرقل فيها عالياً في  
البلاد التي يجلب منها الرقيق ، أخذ المغول القاطنون في هذه البلاد يبيعون أولادهم  
وبنائهم لتجار الرقيق طمعا في السعادة التي سيتألفونها في مصر .

ودرع أن ثمن المملوك على التاجر كان يتراوح بين عشرين إلى أربعين ألف  
درهم ، إلا أن السلطان الناصر كان يشتريه من التاجر بحوال مائة ألف درهم ،  
وأقتدى به الأمراء في ذلك فحقق تجار الرقيق أرباحا هائلة (١) .

ولم يقف شغف السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند حد شراء الرقيق من  
العميان فقط بل تعداه إلى الشغف بشراء الجوارى أيضا خاصة المولودات منهم ،  
فواد عددهن عنده على ألف ومائة وصيفة (٢) .

ومن بين المزايل التي كان لها تأثير على مقدار المجلوب إلى مصر من الرقيق ،  
الحالة الاقتصادية بالبلاد التي كانوا يجلبون منها ، فإذا ساءت هذه الحالة واستبد  
الفقر والجوع بأهلها باعوا أولادهم لتجار الرقيق ، فيجلبهم هؤلاء إلى مصر في  
أعداد كبيرة (٣) .

(١) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ - المرواط ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٥٤٦ .

(٣) من أمثلة ذلك أنه عندما أصيبت بلاد التبت عام ٥٧٠٢ بقط وجماعة  
استمرت لثلاثة أعوام متتالية ، باع الناس هناك أولادهم وأقاربهم لتجار قدّموا  
بهم في أعداد كبيرة إلى مصر وغيرها ، نفس المرجع ج ١ ص ٩٢٤ .

« قد بلغ من إتمام سلاطين الممالك بشراء واقتناء الأعداد الوفيرة والمتنوعة من الرقيق والممالك أن خصصوا لهذا الأمر واحدا من رجال بلاطهم الأمراء ، وجعلوه يتفرغ لأمر اختيارهم وشراهم ، وقد عرف شاغل هذه الوظيفة باسم « تاجر الممالك » (١) .

ومن الظواهر الملفتة للنظر أن الممالك كان ينسبون في مصر إلى التاجر الذي جلبهم إليها وباعهم فيها والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها أن السلطان الظاهر برقوق كان يلقب بـ « برقوق العتاق لسبه إلى عثمان التاجر الذي جلبه إلى مصر » (٢) ، وهذا يدل على أن الرقيق أو الممالك كانوا يتبرون بالتاجر الذي جلبهم في منزلة الوالد بالنسبة لهم ، بل إن كثيرا منهم مما تقدم بهم العمر أو ارتفع قدرهم ظلوا يحملون للتاجر الذي جلبهم إلى مصر مشاعر المحبة والاحتراف بالجيل ، ومن بين ما ذكر في هذا الشأن أن الأمير « بك نائيب السلطنة في عهد السلطان الظاهر بيبرس لما قدم إليه التاجر الذي جلبه إلى مصر قام إليه وعانقه وأجلسه إلى جانبه وأسم عليه بعشرة آلاف دينار وبخلة وفرس » (٣) .

« من الأشياء الملفتة للنظر أيضا أن يبيع الممالك الأتراك لكاتب أو لأمي كان أمرا محظورا وتشدد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في هذا الأمر ولم يتساهل فيه ، بل أكثر من ذلك فقد أصدر أمرا بأن كل من يمتلك عولكا تركيا من هؤلاء تنليه أن يبيعه فباع الناس عابكهم وأخفوا بعضهم » (٤) ، وأغلب الظن أن السبب في ذلك يرجع إلى تعصب سلاطين الممالك لأنفسهم التركي واعتزازهم به واعتقادهم

(١) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٣ - ١٩١ .

(٢) أبو المحاسن : المنهل لصادق ، منخطوط ، ج ١ ورقة ١٢١٦ .

(٣) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٩٦ .

(٤) القرطبي : السلوك ج ٢ ص ٢١٣ .

بأنه أسمى من باقى الأجناس الأخرى التى كان يتكون منها المجتمع المصرى وقتئذ ،  
ولذلك أنفروا أن يمتلك كاتب أو عاى واحدا من أبناء جنسهم .

أما فيما يختص بالخيول فقد حرص المالك على شراء الأنواع الممتازة منها  
خاصة العربية الأصل التى كانت تعرف باسم العرب ، وهى أفضل الخيول  
و أعلاها قيمة وأغلاها ثمنًا ، تطلب السبق والحقاق ، والملوك تتفانى فى أثمانها ،  
وتتمدها لهم الحرب ، (١) .

ومن أبرز سلاطين المالك الذين اهتموا بحلب وشراء وتربية الأعداد  
الكبيرة منها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والسلطان الظاهر برقوق .

والسلطان الناصر محمد بن قلاوون كان سخيا وكريما إلى حد كبير مع تجار  
الخيول الذى كانوا يحملون له الخيل من الحجاز والشام والبحرين و برفه وبلاد  
المغرب ليشجعهم على أن يحملوا له أكرم أنواعها ، فكان يطلع الخلع عليهم ،  
ويعمنهم الزرائب والعلوفات ورسوم الإقامة ، فضلا عن مساعدات كان يمنحها لهم  
عن أى تجارة يتجرون فيها أثناء فترة إقامتهم بمصر ، وكان يدفع فى الفرس الجيد  
أضعاف ثمنه ، بل كان يدفع للتاجر الذى جلبه عشرة أمثال قيمته (٢) ، وكنتيجه  
لذلك حرص تجار الخيول على أن يحملوا له السلالات الأسيلة الممتازة منها من  
بلاد العرب والعراق والبحرين والتطيف والحجاز ، فإذا جاءوا بها إليه عرضها  
وعاينها بنفسه ، فإذا أعجبه دفع فى الفرس منها ما بين عشرة آلاف إلى ثلاثين  
ألف درم سوى الإلتزام على ما تكبدها وفى الحالات التى يطلب فيها صاحب الفرس

(١) الفلشندي : صبح الأعشى ج ٦ ص ١٤ . والمساعدات هى إعانات فى  
المكوس ، أى الضرائب المقررة عليهم

(٢) الفريزى : المواعظ ج ٢ ص ٢٢٨



زيادة في الثمن يزيد به حتى يرضيه ، ثم ينعم عليه عند سفره وعودته لبلده الذي جاء منه بتفاصيل غيابه له ولأولاده ويهديه بهدية من السكر ونحو ذلك .

وبلغ من شغف السلطان الناصر محمد بن قلاوون بشراء الأعداد الكبيرة من الخيول أنه كان يدفع في الصفقة الواحدة منها ما مقداره مليون درهم دفعة واحدة ، واشترى كثيرا من المجبور - أي إناث الخيل - بثمان مئتين إلى تسعين ألف درهم للواحدة منها ، أما بنت الكرشاء - أي الحامل منها - فبهاة ألف درهم .

ولقد كان عرب آل منها وعرب آل فضل من أبرز من جلبوا له الخيول من الشام ، فأصبحوا أصحاب حظوة لديه ، وأنظمتهم عدة ضياع بأراضي حماة وحلب (١) .

ونظر لاهمية الخيول لدى سلاطين المماليك وأمرائهم لذلك روعى أن يكون سوقها تحت القلعة مباشرة غرب الميدان القائم أمامها (٢) .

وكان من عادة أسراء المماليك بعد انتهائهم من خدمة الموكب في يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع أنهم كانوا يقفون بسوق الخيل حيث تعرض عليهم هناك خيول المتأداة (٣) . ورغم أنه ليس لدينا تفسير واضح لمعى خيول المتأداة هذه إلا أننا نرجح أنها خيول متأداة كانت تباع بالمراد لذلك كان أصحابها أو سماسرة الخيول يبيعونها بالتداه .

ذلك كانت أم السلع التي خصصت لها أسواق سميت بأسمائها ، غير أنه بالإضافة

---

(١) نفس المرجع والجزء ص ٢٢٤ - السلوك ج ٢ ، ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

(٢) انقريزي : المواقف ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٣) القلشندي : صحيح الأغني ج ٢ ص ٦٢ .

إليها فإن سلما متنوعة عديدة غيرها كانت تعرض في الأخرى بأسواق القاهرة وضواحيها ، ولذكر منها : الثياب القطنية (١) والقماش الكتاني الأبيض والأزرق (٢) ، والطرح (٣) ، والمنازل (٤) ، والطواق (٥) ، والسكاكين (٦) ، والدوى وسكاكين الأقلام وأنواع من الطرف المربطة بالذهب والفضة (٧) ، والمطر (٨) ، والأزرار (٩) ، والإبر (١٠) ، وأنواع المطارة (١١) ، وأنواع عديدة من السلع الغذائية كالزيوت والأجبان والألبان (١٢) ، والبوارد (١٣) واللحم الطيب والمعلب (١٤) .

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠١

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٩٣

(٣) نفس المرجع والجزء والصفحة

(٤) نفس المرجع والجزء ص ١٠١

(٥) نفس المرجع والجزء ص ٩٩

(٦) نفس المرجع والجزء ص ١٠٣

(٧) نفس المرجع والجزء ص ٩٧ ، ٩٨

(٨) نفس المرجع والجزء ص ١٠١

(٩) نفس المرجع والجزء ص ٩١

(١٠) نفس المرجع والجزء ص ٤٥

(١١) نفس المرجع والجزء ص ٩٥

(١٢) نفس المرجع والجزء ص ٩٥ ، ١٠٥

(١٣) نفس المرجع والجزء ص ١٠٥ - والبوارد أطعمة من خضروات ولحم

تحتفظ بآلة في الخلل والتوابل Doss ; Supp. Dict. Ar

(١٤) المقرئى : نفس المرجع والجزء ص ٩٥ .

ويبدو أن كثيرًا من التجار والباعة كانوا يجيدون عرض سلهم بطريقة جذابة تجعل الناس يقبلون على شراؤها ، ومن أبرزهم في هذا الشأن تجار الفاكهة ، فقد كانوا يحرسون على تنضيد ما يرضونه من فاكهة في نظام 'أبيق' ، كما كانوا يحيطونها بالرياحين والأزهار (١).

كما أن باعة شراب الفقاع (٢) كانوا يحرسون على تحميل حوانيتهم ، فكسوها بالرغام الملون ؛ كما جعلوا بداخلها وعلى جوانبها نافورات تقذف الماء في شكل يدع على جدران الحانات المرخمة ، فيسيل عليها وينساب إلى كيزان الفقاع المرصوة تحتها ، فيستحسن منظرها إلى الغاية لأنها من الجانبين والناس يمرون بينها... (٣)

#### د - الرقابة على الأسواق ورعايتها والعناية بها

الرقابة على الأسواق كانت بالدرجة الأولى من اختصاص المحتسب والمحسب وطيفة دينية لها اختصاصات عديدة هدفها مراقبة تنفيذ الشريعة الإسلامية في تصرفات أفراد المجتمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) نفس المرجع والجزء ص ٩٢

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٢٢ - والفقاع نوع من الشراب الشعبي ، سمي بهذا الاسم لما كان يملؤه من الزبد والنفثات ، وكان الناس يقبلون على شربه لاعتقادهم أنه يدر البول ، ويسكن الصفرا ، ويذهب تلييب المعدة ، ولذلك كثرت حوانيته وكثر صناعة وباعة في أسواق القاهرة وقتئذ . نفس المرجع والجزء ص ٣٢ - كثر القوائد ، غطوط ورقة ٩ أب - بدر الدين العيني : السيف المهند ص ١٥٦ حاشية ٣ .

(٣) نفس المرجع والجزء ص ٢٢

وبناء على هذا المفهوم كان يدخل في اختصاصات المحتسب مراقبة الأسواق ومراقبة تصرفات التجار والباعة فيها ، ومراقبة الموازين والمكاييل ومنع أي تلاعب أو غش فيها ، ومراقبة السلع لضمان جودتها وعدم الغش فيها هي أيضا ، ومراقبة الأسعار لضمان عدم رفعها بطريقة مفتعلة من بعض التجار الجشعين ، ومراقبة العملة المتعامل بها في الأسواق والتأكد من سلامتها من الغش والزلزال الذي قد يحدثه بها الزغلية (١) ، كما كان من اختصاصه أيضا المحافظة على النظام العام في الأسواق .

ومن بين الوسائل التي كان يتبعها المحتسب لإحكام الرقابة على الأسواق أنه كان يستعمل الأخبار في كل سوق من غير أهله ، ويساعده في ذلك عدد من الأمناء المأمورين ، والأعوان الموثوق فيهم . كما كان من اختصاصه أن يجعل على أبواب كل سنة أو حرفة بالسوق عريضا من صالح أهلها خبيرا بصناعتهم ، بصيرا بأساليب خسهم وتدليسهم ، مشهورا بالثقة والأمانة ، فيجعله رقيبا على أحوالهم وتصرفاتهم ليطالعه بأخبارهم ، وما جلب إلى سوقهم من المتاجر والسلع ، والأسعار التي يبيعون بها ، وغير ذلك مما يهم المحتسب أن يعرفه (٢) .

وفي العهد المملوكي البحري كان يعهد بالحسبة في أنحاء الديار المصرية إلى ثلاثة محتسبين : أحدهم بالقاهرة وهو أعظمهم شأنا ، وله النظر في حسبة القاهرة والوجه

---

(١) الزغل هو غش النملة ، والزغلية طائفة من الناس احترقوا صناعة العملة المغشوشة .

الشريفي : هو القحوف ص ٢٨١

(٢) ابن إسم : نهاية الرتبة في الحسبة ورقة ٢ ، ١٣

البحرى بأكله خلا الاسكندرية التى كان لها عتقبها الخاص بها وحدها . أما الخنصب الثالث فكان يختص بانفساط والوجه القبلى بأكله (١) .

وكان يراعى فى العهد المماليكى البحرى وأوائل العهد المملىك أن لا يتقلد الحسبة إلا المتعصبين ورجال القلم (٢) فقط ، لأن نشاطهم الدينى تضمن نراحتهم عند مباشرتهم لمهام وظيفتهم .

ولم يكن الخنصب هو المختص الوحيد بمراقبة الأسواق والإشراف عليها ، فوال المنطقة كان من اختصاصه أيضا مرافقه الأمن والنظام العام بالأسواق ، وكذلك ما تدخل هؤلاء الولاة وأصدروا الأوامر التى تحقق هذا الغرض ، ومن أمثلة ذلك أنه فى عام ٧٢٤ هـ أصدر والى القاهرة أمرا بأن لا تنقد أى حلقة من حلقات السم بسوق بين الفصرين ، وأن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الأخيرة (٣) .

وفى عهد السلطان برسبای كان والى القاهرة يركب فى الليل ليتفقد أحوال المدينة والأسواق ، وألزم التجار والباعة بكفس الشوارع ورشها وأن يوقدوا القناديل فى حوانيتهم كل ليلة (٤) .

وفى الأسواق الهامة - كسوق القصبه - كانت الحكومة تبذل نشاطا ملحوظا لحماية نظامها العام ، وتتشدد فى مراقبة نظافتها وأمنها ، فكان لا يسمح لأحد أن

---

(١) القلقشندى : صبح الاحش ٣ ص ٣٧ .

(٢) السيد الباز العرينى : الحسبة والختسبون ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث ، العدد الثانى اكتوبر ١٩٥٠ م .

(٣) المقرئى : المواعظ ٣ ص ١٤٩ .

(٤) ابن حجر : إنباء النضر ٢ ص ٥١٢ .

يمر بهذا السوق بحمل ثبن ولا يحمل حطب ، وأن لا يسوق أحد فرسا به ، ولا يمر به سقاء إلا وراويته منطاة . كما كان يفرض على صاحب كل حائوت أن يضع عند حائوته ذيرا معلوما بالماء ليستخدم في حالة حدوث حريق ، كما كان يلزم بأن يطلق على حائوته قنديلا طوال الليل يظل مشتعلا إلى الصباح . كما رتبته الحكومة قوما يكفسون الأزيال والآتربة ونحوها بهذا السوق ، وروشونه كل يوم ، كما رتبته به عدة خفراء يطوفون به طوال الليل يحرسون حوائيته ، كما حرصت على إزالة الأوساخ التي تراكمت بمسالكه بين وقت وآخر (١) .

وفي سوق الجملون الكبير كان يجلس صاحب المسس أو والي الطوف من بعد صلاة العشاء في كل ليلة ، وينصب أمامه مشعلا يظل مشتعلا طوال الليل ، ويقف هناك يراقب الأمن بهذا السوق والأسواق المجاورة طوال الليل ؛ ومن حوله عدة من الأعوان والسقاين والنجارين والهدادين تنوب مقررهم لهم ليحافظوا في إطفاء أي حريق قد يشب فجأة في هذه الأسواق (٢) .

وفي عام ١٨٢٢ هـ أصدرت الحكومة أمرا بإزالة كافة الإشغالات الطارئة التي كانت تعترض وتقتضد طريق الناس بالأسواق والشوارع (٣)

وبمجانبة ذلك فلم تغفل الحكومة المظهر العام للأسواق ، ولذلك ففي عام ١٨٩٠ هـ أمرت جميع أصحاب الحوانيت أن يبيضوا وجوها وأن يزخرفوها بالدهان (٤) .

(١) المقرري : للمرجع السابق ج ٢ ص ١٠٧ .

(٢) نفس المرجع والجزء ص ١٠٢ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٧١ .

(٤) نفس المرجع والجزء ص ٢٤٦ .

## هـ - أهمية السوق كمركز رئيسي للتجميع السكاني

نظرا لأهمية الأسواق في حياة المجتمع المصري المالي لذلك كانت هذه الأسواق مقصدا لكافة أفراد وطبقاته ، ليس فقط للبيع والشراء وإنما أيضا للترفيه والاسترخاء ، ووجد الناس في السير في الأسواق متعة وتسريرة لنفسهم سواء بالنهار أو بالليل ، وذكر المقرئى أنه إذا أقبل الليل بسوق السلاح ، أشعلت السروج من الجانبين ، وأخذ الناس في التمشي بينما على سبيل الاسترخاء والترفيه ، فيمر من هناك من الحلاعات والمجون مالا يبرعته وصفه (١).

كما أن سوق بين النصريين ، صار متزها تمر فيه أعيان الناس وأمانهم في الليل مشاة لرؤية ما هناك من السرج والقناديل الخارجة عن الحد في الكثرة ، ولرؤية ما تقدمه الأنفوس وتلذذ الأعين مما فيه لذة الحواس الخمس ، وكانت تقدم فيه عدة حلق لقراءة السير والأخبار ، وإشاد الأشعار ، والتفنن في أنواع اللعب واللهو ، فيصير بحملا لا يقدر قدره ، ولا يمكن حكاية وصفه (٢).

وبسبب اعتماد عدد كبير من سكان القاهرة بأسواقها يوميا ، لذلك فقد حرص سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم سلاطين المماليك على أن يملئوا عن ولايتهم لسلطنة بأهم سوق من أسواقها ، وهو سوق القصبة الذي كان يمتد بوسطها من باب القنطرة إلى باب زويلة وكانت وسيلتهم في ذلك أن يمحروا بموكبهم في هذا السوق ، ويحترقوه أمام جموع الناس المحشدة هناك ، وقد لبس الواحد منهم

(١) المقرئى : الملاحظ ج ٢ ص ٩٨

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٢٨ - ٢٩

خاتمة السلطنة ، والوزير بين يديه على فرس يحمل على رأسه عهد السلطنة الذي عهد فيه الخليفة له بسلطنة مصر ، وجميع الأمراء والساكر مشاة بين يديه (١) . ولم تكن مواكب السلاطين هي وحدها التي تمر بالقصبة ، فمواكب الأمراء عند ترقيةهم لرتبة الإمارة كانت تمر هي الأخرى بهذا السوق ، فينزل الواحد منهم من قلعة الجبل وعليه التشريف والشربوش ، ويمر بموكبه من خلاله إلى المدرسة الصالحية ، أو إلى قبة السلطان المنصور قلاوون (٢) .

---

(١) نفس المرجع والجزء ص ١٠٧

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٢٨٠



## ثانياً: الموازين والمسكايل ودار العيار

### ١ - الموازين

السلع الثقيلة الوزن كان توزن بميزان القبان (١)، وهو نوعان : قبان رومى ، و قبان قبطى . غير أن القبان الرومى أصبح من القبان القبطى (٢) .

أما السلع المتوسطة أو الصغيرة الوزن فكانت توزن بميزان ذى كفتين يمسك به البائع عند الوزن به ، ويرفقه بيده من حلقة تتوسط قصبة العليا (٣) .

أما موازين الطحانيين والجباة فكان يراعى أن تكون من الخشب ، وأن تكون أوزانها مسطرة تحت عمود الميزان مواجهة الأرض (٤) .

وحدة الوزن وقتئذ هى الرطل . والرطل الذى كان يوزن به فى القاهرة كان يعرف بالرطل المصرى ، وهو يساوى ١٢ أوقية ، وكل أوقية تساوى ١٢ درهماً ، وكل مائة رطل تساوى قنطاراً (٥) .

غير أن الرطل المصرى لم يستخدم وحده فى كل مدن وقرى مصر ، فقد استخدم بجانبه رطل آخر كان يعرف بالرطل الجروى ومقداره ٣١٢ درهماً (٦) ،

(١) ابن الأخوة : معالم القربة ص ٨٤

(٢) ابن بىسام : نهاية الرتبة ورقة ١٢٢

(٣) نفس المرجع ورقة ١٢٠ - ابن الأخوة : المرجع السابق ص ٨٣

(٤) ابن بىسام : نفس المرجع ورقة ٤٣

(٥) نفس المرجع ورقة ١٢١ - القلقشندى : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١

(٦) ابن الأخوة : معالم القربة ص ٨١ - وقد ذكر ابن دقاق فى الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٥ ص ٨٢ أن هذا الرطل سُمى باسم الجروى الذى كان ملكاً لساحل مصر الشمالى ، غير أنه لم يسطنا أية معلومات عن هذا الملك والفترة التى كان يحكم فيها .

وكذلك رطل ثالث كان يعرف بالرطل اللين ومقداره ٢٠٠ درهم (٢)، وأيضاً رطل رابع كان يعرف بالرطل القلبي (٣).

كما أن بعض السلع الهامة كان لها رطلها الخاص بها المسمى بأسمائها، كالرطل الفلاني لوزن الفلفل ومقداره ١٥٠ درهم (٤).

أما الأسماك فكانت توزن بأرطال تزيد على غيرها من الأرطال بمقدار أوقيتين (٥)، وكان يشترط في أرطال السباكين أن تكون من قطعة واحدة من الحديد وبلا حلقة، أو تكون من الحجارة المجلدة المختومة (٦).

وفي بعض المدن والقرى المصرية كانت بعض السلع توزن بالرطل الجروى، بينما لبعض الآخر منها يوزن بالرطل اللين، بل إن بعض المدن المصرية كان لها رطل خاص بها. وفيما يلي أمثلة للأرطال التي كان يوزن بها في بعض المدن المصرية (٧).

قوس : اللحم والخبز والنخس كانت توزن برطل مقداره ٣١٥ درهم، أما باقي السلع فكانت توزن بالرطل اللين.

---

(١) ابن الأخوة : معالم القرية ص ٨١ .

(٢) ابن بسام : نهاية الرتبة ص ٢٧٧ .

M. H. Sauvare : *Materiaux pour servir à l'histoire de la numismatique et de la metrolgie Musulmanes* (J. A. 86; 1v) pp. 221 - 222.

(٣) ابن بسام : نهاية الرتبة ورقة ٣٥ .

(٤) نفس المرجع ورقة ٣٦ .

(٥) نقلا عن ابن الأخوة : معالم القرية ص ٨١ .

أسيوط : الخبز والحم يوزنان برطل مقداره ١٦٠٠ درم ، أما باقي السلع فتوزن بالرطل البنى .

منية ابن خبيب : كانت تستخدم الرطل المصرى الذى مقداره ١٤٤ درم .

إنجع : الخبز والحم يوزنان برطل لاسمه من ، مقداره ١٠٠٠ درم (١) ، أما باقي السلع فتوزن بالرطل البنى .

الحلة : رطلها مقداره  $٢ \frac{٢}{٣}$  رطلا مصريا ، أى ٣٨٤ درم .

الاسكندرية : رطلها مقداره ٢١٢ درم .

دمياط : رطلها مقداره ٣٣٠ درم .

بليس : رطلها مقداره ١٨٠ درم .

سمنود : رطلها يساوى  $٢ \frac{٢}{٣}$  رطلا مصريا أى ٢١٢ درم .

القيوم : رطلها مقداره ١٥٠ درم .

ويبدو أن اختلاف مقدار الأبطال في مدن وقرى مصر كان أمرا شائعا حتى أن ابن الأثير قال : لم أسمع أن بلدة وفى رطلها لبلدة أخرى إلا نادرا (٢) .

أما سبب هذا الاختلاف فيرجع إلى عدة عوامل منها مدى توافر السلعة أو ندرتها ، ومدى رخص ثمنها أو ارتفاعه (٣) ، وما يؤكد ذلك أن حسن المجهز

(١) مقدار المن كان يختلف تبعاً لنوع السلعة ، فالمن الذى يوزن به الطيب

مقداره ٢٦٠ درم فقط . القلقشندي : ضيغ الاعشى ج ٣ ص ٤٤١

(٢) ابن الأثير : معالم القرية ص ٨٦

Sauvage . op cit, pp. 217-218.

(٣)

قال في تطيل هذا الاختلاف الذى استمر معمولا به في العهد العثماني سبب اختلاف الأبطال في كثرة دراهمها وقلتها اختلاف الموزونات شرقا وخسة .. واشتار مقادير الأبطال ببعض البلاد باعتبار كثرة ما يوزن فيها من نفيس أو خسيس ، فالنفيس يوزن بالدرهم والمقال ، والخسيس بالقناطر أو الأبطال (١) .

كما أن على مبارك قال ، فالأبطال الكبيرة كالآمنان وما ماثلها تستعمل في وزن الأشياء الدقيقة القيمة ، والصغيرة للأشياء الغالية القيمة ، والمتوسطة لمتوسطة القيمة ، (٢) .

#### ب - للمكايل ولواني وأهوات تعبئة السلع

مكيال الجبوب كان يصنع من قطعة واحدة من الخشب يخفر جوفها مع مراعاة أن تكون سعة جوف الكيل مائلة تماما لسعة فومته (٣) .

وكان يشترط أن يكون في كل حانون مكيال ، ونصف مكيال ، وربيع ، وثمن ، محتومة كلها بخاتم الخشب (٤) .

ورغم أن القدح كان هو الوحدة الأساسية لكيال الجبوب ، إلا أن عياره كان يختلف من بلدة لأخرى ، فنتج عن ذلك اختلاف مقدار الأردب فيها أيضا .

قدح القاهرة كان مقداره ٢٢٢ درهما ، وكل أربعة أقداح تسمى ربيع ، وكل أربعة أرباع تسمى وية ، والأردب ست ويات . أى أن أردب القاهرة

(١) حسن الجبرتي : القدر الفين فيما يتعلق بالموازين ورقة ١١ أ ، ب

(٢) على مبارك : الموازين والمكايل والمقاييس ص ٧٧

(٣) ابن الأختة : المرجع السابق ص ٨٦

(٤) نفس المرجع والصفحة .

كان يساوى ٩٦ قدسا (١) .

غير أن أردب القاهرة كان أقل مقدارا من أرادب المدن المصرية الأخرى ، فأردب الاسكندرية كان  $٧ \frac{1}{4}$  وية (٢) ، وأردب الفيوم ٩ ويات (٣) ، وبلغ مقدار الارذب في بعض بلاد الوجهين القبلي والبحري ١١ وية فأكثر (٤) ، كما أن أردب الارياض كان يعادل بصفة عامة أردب ونصف تقريبا من أرادب القاهرة (٥) .

ورفى أعتقد أن السبب في هذا التفاوت هو قانون العرض والطلب ، فكلما زاد عدد المستهلكين قل مقدار الارذب ، وبالعكس كلما قل عدد المستهلكين زاد مقدار الارذب . ولما كان عدد المستهلكين بالقاهرة أكبر من عددهم في أية مدينة أخرى لذلك كان أردبها أقل مقدارا من مثله في باقي المدن المصرية الأخرى . وكما كان هناك رطل لثى ورطل جروى ، فقد كان هناك أيضا مكيال لثى ومكيال جروى . وعيار المكيال الجروى أكبر من عيار المكيال اللثى ، لذلك كان يكال به الملح الجريش (١) .

والمكاييل يختلف أنواعها كانت تخفم عند حافضا العليا بالراسخ لمنع

- (١) العمرى : ممالك الابصار ج ٢ قسم ٢ ورقة ٣٧٦ - السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧١ - القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤١  
(٢) النويرى : الإللام بما جرت به الأحكام ، مخطوط ، المجلد الثانى ورقة ٧٠ .  
(٣) ابن إياس : لشق الأزهار ، مخطوط ، ورقة ٣١ ب  
(٤) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤١  
(٥) المقرئى : السالك ، مخطوط ، مجلد ١٠ ورقة ٢٩٨ أ  
(٦) ابن بسام : نهاية الرتبة ص ٣٥

التلاعب أو النش فيها (١) .

ولم تكن الحبوب هي وحدها التي تكال بالمكيال ، فالفراريج ( الكناكيت ) كانت تكيل هي أيضا بكيل خاص بها ، فعند بيعها كان بالعمى يضع مكيالا ليس له قاع في سلة المشتري ، ثم يملأ هذا المكيال بالفراريج ، فإذا امتلأ نماما رفع المكيال ، وتبقى الفراريج في سلة المشتري (٢) .

كما أن بعض السلع الأخرى كانت تعبأ في أوان أو أكياس ذات سعة مقدرة بوزن معلوم محدد ، فالزيت على سبيل المثال كان يعبأ في أوان تعرف باسم القفل ، عيار كل قلة منها كان يقدر في مدينة مصر بمائة وعشرين رطلا ، ويقدر فيها عداها بمائة وخمسة عشر رطلا (٣) .

كما أن الزيت كان يعبأ أيضا في أفساط ، عيار كل فسطة منها ثمانية أراطال مصرية (٤) ، كما كان يعبأ أيضا في ظروف ، عيار الظرف منها خمسة أراطال (٥) . أما السبرج فكان يعبأ في جرار ، عيار كل جرة منها ٢٦١ رطلا ، وعندما يباع كان البائع يزنه المشتري بالرطل ، أو يكيله له بكيل اسمه القداحة (٦) . أما اللبن فكان وزنه يقدر بالقسط الجروي وبالكوز ، والقسط الجروي

---

(١) نفس المرجع ورقة ١٧

Leon L'Africain: Description de L'Afrique, huitième (٢)  
Partie. p.16 - M. Jomard: Description de L'Egypte, T.18,P. 377

(٣) ابن بستم : نهاية الرتبة ورقة ١٧

(٤) ابن الأضوء : معالم القرية ص ٢٢٧

(٥) ابن عثاق : قوانين القوارين ص ٢٦٢

(٦) ابن الحاج : المدخل ج ٢ ص ٨٢

عبارة ٤ رطل جروى ، وعبارة الكوز ١/٢ قسط ، أى أن كل ثمانية كيزان يعادل قسطاً (١) .

ولم يكن القسط الجروى هو المستخدم فقط ، فقد كان هناك قسط آخر يعرف بالقسط اللينى ، عبارة يعادل ثلثى عيار القسط الجروى أى ثلاثة أروال جروية (٢) ، وهذا القسط كانت تكال بعض السلع السائلة الأخرى .

أما العمل فكان يعبأ فى أوان تعرف باسم الأمطار ، وكل مطر منها يعادل فى سمته خمسة أنساط (٣) .

أما الدقيق فكان يعبأ فى أكياس مختلفة الاسم والسمه ، فبعضها يعرف باسم بطة ، وبعضها الثانى يعرف باسم تليس ، وبعضها الثالث يعرف باسم حمة .

والبطه كيس من الجلد (٤) سمته ٥٠ رطلا ، أما للتليس فيعادل ثلاث بطط أى ١٥٠ رطلا (٥) ، أما الحمة فتتسع لـ ١٠٠ رطل قلعى (٦) .

أما الأرز فكان يعبأ فى شكاير ، عيار الشكاره منها خمسة أروال (٧) .

(١) ابن بسام : المرجع السابق ورقة ١٩ ، ١٢٢

(٢) نفس المرجع ورقة ١٢٢

(٣) نفس المرجع ورقة ١٢٢

(٤) الجبرقى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ص ٢٥٢

وقد سميت البطه بهذا الاسم لأن شكلها كان يشبه البطه . بدر الدين العيني .

السيف المهند ص ٣٤٥ حاشية ١ .

(٥) ابن الأخوة : معالم القرية ص ٩١ - ابن عماد : قوانين الدواوين ص ٢١٥

(٦) ابن بسام : المرجع السابق ورقة ١٩

(٧) ابن عماد : قوانين الدواوين ص ٢

وبالإضافة إلى ذلك فبعض السلع الأخرى كانت تباع على هيئة حزم أو شدات ، كل شدة منها معلومة الوزن ، فشدة الحصر ثلاثة أربال ، وشدة الخيش رطلان ، وشدة التبن رطل واحد ، وشدة الحبال رطل واحد (١) .

والتبن كان يباع أيضاً في شباك كبيرة تنسج كل شبكة منها لما وزنه ٢٥٠ رطلاً مصرياً من التبن (٢) .

أما الجلبس فيوضع في تقف معبرة أى ذات عيار معلوم محدد ، وعيار كل قفة منها خمسة أربال جروية ، وتختتم بخاتم المحتسب لمنع التلاعب أو الغش في سمها (٣) .

#### ج - دار المييار

أُنشئت في مصر في العهد الفاطمي دار حكومية لصناعة كافة الموازين وصنع الوزن وكافة أنواع المكييل ، وعرفت هذه الدار باسم دار المييار .

وكان المحتسب - أو نائبه - يحضر إلى هذه الدار لمراقبة صناعة الموازين والصنع بها ، والتأكد من صحة عيارها ووزنها ، وذلك بمضاهاة المصنوع منها بنماذج موجودة بالدار صحيحة تماماً في عيارها ووزنها .

كما كان التجار والباعة يكلفون بالحضور من آن لآخر إلى هذه الدار ومعيهم صنيحهم وموازينهم ومكييلهم لتعير بها ، وللتأكد من عدم وجود غش أو خلل بها ، فإن وجد فيها نقص أو عيب يصيب إصلاحه صودرت وألزم صاحبها بشراء

(١) نفس المرجع ص ٢١٢

(٢) ابن الأختة . معالم القبة ص ٧٧٧

(٣) ابن همام . نهاية الرتبة ورقة ٤٢



بدل لما من الدار ما هو محرر العيار . أما إذا كان في الإمكان إصلاح العيب أو الخلل الذي بها ، فيكتفى في هذه الحالة بإصلاحه بالدار على نفقة صاحبها .

وقد بقيت هذه الدار قائمة في المدين الأيوبي والمملوكي تمارس مهنتها واختصاصها بنفس الصورة (١) .

لكن يبدو أن وجود هذه الدار لم يمنع من صناعة الموازين والمكاييل خارجها ، فبلدة العريش مثلا كانت تشتهر بصناعة المسكائل التي تحمل إلى جميع الأعمال (٢) . كما كان هناك خط أوحى يسمى خط الموازين يقوم خارج القاهرة جنوب باب ذويلة (٣) ، مما يدل على أنه كان به صنّاع يحترفون صناعة الموازين .

ومناك ما يدل أيضا على أنه كان يسمح لبعض الناس بصناعة الصنج خارج دار العيار ، فقد ذكر القريزي أن رجلا كان يحترف صناعة الأبطال بموار بركة بأرض الطبالة فاشتهرت هذه البركة به ، وسميت ببركة الرطل (٤) .

ورغم أن أغلب الصنج كانت تصنع من الحديد (٥) إلا أن بعض الصنج كانت تصنع من الزجاج ، ويوجد منها مثال يتحف الفن الإسلامي بالقاهرة يرجع إلى عهد السلطان قايتباي (٦) .

(١) القريزي : المواظ ج ١ ص ٣٦٤

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ص ٩٩٠

(٣) القريزي : المواظ ج ٢ ص ٣٩٥

(٤) نفس المرجع والجزء ص ١٦٣

(٥) ابن الأختوة : معالم القرية ص ٧٥

(٦) هي صنعة من الزجاج الأخضر الفاتح على هيئة غرور ناقص ، منقوش عليها ختبان ، أحدهما مستدير والثاني مربع الشكل ، ويدخل الختم المستدير =

كما أنه كان يسمح للتجار والباعة في العهد المملوكي بالوزن بصنّج من الاحجار بشرط أن تكسى بكسوة من الجلد لحمايتها من التآكل ، ولضمان عدم كسر أى جزء منها لإنقاص وزنها (١) ، بل إن تجار المسامير على وجه الخصوص كانوا يمتنون من استخدام الصنّج الحديدية ، وحتم عليهم أن تكون أراطلم من حجارة مجلدة مختومة بالرماس ، ومكتوت عليها بخط المحتسب لأنه كان يخشى أن يتلاعبوا في الارطال الحديدية بما لهم من خبرة وإمكانات متوفرة في الصناعات الحديدية (٢) .

لكن السماح باستخدام الصنّج المجلدة أتاح فرصة للتلاعبين من التجار والباعة بأن ينشروا فيها ، فكان بعضهم يضع في داخل أكياسها الجلدية رؤوس لفت أو قطع من الخشب ، فتبدو وكأنها صنّجة حجرية مجلدة (٣) .

---

== نقش بالخط النسخي المملوكي منه ، دزام ديوانية بمصر . أما الغتم المربع فيه ثلاثة أسطر بالخط النسخي المملوكي لعبها وبرسم خروطة السلطان الملك الاشرف قايتباى سنة ٨٩٢ هـ

(١) ابن الاخرة : معالم القرية ص ٨٥ - ابن الحاج : المدخل ج ٣ ص ٨٤ - الاسدى : التيسير والاعتبار ، مخطوط ، ورقة ، ع ١

(٢) ابن بسم : نهاية الرتبة ورقة ٩١

(٣) نفس المرجع ورقة ١٧ - ابن الاخرة : المرجع السابق ص ٨٥

## ثالثا : اهم الانظمة التجارية

الانظمة التجارية التي كان معمولاً بها في ذلك الوقت بعضها يختص بكيفية تنظيم حسابات التجار ، والبعض الثاني منها يختص بنظام الشركات التجارية ، والبعض الثالث منها يختص بنظام الدفع في العمليات التجارية ، والبعض الرابع منها يختص بنظام التعامل مع التجار الفريج داخل أرض مصر .

تنظيم حسابات التجار : أغلب التجار الكبار كانت عتدم دفاتر عامة يقيدون فيها حساباتهم ومعاملاتهم التجارية ، والديون التي عليهم للناس ، والديون التي لهم عتدم . وهذه الدفاتر كانت أساسا لما عرف فيما بعد باسم « دفاتر الأستاذ » .

واستعمال هذه الدفاتر يرجع إلى الرومان إذ كانوا يستعملونها حتى في غير التجارة ، وكانت لهذه الدفاتر أهمية كبرى في القرون الوسطى حيث كانت لها قوة أوراق الموثقين الرسميين .

وقد عرفت الدفاتر التجارية في الشرق الإسلامي وبخاصة مصر ، وأشا... كتب الشريعة الإسلامية إل « دفاتر البيع والصراف والسماء » (١) . كما اعتبر القضاء الإسلامي دفاتر المالين حججا على أصحابها من تجار وصراف وسماسره (٢) .

وقد أشار ابن حجر إلى هذه الدفاتر خلال عرضه لأحداث عام ٨٣٦ هـ ، وذكر

---

(١) محمد صالح : شرح القانون التجاري ص ٥٠

(٢) ابن الشحنة : كتاب لسان الحكم في معرفة الأحكام ص ٧٦

ان شحاذا خطف اوراق حساب من تاجر وجرى بها (١) ، وهذا يؤكد انها كانت مستخدمة وقتئذ .

نظام الشركات التجارية : بعض التجار كانوا يتركون مع بعضهم البعض في العمليات التجارية ويلقون فيها بينهم شركات حسب شروط وقواعد يتفق عليها بينهم تبين حقوق وواجبات كل منهم فيها .

ومن أبرز أنواع الشركات في ذاك الوقت شركة المضاربة أو المقارضة ، وفيها يدفع شخص مالا لآخر ليتاجر له به بالنيابة عنه ، ويتضمن عقد الشركة نصا على أن يكون الربح بينهما حسب نسبة محده لكل منهما ، بينما تكون الخسارة على صاحب المال ، وقد تكون نسبة الربح للشريك التاجر بنسبة النصف أو الثلث أو الربع .

وفي بعض الاحيان ينص في عقد الشركة على أن يكون الربح أو الخسارة كلها لصاحب رأس المال ، وفي هذه الحالة يصحكون الشريك التاجر مجرد إجير بالارباب والمثولة .

وهناك ما يدل على وجود هذا النوع من الشركات في مصر في العهد المملوكي ، فقد ذكر المقريزي في خلال عرجه لأحداث عام ٧٢٢ هـ أن صاحب شمس الدين عبدالله بن أبي سعيد عندما قدم من دمشق أرم يحمل - أى يدفع - أربعين ألف دينار كان قد أودعها لديه شخص آخر ليتاجر له بها (٢) .

(١) ابن حجر : إنباء الفهر ٢٠ ص ٥٤١

(٢) المقريزي : السلوك ٢٠ ص ٣٦١

ولم تكن المشاركة التجارية في هذا العهد قاصرة على المسلمين فقط ، فقد كان يسمح بتكوين شركات بين تجار مسلمين وآخرين من الفرنج ، ومن أمثلتها شركة كرنبا تاجر كاري (١) وتاجر فرنجي ، ونص في عقدهما على أن يكون ثلاثة أرباع رأس مال الشركة للتاجر الكاري والربع للفرنجي ، على أن يقوم الفرنجي بالمناجزة بالمال ، وأن يصكون الربح بين الطرفين بنسبة رأس المال مع حصة للفرنجي (٢) .

نظام الدفع : نظام الدفع في العمليات التجارية كان يتم إما نقدا في الحال ، أو بالأجل ، أو عن طريق الحوالة أو السفينة .

ونظام الدفع بالحوالة يبيح لشخص بأن يحول ما عليه من دين تجاري إلى شخص آخر ، فيقوم هذا الأخير بالدفع نيابة عنه .

وقد استفاد بعض سلاطين الممالك هذا النظام لصالحهم ، ومن أمثلتهم السلطان التامر محمد بن فلاوون ، فقد قام هذا السلطان بتحويل دين تجاري كان عليه إلى تاجر من تجار الكارمية ، فقام هذا بسداده بالنيابة عنه (٣) .

---

(١) الكارمية فئة من التجار تخصصت في تجارته التوابل والقفل وجلبها إلى مصر من مواطن زراعتها وإنتاجها بالهند وجزر الهند الشرقية والحبشة . ومنذ العهد الأيوبي أصبح مظهروا على غير المسلمين الانتظام في سلوكهم ، لذلك كانوا جميعا في العهد المملوكي من المسلمين فقط . صبحي بن ليبي : التجارة الكارمية ص ١٢ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٤ - ابن حجر : الدرر الكامنة ص ٤٠٢ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٤ .

أما نظام الدفع بالسفينة فأساسه أن يدفع شخص مالا إلى شخص آخر ،  
ليقوم هذا الأخير بدفعة إلى شخص ثالث نيابة عن الشخص الأول ، والمعدل  
من ذلك هو حماية المال من أخطار الطريق (١) .

وقد استرقت مجموعة من الصيارفة القيام بهذا العمل نظير محاولات يحصلون  
عليها ، وأصبح من الأمور الشائعة أن يدفع التاجر مالا للصراف ويحصل منه على  
صك بما دفعه له ، وكلما اشترى شيئا سدّد ثمنه بهذه الصكوك المحولة الدفع على  
هذا الصراف . وقد روى المقرئ أن مجموعة من هؤلاء الصيارفة كانوا يجلسون  
في حوايت طول النهار على جانبي سوق السلاح بالقاهرة (٢) .

ويبدو أن فندق بلال المنشي بالقاهرة كان يقوم أيضا بهذا العمل المصروف ،  
فيودع التجار أموالهم فيه ويحصلون على صكوك بدلا منها محولة الدفع عليه ،  
وربما استنتجنا مبدئه هذه من قول المقرئ عنه : ما برح هذا الفندق يودع فيه  
التجار وأرباب الأموال صناديق المال ، ولقد كنت أدخل فإذا بدائره صناديق  
مصطفة ما بين صغير وكبير ... وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على  
ما يجل وصفه ، (٣) .

وهناك نوع آخر من السفينة استخدمه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ،  
فبعد أن أخذ بضائع من عدة تجار عرضهم بسفائح على الخشب والبورى (٤) ،

(١) ابن الشحنة : كتاب لسان الحكام في معرفة الأحكام ص ٦٦ - ٦٧

(٢) المقرئ : المواعظ ج ٢ ص ٩٨

(٣) نفس المرجع والجزء ص ٩٢ .

(٤) للمقرئ : السلوك ج ٢ ص ٤٢٠

أى أنه اصطام مكوكا مكتوبة. بالثنى الذى يستخونه يمكنهم بمقتضاها تحصيل هذا الثمن من الاموال التى كانت تجبى على هيئة مكوس وضرائب تفرض على الخشب والسلك البورى .

نظام التعامل التجارى مع التجار الفرنج داخل أرض مصر : هذا النظام لم يكن ثابتا بصفة دائمة ، فقد كان قابلا للتديل بين وقت وآخر حسب ما كان ينص عليه في المعاهدات التجارية التى كانت تبرم بين بعض سلاطين المماليك وبعض الدول التجارية الإفريقية .

ونجد في إحدى هذه المعاهدات - وهى معاهدة عقدت عام ٨٣٢ هـ بين السلطان الأشرف يارسباى والقويس الخامس ملك أرجون (١) - مثالا لأنظمة التعامل التجارية مع الفرنج داخل أرض مصر .

وتدلنا هذه المعاهدة على أن الصفقات التجارية مع الفرنج ثابتت تم داخل ديوان القيان بالاسكندرية ، وهو ديوان حكوى له ناظر يباشر أموره ، ويساعده مستوف وعشار - أى يحصل ضرائب - ومباشرون . لكن بجانب ذلك فالفرنج كان لهم الحق فى أن يجرؤوا عملياتهم التجارية فى أى فندق يختارونه من فنادق المدينة . وكان لابد من شهادة شاهدين عدلين على الصفقات التجارية التى كانوا يسقدونها هناك ، كما كان لهم الحق فى أن يكلوا إلى من يختارونه من الساسة أو الزاجمة الموجودين بهذا الديوان أو بهذه الفنداق مباشرة صفقاتهم التجارية وانماها بالتيابة عنهم .

اما نظام الدفع - أى دفع ائمان الصفقات التجارية التى كانت معهم - فكان يتم إما بالنقد ، أو بالقباض أى المقايضة ، أو بالبيعة .

والبيع بالبيعة حر أن يبيع المتاجر الفرنجي لتاجر من رعية السلطان بضاعة يؤدي هذا  
الأخير ثمنها فيها بعد، وذلك بعد أن يشهد السماسر بأن المشتري رجل قادر مؤتمن،  
فإذا أفلس المشتري أو هرب أو سوّف في دفع الثمن أصبح الدلال أو السماسر الذي  
شهد له ملوما في هذه الحالة بدفع الثمن لتاجر الفرنجي (١) .

وعلى الرغم من أنه لم يكن يسمح للتجار الفرنج بممارسة نشاطهم التجاري إلا  
في ثغور مصر الساحلية الواقعة على البحر الأبيض فقط عاصمة الاسكندرية ، إلا  
أنه كان يسمح لبعضهم في أحوال استثنائية بالتقدم إلى القاهرة أو إلى أى بلدة  
أخرى من بلاد مصر الداخلية ، وذلك بعد أن يستأذن لهم في ذلك القنصل الذي  
يمثل بلادهم في مصر .



## رابعاً : المراكز التجارية الرئيسية وطرق المواصلات بينها

لا شك أن القاهرة والفسطاط (أو مدينة مصر أو مصر القديمة أو فسطاط مصر) <sup>(١)</sup> كانتا أم مركزين لتجارة مصر الداخلية في العهد المملوكي، فالقاهرة بحكم أنها كانت العاصمة ومقر الطبقة الحاكمة الثرية ولأن يقبهم من جند وحاشية، لذلك كان أمراً طبيعياً أن تصبح مركزاً رئيسياً للنشاط الاقتصادي بمختلف صورته، وأن تصبح مقراً لأكبر الأسواق التجارية، ويمكن لى يتأكد من ذلك أن نرجع إلى ما كتبه القزويني عنها في خطه <sup>(٢)</sup>.

أما مدينة مصر، فبحكم أنها كانت هي الأخرى مقراً لمواسم مصر الإسلامية التي شيدت قبل القاهرة، لذلك أصبحت هي الأخرى مركزاً رئيسياً من مراكز النشاط الصناعي والتجاري. ولعل من بين الأسباب التي ساعدت مدينة مصر أو الفسطاط على أن يكون لها هذا المركز هو أنها كانت تقع على النيل مباشرة فأصبح

---

(١) المنطقة التي كانت تمتد جنوب القاهرة خارج باب ذويلة حتى شاطره النيل هرفت في العهد المملوكي بدة أسماء منها : مدينة مصر أو مصر أو فسطاط مصر. (القزويني : المواقف ٢ ص ٣٦٠).

وقد أطلق ابن شامين على هذه المنطقة إسم مصر القديمة. ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ٢٧.

أما ابن سبيل فكان يسمي هذه المنطقة باسم أول عاصمة إسلامية مصرية قامت عليها وهي الفسطاط. ابن سبيل : المغرب في حل المغرب ص ١١

(٢) راجع الفصل الخاص بأسواق القاهرة في المواقف ٢ ص ٨٦ وما بعدها.

من السهل عليها الحصول على ما يلزمها من المتاجر والسلع والمواد الخام بواسطة السفن ، بينما لم يكن القاهرة نفس هذه الميزة بنفس السهولة لبعدها بعض الشيء عن النيل .

وكنتيجة لتلك الميزة أصبح مرفأ القسطنطين القائم على النيل مقصدا لآلاف المراكب النيلية القادمة اليه من شمال مصر وجنوبها ، وقد ابرر ابن سبيد بكثرة فيها فقال عنه أنه كثر البهرة بالمراكب وأصناف الأرزاق التي تصل من جميع أطراف النيل ، ولئن قلت اني لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك فإني أقول حقا ، (١) .

كما وصف ابن سبيد النشاط التجاري بالقسطنطين فقال : وأما ما يرد على القسطنطين من متاجر الاسكندرية (يعني البحر الأبيض) والبحر المحاذي (يعني البحر الأحمر) فإنه فوق ما يوصف ، وبها يجمع ذلك لا بالقاهرة ، ومنها يجهز إلى القاهرة وسائر البلاد ، (٢) .

أي أن القسطنطين - كما رأينا ابن سبيد في القرن السابع الهجري - كانت تتفوق في أهميتها التجارية على القاهرة ، كما أن القاهرة كانت تعتمد عليها إحتادا وعيسيا في التزود بالسلع والمتاجر القادمة بالمراكب .

لكن أن القاهرة لم تلبث هي الأخرى أن أصبحت لها نفس الميزة التي كانت متاحة لقسطنطين ألا وهي ميزة الوقوع على النيل مباشرة ، فتوهموا المصريون القرون مكنها من أن تمتد برقعها السكنية حتى أصبحت في آخر الأمر تطل على النيل ذاته ، وتصل به اتصالا مباشرا كالقسطنطين . وكنتيجة لذلك أصبح مرفأها

(١) ابن سبيد : المرجع السابق ص

(٢) نفس المرجع ص ١

الجديد الذي أقيم بساحل بولاق<sup>(١)</sup> يتفوق في نشاطه التجارى والملاحى على مرفأ  
الفسطاط . ويرصف ابن شامين مرفأ بولاق كما حاصره في النصف الثانى من القرن  
التاسع الهجرى ويقارن بينه وبين مرفأ الفسطاط فقال أنه « من أحسن الأماكن  
على شاطئ النيل » . ويرد إلى سواحله أكثر مما يرد إلى ساحل مصر<sup>(٢)</sup> .

لكن يجب أن لا نفهم من ذلك أن مرفأ الفسطاط قد قل نشاطه أو قلت  
أهميته ، فقد ظل يقوم بدوره الملاحى والتجارى كما كان من قبل ، وظلت السفن  
الحملة بأصناف المتاجر والسلع تأتي إليه أو تبحر منه في أعداد كبيرة ، وقد قدر  
ابن شامين عدد هذه المراكب بما ينيف على ألف وثمانمائة مركب<sup>(٣)</sup> .

وبخلاف القاهرة والفسطاط ، فإن عددا آخر من مدن مصر ومينورها  
الواقعة على ميلها أو سواحلها البحرية كان لها دور هام فى الأخرى في تجارة  
مصر سواء الداخلية أو الخارجية ، ومن أبرزها في هذا الشأن الإسكندرية  
ودمياط ، والقاهرة وعين شمس والطور على البحر الأحمر ، وقوس وأسوان على النيل .

(١) عندما شيدت القاهرة في العهد الفاطمى أقيم لها مرفأ على النيل بجهة  
المنى ، لسكن حدود هذا المرفأ في إمدادها بالتاجر والسلع كان محدودا بسبب  
بعدته عنها ، ثم لم يلبث النيل أن تحرك بجمرة إلى الغرب مبتعدا عنه فتوقف  
استخدامه تماما ، وظلت القاهرة منذ هذا الوقت بلا مرفأ وتتمدد على مرفأ  
الفسطاط ، ولكن لما اكتمت رقتها السكنية في القرون - كما ذكرنا - وأصبحت  
تطل على النيل ، كان من الضرورى أن يقام لها مرفأ جديد عليه ، وأتيح الفرصة  
لإقامة هذا المرفأ عندما انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق عام ٨٠٦ هـ ، فأقيم على  
هذا الساحل مرفأها الجديد . المقيري : الخزانة ٢٠ ص ١٣١

(٢) ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ٢٨

(٣) نفس المرجع ص ٢٧

ورغم أن دمياط كانت تنقسم الأهمية التجارية والنشاط التجارى مع الاسكندرية على ساحل البحر الأبيض حتى عهد السلطان بيبرس البندقدارى ، إلا أنها بدأت تفقد بعض أهميتها في هذا المجال بعد أن قام هذا السلطان بسد فم النيل الذى يصب في البحر الأبيض شمالا بالحجارة ليحميها من الغارات المفاجئة للفرجة والصليبيين ، فأصبح متذكرا بعدما على السفن التجارية الكبيرة القادمة إليها من البحر الأبيض من الدخول إلى مينائها والرسو به ، فاكثفت هذه السفن بالوقوف في عرض البحر أمام مصب النيل لتقوم سفن الحروم النيلية بنقل شحناتها إلى ميناء دمياط ذاته (١) .

أما على البحر الأحمر ، فقد كانت القلزم حتى عهد الخليفة الفاطمي المستنصر باقية هي الميناء التجارى الأول لمصر على هذا البحر ، فقد كانت السفن تأتيها من الهند والصين وتفرغ حولاتها بها ، كما كانت تمر بها قوافل الحجاج والتجار ذهابا وإيابا من مصر إلى الحجاز وبالعكس . لكن يبدو أن مركزها التجارى هذا بدأ يتدهور منذ نهاية القرن الرابع الهجرى ، ويدلنا على ذلك ما نقله المقرئى عن المسبحى من أن الحاكم بأمر الله سمح أهلها في عام ٢٨٧ هـ بما كان يؤخذ منهم عن مكوس المراكب (٢) ، ولعل ذلك يرجع إلى جملة عوامل منها خطورة الملاحة في خليج السويس لكثرة شطرطه المرجانية وهبوب الرياح الشمالية عليه في جزء كبير من السنة (٣) .

(١) المقرئى : المواقظ ج ١ ص ٢٧٤

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٢١٢

(٣) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر ص ١٢

وفي أواسط القرن الخامس الهجرى ازداد تدهور مركز القلزم التجارى بسبب الشدة العظمى التى تكبت بها مصر فى خلال عهد الخليفة المستنصر الفاطمى وما عجم ذلك من انقطاع الحج عبر الطريق الغربى الشمال الذى كان يمر بها<sup>(١)</sup>.

ثم فقدت القلزم مركزها التجارى تماما بعد أن استولى الصليبيون على أيلة عام ١١١٦ م ، وكذلك بعد أن غرّبوا القرما عام ١١٥١ م ، إذا أصبح شحن وتوزيع المتاجر بها أمرا شديدا مأوون للعواقب بسبب الخطر الصليبي القريب منها ، كما أن دورها التجارى كان يرتبط ارتباطا وثيقا بدور القرما فى هذا المجال ، فلما غرّبت القرما انعكس ذلك انعكاسا سيئا عليها<sup>(٢)</sup>.

وكنتيجة لذلك انتقل النشاط التجارى من القلزم إلى موانئ مصر الجنوبية على البحر الأحمر كيزاب والقصير .

وبعد أن ومنت كيزاب مركز القلزم التجارى أصبح ترد من طريقها وتصدر تجارة مصر مع البلاد الواقعة على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وما ساعدنا على ذلك قربها من جدة ، وكذلك عمق مياها مما جعل المراكب آمنة من

(١) القزوينى : المرجع السابق ٢٥ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٢) كان الارتباط وثيقا بين القلزم والقرما فى مجال نقل المتاجر بين البحرين الأبيض والأحمر ، فتاجر البحر الأحمر بعد قرينها من المراكب بالقلزم كانت تنقل منها بالب إلى القرما حيث يعاد شحنها فى المراكب هناك ، وبغض الطريقة كانت تنقل متاجر البحر الأبيض من القرما إلى القلزم .

ابن خردادبه : المسالك والممالك ص ١٥٣ ، ١٥٤

خطر القناب المرجانية (١) المنتشرة في مياه البحر الأحمر .

ولم تَقم عيذاب بهذا الدور وحدها بل شاركتها في ذلك ميناء القصير الواقع شمالها ، إذ كان أصحاب المراكب ، يفضلون هذا الميناء أحيانا على عيذاب لقربه من قوص ، وبعد عيذاب عنها (٢) .

ومن عيذاب ومن القصير كانت المتاجر تمر الصحراء الشرقية بالقوافل إلى قوص الواقعة على النيل ، ثم من قوص تشحن على ظهور السفن ، وتنقل عبر النيل إلى القسطنطينية والقاهرة ، فأصبحت قوص نتيجة لذلك مركزا تجاريا هاما على النيل بمنزلة مصر ، وارتبطت أهميتها التجارية ارتباطا وثيقا بالدور الذي لعبته عيذاب في هذا المضمار (٣) .

وقد ظلت عيذاب تقوم بمهمتها تلك إلى أن ابتعد خطر الصليبيين عن شمال البحر الأحمر ، وعندئذ قام السلطان الظاهر بيبرس في عام ٥٦٦٦ هـ بإخراج قافلة الحجاج عبر الطريق البري الشمالى المار بسيناء ، فبدأ التجار والحجاج منذ هذا التاريخ يعودون تدريجياً إلى هذا الطريق مرة أخرى وقل استخدامهم للطريق

(١) التقيسندى : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٦٤

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٤٦٥ .

(٣) وصف ابن جبير مدينة قوص عندما مر بها أثناء رحلته في مصر فقال : هذه المدينة خفية الأسواق ، متسعة المرافق ، كثيرة الخلق لكثرة العسادر والوارد من الحجاج والتجار البيهقيين والهنديين وتجار أرض الحبشة ... ، كما قال عنها أيضا أنها ملققة الحجاج المناوبة والمصريين والاسكندرانيين ومن يتصل بهم ، ومنها يفوزون بصرى عيذاب ، واليه انقلاهم في صدرهم من الحج ... ، رحلة ابن جبير ص ٣٦ ، ٣٧ .

### قوس وعذاب (١) .

لكن رغم ذلك فقد استمرت عذاب تزاول مهابتها التجارية على البحر الأحمر ،  
غير أنه في حوالى عام ١٧٨٠ بدأ ميناء الطور ينتزع الأهمية التجارية منها ، ففي هذا  
التاريخ مر الأمير صلاح الدين بن هرام حاجب الحجاب بالديار المصرية وقتئذ  
سركبا بالطور وسفرها من هناك ثم أتبعها بمركب آخر ، فبدأ الناس والتجار  
بعدها يقبلون على استخدام هذا الميناء رغم أنهم كانوا يهيبون استخداما من قبل  
لما في مياهه من شعاب مرجانية تهدد مراكبهم (٢) .

وعلى الرغم من أن السويس - التي كانت قد قامت وقتئذ بالقرب من أطلال  
القلزم - كانت تحاول القيام بدور القلزم التجارى السابق على البحر الأحمر إلا أن  
دورها في هذا الشأن ظل محدوداً بسبب وجود الطور بالقرب منها (٣) ، وأيضاً  
لأن الحكومة المالكية اتخذت من مينائها قاعدة رئيسية لاسطولها السائل في  
البحر الأحمر ، فأصبح دور ميناء السويس دوراً عسكرياً بالدرجة الأولى قبل أن  
يكون دوراً تجارياً (٤) .

---

(١) المقرئى : المواعظ ١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٢) القلشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ - والواقع أن ميناء  
الطور كان يتمتع بمميزات أغرت السفن التجارية باستخدامها منها قرابة من سواحل  
الحجاز ، وكثرة المراسم التي تحتمى بها المراكب بالقرب منه أثناء هياج البحر .  
نفس المرجع الجزء ص ٤٦٠

(٣) نفس المرجع والجزء والمصفحات .

(٤) Thenaud : Le voyage d'outremer de Jean Thenaud , P.63 & N.I.(٤)

أما أسوان فقد اكتسبت هي الأخرى أهمية تجارية لوقوعها على النيل قرب حدود مصر الجنوبية ، فأصبحت لهذا السبب معبدا رئيسيا للمتاجر الصادرة من مصر إلى النوبة والسودان وبالعكس ، لكنها لم تلبث أن بدأت تفقد مركزها التجاري هذا منذ أن بدأ الأمن يحتلها ، فبعد عام ٧٩٠ هـ استولى أولاد الكنز عليها وأفسدوا فيها فسادا كبيرا ، وكانت لهم مع ولاية أسوان عدة حروب ، إلى أن كانت الأزمة الاقتصادية الشديدة التي ألمت بمصر عام ٨٠٦ هـ والتي خرب في خلالها صعيدها ، فكان من نتيجة ذلك أن عجز سلاطين المماليك عن ضبط أحوالها ، ولم يبق السلطان وال فيها ، فاضمحل حالها لعدة سنوات ، ثم زاد من تدهور أمرها أن قبائل حوارة زحفت إليها عام ٨١٥ هـ ، وحاربت أولاد الكنز بها وهرمتهم ، وقلعت كثيرا من أهل أسوان وهدمت أسوارها ، ثم عادت وقد تركها خرابا يبابا<sup>(١)</sup>.

المراكز التجارية التي ذكرناها كانت ترتبط مع بعضها البعض بشبكة من المواصلات البرية أو النهرية أو بهما معا ، فالقاهرة كانت تتصل بالاسكندرية بواسطة النيل والرحل المتفرعة منه<sup>(٢)</sup> . كما كانت تتصل بها اتصالا بريّا في نفس الوقت .

والطرق البرية التي كانت تربط القاهرة والفسطاط بالاسكندرية أهمها طريقان : أحدهما يعرف بطريق الوسطى ، وكان يمتد من القاهرة إلى قليوب

---

(١) القزويني : المرجع السابق ج ١ ص ١٩٧

(٢) الرحلة النهرية بين القاهرة والاسكندرية كانت تستغرق حوالي ستة أيام .  
فيث : للمواصلات في مصر في العصور الوسطى ص ٢٥



لنوف لحظة مرحوم ثم منها إلى التحريرية فالاسكندرية . لكن لما كان من الصعب  
سلوك هذا الطريق زمن الفيضان ، لذلك فقد كان هناك طريق ثان يستعمل في  
هذه الفترة ، يبدأ من الجزيرة ثم يمتد محاذيا للنيل غرب فرع رشيد ، مارا بدة قري  
ومدن مثل وردان والطراة قراوية مبارك فدمتور الوحش ، فلقين  
فالاسكندرية (١) .

وبالاحاطة إلى مدين الطريقين فقد كان هناك طريق ثالث إتحاف يصل القاهرة  
بالاسكندرية عن طريق رشيد ، وهذا الطريق بعضه نهري وبعضه الآخر برى  
يفترق وسط الدلتا مارا بنوف وعلة مرد وسخا وشبركية وسنهور واسترو  
والبرلس وأخيرا ثم رشيد ، أو عن طريق النيل عبر فرع رشيد .

ومن رشيد كانت الرحلة تتألف برا بجذاه الساحل الشمالى إلى أبي قير فادكو  
فالاسكندرية (٢) .

أما المواصلات بين القاهرة ودمياط فكان بعضها نيل بواسطة السفن عن  
طريق فرع دمياط ، وبعضها الآخر برى عبر طريق يمتد من القاهرة إلى سرايا قوش  
فيهر البيضا فلبليس فالسيدي فاشمون الزمان فدمياط (٣) . وكذلك عبر طريق  
برى آخر شيده السلطان بيبرس الجاشنكير عام ٧٠٨ هـ وجعله يمتد من قليوب إلى  
دمياط ، فأصبح عندما قطع المسافة من قليوب إلى دمياط يستغرق يومين اثنين  
تقطع . وقد تميز هذا الطريق بأنه كان مقسما إلى القدر الذى يسمح لسته خيول

(١) المعرى : التعريب بالمصطلح الشريف ص ١٨٩ .

(٢) القريوى : المرجع السابق ص ١٠٠ ص ١٦٣ .

(٣) المعرى : التعريب بالمصطلح الشريف ص ١٨٩ .

بالسير عليه بموارد بعضها البعض، وقد بلغ عرضه في أعلاه أربع قصبات، وست قصبات في أسفله . كما تميز هذا الطريق أيضا بالارتفاع كالجسر فأصبح في الإمكان استخدامه على مدار العام كله حتى في أوقات الفيضان التي يتعذر في خلالها استخدام الطرق البرية الأخرى (١) .

أما المواصلات بين القاهرة وأسوان فكانت تتم إما عن طريق النيل ، أو بواسطة طريق برى طويل يمتد بمحذا النيل . ويبدو أن هذا الطريق كان عامرا آمنا حتى أواخر العهد المماليكي البحري خصوصا في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بدرجة أن المسافرين من القاهرة إلى أسوان من طريقه كان لا يحتاج لنفقة . على حد قول المقرئى- إذ كان يحد بكل بلدة من البلاد التي يمر بها حدة دور الضيافة تمده بالمأكول الذى يلزمه وبالطريق الذى يلزمه دابته (٢) .

أما الطريق بين القاهرة وحدود الشام فكان يمتد شرق الدلتا إلى سرياقوس . فبئر البيضاء فلبليس ثم السعيدية فالخطارة ثم الساحلية ، ثم بئر غزى فالقصر فقبة فالقراي فقطيا (٣) فالعريش (٤) .

---

(١) المقرئى : المواعظ ج ٢ ص ١٧٠ - والواقع أن الغرض الاصل لإشلاء هذا الطريق كان غرضا عسكريا ، فقد علم بيبرس الجاشنكير أن ملك قبرص قد اتفق مع بعض ملوك الفرنج على غزو دمياط ، فدارع بتشديد هذا الطريق بالمواصفات التي ذكرناها ليضمن وصول الامدادات العسكرية إليها في أسرع وقت ، وفي أى وقت من أوقات السنة . المقرئى: نفس المرجع والجزء والصفحة

(٢) المقرئى : نفس المرجع ص ١٠ ص ١٩٠

(٣) كانت فعليا مركزا رئيسيا لجباية الزكاة من التجار المسلمين المارين من =

أما قوس وهذاب فكان يمتد بينهما طريقان عبر الصحراء الشرقية ، أحدهما قصير يمر به بطريق العبدى ، والآخر أطول ويمتد إلى مادون قنا (١) .

---

القام إلى مصر وبالعكس ، ولم يكن يسمح لأحد من التجار أو المسافرين من الدخول إلى القام أو إلى مصر إلا بتصريح رسمى . السبوطى : حسن الحاضرة  
٢٤ ص ٣١ .

(٢) المبرى : التعريف ص ١٨٨

(١) نسخة ابن حبيب ص ٣٩



## النظام المالي



يضمين النظام المال للدولة المالية خصائص ولواحد مينة روى فيها  
بالدرجة الأولى خدمة الطبقة السكينة العامة .

ولم يكن غريبا أن يحدث ذلك بالنظام المالي كله كان يتم احتدادا رئيسيا  
في كيانه ووجوده على هذه الطبقة ، لذلك فقد خصتهم الدولة بمخصصات جديدة  
في أراضيها وفي مواردها المالية ، ونجتها لهم كإعطائهم ، فأصبح هذه الطبقة  
تشارك الدولة في جزء كبير من مواردها .

وبالإضافة إلى ذلك فقد استغل سلاطين الممالك السلطات الضمنية التي كانوا  
يتمتعون بها لكي يحتقروا أطرافهم ويحكمهم ، فخصوا أنفسهم بأكثر الأنعامات  
وأحسنها وأكثرها دخلا . كما أنهم استغلوا سلطاتهم أيضا لإدخال ما يروونه من  
تبدلات بين وقت وآخر على النظام المال بما يحقق لهم هذه الأنعام .

ولم يكف بعض السلاطين بذلك فزادوا جشعهم بلجونا من  
الوزير الكثير من سلطاته المالية ويمحقون هذه السلطات لكبار رجال ساشيتهم  
كالاستادار وناظر الخاوص ، فأصبح هؤلاء يسيطرون هيمنة تامة على خزينة الدولة ،  
وأصبح الوزير كأحد أربابهم .

ويمكننا أن نحقق ما قلناه من خلال الدراسة التي تقدمها فيما يلي من ملأ  
النظام بمزاياه المختلفة متبعة في الجهاز المالي ، وموارد الدولة وفتحاتها ،  
ونظام الأنعام .

## أولا : الجهاز المالي

يتكون هذا الجهاز من دواوين الدولة المالية التي يطلق عليها في مجموعها اسم الدواوين السلطانية ، وأيضا من موظفي الدولة المختصين بالشئون المالية ، والمترفين على هذه الدواوين ، وكذلك العاملين فيها وعلى رأسهم الوزير ومساعدوه .

### الوزير :

هو أجل الموظفين وأرفعهم رتبة ، وهو الثاني بعد السلطان قبل استحداث منصب نائب السلطنة ، فلما استحدث منصب نائب السلطنة في العهد الايروي بدأت سلطة الوزير في التناقص ، وأصبح اختصاصه محصورا في الشئون المالية للدولة .

ويعرفنا ابن خلدون باختصاصات الوزير المالية فيقول أنه « صاحب جباية الأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكر أو جزية ، ثم في تصرفها في الإنفاقات السلطانية أو الجرايات المقررة .. ومن عوائدهم أن يكون هذا الوزير من صف القبط القائمين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في عصر منذ عصور قديمة ، وقد يوليها السلطان بعض الأحيان لأهل الفسوك من رجالات الترك (١) » .

أي أن بعض وزراء العهد المملوكي - كما يقول ابن خلدون - كانوا من أصحاب القلم خصوصا الأقباط منهم لخبرتهم القديمة المتوارثة في الشئون المالية ، كما أن البعض الآخر منهم كانوا من رجال السيف . ولقد حرص السلطان الظاهر



يبرس على اختيار وزرائه من أرباب الأقاليم والسيوف<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الوزير من أرباب الأقاليم أطلق عليه اسم « صاحب »<sup>(٢)</sup> ، ثم أضيف إلى لقبه هذا لقب « الوزير » ، فأصبح يطلق عليه « صاحب الوزير »<sup>(٣)</sup>. ووزير الصحة وزير متقل يرافق السلطان في أسفاره وحروبه ويصرف شئون الوزارة خلال ذلك .

أما إذا كان الوزير من أرباب السيف فيكتنح عندئذ بلقبه بلقب الوزير دون لقب صاحب ، وهو بهذا الاعتبار الوزير الأصلي الذي يجلس السلطان<sup>(٤)</sup> .

أما من حيث الاختصاصات ، فالوزير من أرباب القلم كان يباشر سلطات وظيفته كلها نظراً وتنفيذاً وحساباً على الأموال ، أما إذا كان من أرباب السيف فإن مباشرته لوظيفته تقتصر فقط على النظر والتنفيذ ، وفي هذه الحالة تترك الاختصاصات الحساية لوظيفته إلى مساعده يعملو باسم ناظر الدولة<sup>(٥)</sup> .

(١) عن أرباب الأقاليم والسيوف راجع Van Berchem : *Corpus*, Egypte I, P. 243.

*Ibid* , pp 403 - 404

(٢)

(٣) أول من لقب بهذا القب هو أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن جاد بن العباس الطالقاني ، وكان نادرة العمر وأعرجية الصر في فضائله ومكارمه ، وكان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل عنه صاحب بن العميد ، ثم أطلق عليه هذا القب لما تولى الوزارة ، ثم لقب به كل من تولى الوزارة بعده . ابن شامين : زبدة كفف المالك ص ٩٥

(٤) حسن إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ الممالك البحرية ص ٢٥٩

(٥) التفتشندى : صبح الاحسن ص ٤١

وناظر الدولة بحسب أحيانا ناظر النظار، وأحيانا أخرى ناظر المال، ورتبته  
تلقى رتبة الوزير ، فإذا غاب الوزير أو تعطلت الوزارة قام ناظر الدولة  
باختصاصاته .

ويماون ناظر الدولة بمجموعة من موظفي المال منهم شاد الدواوين الذي يختص  
بتحصيل الاموال وصرفها في النفقات والكلف - وكذلك مستوفي الصعبة الذي  
يرأس مجموعة من المستوفين (١) مهمتهم ضبط كافة كليات وجزيئات الشئون المالية.

واختصاص مستوفي الصعبة يشمل معمر والشام ، فيكتب مراسيم يوقع  
السلطان عليها بعضها بما يعمل في البلاد، وبعضها الآخر بالمنح والهبات التي تعرف  
بالإطلاقات ، وبعضها الثالث باستخدام كسب في صفار الاعمال (٢) . ومن  
اختصاصات مستوفي الصعبة أيضا الإشراف على موظفي الخراج الذين يقومون  
بمسح الاراضي الزراعية وتقدير ما عليها من خراج (٣) .

ومن أبرز وظائف الاستيفاء التابعة لمستوفي الصعبة وظيفة استيفاء الدولة ،  
وهل صاحب هذه الوظيفة أن يعرف أصول الاموال ووجوه صرفها . وعادة  
يكون في هذه الوظيفة مستوفيان فأكثر (٤) .

وفي الفترات التي كانت تتمثل فيها وظيفة الوزارة كانت تضاف اختصاصات  
الوزير إلى مجموعة من كبار الموظفين ، ومن أمثلة ذلك أنه لما أبتل السلطان

- (١) المستوفي هو الذي يضبط الديوان ويليه على ما فيه مصلحته من استخراج  
أمواله ونحو ذلك . نفس المرجع ج ٥ ص ٤٦٦  
(٢) المقرري : الملاحظ ج ٢ ص ٢٢٤  
(٣) المعري : التعريف ص ١١٥  
(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٩

الناصر محمد بن قلاوون منصب الوزارة في عهده وزعمت اختصاصات الوزير على ثلاثة هم : ناظر المال ويقبه شاد الدراوين لتحصيل المال وحرف النفقات - وناظر الخاص (١) لتدبير أمور العامة وتدبير المباشرين - وكاتب السر (٢) لتوقيع في دار العدل فيما كان يوقع فيه الوزير من قبل .

---

(١) وظيفة ناظر الخاص أحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة ، وصاحب هذه الوظيفة يختص بكل ما هو خاص بحال السلطان ، ولذلك أصبح ناظر الخاص بالنسبة للسلطان كالوزير لقربه منه .

ولهذا الناظر أتباع يعملون في ديوان الخاص منهم مستوفى الخاص وناظر خزنة الخاص كما أنه من أتباعه أيضا ناظر ثغر الاسكندرية وناظر موارد الخاص وناظر تجار الكارم . القلقشندي : صبح الأعشى ٣ ، ص ٣٠ - الخالدي : المقصد ١ ص ١٣٦

(٢) وظيفة كاتب السر من أكبر وظائف ديوان الإنشاء ، ومن أعظم الوظائف الديوانية وأجلها قدرا . القلقشندي : صبح الأعشى ٣ ص ١٠١ - الخالدي : المقصد ص ١٢

وكاتب السر هو أول من يدخل على السلطان وآخر من يخرج من حضرته من كبار موظفي الدولة ، ولا يستغنى السلطان عن مشورته والإفضاء إليه بأسراره في كل آن ، ولا يثق في أحد من الموظفين فثقة به . حسن إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المالك البحرية ص ٢٧٢

وكاتب السر يوقع على الرقاع والقصاصات والشكايات ، ويشترك في الفصل في بعض المظالم ، ويقرأ الكتب الواردة على السلطان من مصر وغيرها ، ويذيل هذه الرسائل بتوقيعه ، ويجلس في مجلس السلطنة أثناء نظر السلطان في شئون الدولة ، ويتولى الفصل في شئون القضاة والعمال .

ويمكن أن نعتبر عهد السلطان الظاهر برفوق كمهدٍ بداية لتقلص سلطات الوزير المالية وذلك بسبب الديوان المفرد الذي أتمناه النفقة على ماليه ، فقد أقطع السلطان برفوق لهذا الديوان كثيراً من أعمال الديار المصرية وبلادها ، وأسند لا تاداره (١) الإشراف عليه وبذلك عظم شأن الاستادار بينما ضعف أمر الوزير ، وأصبح للاستادار النظر في أغلب اختصاصات الوزير وماظر الخاص ، فصارا يترددان على باب ، ويصرقان الأمور برأيه ، فانحطت رتبة الوزارة بما لذلك إلا في الحالات التي كان فيها الوزير يجمع بين وظيفة الوزارة ووظيفة استادارية السلطان .

وأصبح الوزير وكأنه كاتب كبير يتردد ليلًا ونهارًا على باب الاستادار وينصرف بأمره ونهيه ، وتضاءلت سلطاته المالية (٢) خصوصًا بعد أن انتقلت البلاد والأراضي التي تتبع ديوان الوزارة حتى لم يبق منها إلا بعض بلاد

---

= Demombyaes : La Syrie. p. LXIX

— المقرئى : المواقف ٢ ص ٢٢٥

ويقوم كاتب السر بالرد على الكتب الواردة إلى ديوان الإنشاء بعد أن يلقى توجيهات السلطان في هذا الشأن . القلقشندي : صبح الأعشى ١٦ ص ١١٢

(١) يختص الاستادار أو الاستدار بالإشراف على القصور والبيوت السلطانية ، وتكتفي احتياجاتها واحتياجات من فيها من النفقات والكسوى . ولقب الاستدار يتكون من لفظين فارسيين أولهما استد ومعناه الأخذ ، وثانيهما دار ومعناه المسك ، أى أنه المتولى لأخذ المال وإمساكه ، ثم أُدغمت الذال وهي المعجمة في الثانية وهي المهمة فصار استدار . القلقشندي : صبح الأعشى ١٦ ص ٤٥٧ .

(٢) المقرئى : المواقف ٢ ص ٢٢٢ .

## الوجه القيل (١).

وأخيراً أصبحت إختصاصات الوزارة موزعة على أربعة م : كاتب السر ، الأستاذار ، وناظر الخاص ، والوزير . فأخذ كاتب السر التوقيع على التخصيص بالولايات والممول ونحو ذلك في دار العدل وفي داره . وأخذ الأستاذار التصرف في نواحي أرض مصر والإشراف على الدواوين السلطانية ، كما أصبح من إختصاصه الإشراف على كتّاف الأقاليم وولاية النواحي ، والإشراف على كثير من أرباب الوظائف . وأخذ ناظر الخاص جانباً كبيراً من الأموال الديوانية السلطانية لينفقها في أوجه الإنفاق الخاصة بالخرافة السلطانية . أما الوزير فقد بقي من إختصاصه شيء يسير جداً ، ولم يبق له إلا النظر في بعض المكوس ، وبعض الدواوين السلطانية ونفقات المطبخ السلطاني (٢) .

وفي الفترة التي كان فيها الوزير يتمتع بسلطاته المالية كاملة ، كان ديوان النظر التابع له من أرفع دواوين المال ، إذ فيه ثبتت التوقعات والمراسم السلطانية ، وكل ديوان من دواوين المال فرع منه ، وإليه يرفع حساباته ، وإليه يرجع الاستياد الذي يشمل على أوزاق ورواتب ذوي الأقاليم وغيرهم سواء كانت هذه الأوزاق مياومة أو مشاهرة أو مساهمة (٣) .

(١) التفتشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٢) المقرئى : المواقف ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٣) نفس المرجع والجزء والصيغة . لكن في الفترة التي زاد فيها نفوذ ناظر الخاص ، زادت إختصاصاته المالية وأصبح الديوان التابع له ، وهو ديوان الخاص السلطاني من أم دواوين المال وأجلها وأعظمها ، واحتل بذلك مركز الأهمية الذي كان لديوان النظر ، وخصصت لهذا الديوان موارد مالية عديدة تنبهي من جهات عديدة .

وفي تلك الفترة أيضا كانت وظيفة نظير بيت المال وظيفة جليلة لما اختارها، فتوليا كل واحد منهما بالأموال التي تحصل إلى بيت المال بالقلبة سواء من مصر أو الشام، كما كان يخص أيضا بمصر ما يخص مصرفه منها، وكان يجاوزه في عمله هذا شهرد<sup>(١)</sup> بيت المال، وصهرق<sup>(٢)</sup> بيت المال، وكانها المال.

وكان فاضل بيت المال في تلك الفترة آخر وهي سلطة خاصة وذلك لكثرة الأموال التي كانت تحصل إلى خزانة هذا البيت أو التي تخرج منها في أرجاء المنطقة المختلفة، وقد بلغت هذه الأموال في بعض السنين ٤٠ ألف دينار، ولذلك كان لا يلي بيت المال إلا من هو موقوف في كفاءته وثباته<sup>(٣)</sup>.

غير أن هذه الوظيفة لم تلبس في الأخرى لأن إحصاء مقدارها وإنخفضت أهميتها بما لإحصاء وظيفة الوزارة، خصوصاً منذ أن عهد إلى ناظر الخاص السلطان الكثير من اختصاصات الوزير المالية.

وعلى الرغم من أن خزانة بيت المال كانت تسمن وتكث - أي في فترة إحصاء الوزارة - باسم الخزانة الكبرى، إلا أن هذا الاسم كان أكبر من شأنها، فالخزانة في ذاك الوقت أصبحت مجرد عون لتطلع التي يطلع بها السلطان، وأصبح المال قليل الذي يأتيها بمصرف أول بأول قلته، وصار ينظر الخزانة منظاراً إلى ناظر

(١) الشاهد من الذي يشهد بممتلكات الديوان فيما وإبانات: التفتيشي: صبح الأعيان، ص ٤٦٦.

(٢) العهد من الذي يتولى قبض المال وصرفه، وكان يقال له فيما مضى الجيد. نفس المرجع والمجلد والمصنف.

(٣) القريشي: المواظ ٢٠ ص ٢٢٤.

المخاض ، ويخرج أنه قبل ذلك كان لا يلى نظرها إلا التفتاده فقط ومن يلحق بهم .  
وما يرجح مقر التزانية تماماً بقلة الجبل إلى أن حوله الأمير منطاش مقرها  
هذا إلى سجن المالك السلطان الظاهر برقوق عام ٥٧٩ هـ ، وذلك بعد أن نجح  
هذا الأمير في الانقلاب الذى قاده ضد هذا السلطان . وعند هذا التاريخ ثلاثى  
أمر التزانية ونفى أمرها - كما يقول القرطوبى - وصارت الخلع التى يطلع بها  
السلطان لخدمة عند ناظر المخاض في قاره (١) .

لكن في خلال العهد المائيكى المركسى استند أمر الخزانة إلى ثلاثة من  
الحزب تداريق (٢) .

الأول ، خز تدار الصف : وهو يختص بخزانة القماش المرزكش والذهب ،  
والحرير ، والأشياء النفيسة والسروج الذهب ، وأصناف الورق (٣) ، وله أن  
يفترى ما يحتاج السلطان إليه من هذه الأصناف من مال السلطان أو أن يعطى  
ناظر المخاض ليقوم هذا بتوفير الصف الذى يطلبه السلطان منها .

الثاني ، خز تدار العين : وهو يختص بخزانة المال ، فيقبض ما يرد إليها من  
المال ، ويصرف ما يؤذن له بصرفه منه ، وربما يكلف أيضاً بالاحتفاظ في خزائنه  
بالمجوهرات ونصوص البيروايت وغيرها .

(١) نفس المرجع والمجزم ص ٢٢٧ .

(٢) كلمة خز تدار مكونة من لفظين : خزائنة ، ودار ، فنحذف الألف  
والهاء لتختف ، وخز تدار متعلما بمسك التزانية . النهاية : المقصد ج ص ١٢٧ .

(٣) أى أصناف المنسوجات والملاهي والخيوط طائف الزين كالقراء ونسجه .

وهذا الخردار رفيق ناظر لضبط هذا العمل ، ولشراء ما يحتاج إليه  
السلطان والشيء المثلث أن خردار العين هذا كان يمين من قلة الخدم ، لأن  
المال ركبت كان يحفظ به في قاعات الحرم .

وفي بعض الأحيان كان يوكل إلى شخص واحد القيام بعمل كل من خردار  
الصف وخردار العين .

الثالث ، خردار الكبير : وهو من يحمل كيس المال في الأوقات الصعبة

منه حل النقراء أثناء ركوب السلطان في هذا اليوم (١) .



## ثانيا : الموارد والتنفقات المالية

### ١ - عموم

يقسم التفتيش الموارد المالية إلى نوعين رئيسيين من المال : مال شرعي ( أى مال يبيع الشرع جباية ) ، ومال غير شرعي ( أى مال لم تلت فيه إباحة من الشرع بجباية ) .

المال الشرعي ينقسم بدوره إلى ستة أنواع هي : المال الخراجي ، والمعادن ، والزكاة ، والجوال ، والمال الذي يبيع من قنطار الفير مسلين الواسلين في البحر إلى الديار المصرية ، والمواريث الحشرية ، والمال المتحصل من دار الضرب بالقاهرة .

المال الغير شرعي يعرف باسم المكوس وينقسم بدوره إلى نوعين رئيسيين : مكوس يبيع لحساب الدواوين السلطانية فقط ، ومكوس أخرى يبيع بعضها لحساب الدواوين السلطانية ويبيع بعضها الآخر لحساب المقطين (١) .

(١) التفتيش : صبح الأعي ٢٣ ص ٤٤٨ - ٤٦٦

أما القرى فقد قسم مال مصر في العهد المائلي إلى قسمين رئيسيين هما المال الخراجي والمال الحلال . وعرف القرى المال الخراجي بأنه المال الذي يبيع مسافة - أى كل سنة - من الأراضي التي تروى جيويا ونحلا وعنا ، وما يؤخذ من القلايين هدية مثل النتم والدجاج والكفكف وغيره من طرف الريف . كما عرف المال الحلال بأنه المال الذي يبيع كل حلال - أى كل شهر عربي - من النور والحواشي والحبابات والأفران والطواحين ومعايد السمك ومعاير الزيت والمرامى وغيرها . القرى : للوائح ١٧ ص ١٠٧ - ١١

المال الخراجي :

## ١ - المال الخراجي

المال الخراجي هو الذي يفرض على أراضي مصر الزراعية ، ويحى من ملاك هذه الأراضي ولأولادها أو من المملوكين المستعفيين بها .

وأرض مصر الزراعية في ذلك الوقت كانت من أقسام (١) - قسم أول كان يتبع الدواوين السلطانية ، أى الدواوين التابعة للسلطان والوزارة - وقسم ثان أطلق للأمرأه والأجناد - وقسم ثالث جعل وقتا محسنا على الجوامع والمدارس والمحاراك وعلى جهات البر وعلى ذراوى وأقنى تلك الأراضي وعقائهم - وقسم رابع كان يقال له الأجناس (٢) - وقسم خامس اشتراه بعض الناس من بيت المال فأصبح للأكا الحق في التصرف فيه بالبيع والتوريث والهبة - وقسم سادس لم يدرج بسبب من الأسباب فكثرت به المحاشن والأعطانية استغل كراخ للوراثى والأقسام .

أما ما زاد على هذه الأقسام التي فكان قرا بسبب عدم وصول مياه النيل إليه (٣) .

(١) المقرئى : الموطأ ج ١ ص ٩٨

(٢) أغلب أراضي الأجناس من التوتج المعروف بالرزق الأجناسية ، وهي أراضي كانت تخمس أى توقف على المساجد والروايا لقيام بمصلحتها وعلى غير ذلك من جهات البر . وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بلغت مساحة هذه الرزق الأجناسية مائة ألف وثلاثين ألف فدان .

المقرئى : الموطأ ج ٢ ص ٢٩٥

(٣) نفس المرجع ١٠ ص ٦٧

وأرض مصر الزراعية التي كان يفرض عليها المال الخراجي كان يطبق عليها  
أحد النظامين لجبايته ، فإما أن يفرض عليها مقدار ثابت معين من المال الخراجي  
لا يؤيد ولا ينقص على ثواب السنين ، أو أن يفرض عليها خراج قابل للزيادة  
والنقصان كل عام حسب مساحة الأرض المزروعة واختلاف الري فيها بالكثرة  
والقلة (١) .

وبصفة عامة كان الجزء الأكبر من خراج الوجه القبلي يهي غللا من قمح  
وشعير وحسن وفول ولحش وجلبان ، وغالبا ما كان يؤخذ من خراج كل فدان  
من الأصناف المذكورة ما بين أردبين إلى ثلاثة بكيل البلد الذي يهي منها الخراج  
أوربما زاد أو نقص عن ذلك . وغالبا أيضا ما كان يهي مع كل أردب من هذه  
الأصناف درهم أو درهمان أو ثلاثة ونحو ذلك بحسب ما كان يفرض على كل بلد  
من بلاده .

فيم أن هذا النظام لم يطبق على كل بلاد الوجه القبلي فخراج البعض منها كان  
يهي مالا فقط ، كما أن خراج الأرض التي تبور ذراعتها وتنحول إلى مراعى  
كان يهي فتاجرة أو يؤخذ عنها المعداد على حسب عرف البلاد (٢) .

أما بلاد الوجه البحري فتالب خراجها كان يهي مالا ، والتليل من خراجها  
كان يهي غللا (٣) .

(١) القلقشندي : صبح الأضي ٣ ص ٤٤٤

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٤٥٠ - والمعداد هو المال الذي يفرضه السلطان  
على قطمان القبائل العربية والتركمانية . المقرئ : السوك ١ ص ٤٨٠ حاشية ٦

(٣) القلقشندي : صبح الأضي ٣ ص ٤٥٤

ولما كانت الأراضي الباقى (١) والبرايب (٢) بالوجهين القبلى والبحرى هى أهل  
الأراضي الزراعية قيمة وأحسنها إنتاجا لذلك كان الخراج الذى يفرض عليها  
أهل خراج . وحتى عام ٧٩٠ هـ كان خراج الفدان الباقى يقدر بحوالى أربعين  
درهما ، وخراج فدان البرايب بحوالى ثلاثين درهما ، ثم استمر خراجها فى الزيادة  
حتى صار يؤخذ بعد عام ٨٠٠ هـ نحو ٤٠٠ درهم فى الفدان الباقى ، بل كان يؤخذ  
أحيانا فى الأرض الطيبة نحو ٦٠٠ درهم (٣) .

وقد كانت هناك إجراءات عديدة تجرى كل عام لتقدير الخراج على الأراضي  
الزراعية ، ولدينا تفاصيل بما كان يتبع فى هذا الشأن بالنسبة للأراضي التابعة  
للاقطاع على وجه الخصوص . وهذه الإجراءات كانت تبدأ بعد أن يشمل النيل  
الأرض بمائة ، فعلى أثرها يقوم مباشر الخراج فى المنطقة بإلزام خولة البلاد بعمل  
ما يسمى بقوانين الري ، فيقوم هؤلاء الخولة ومعهم مشايخ الناحية بحصر عدد  
الفدان التى تشملها الري وعلاها النيل ، والفدان الأخرى الشراقي التى لم يشملها الري ،  
ثم يشتركون هذه البيانات فى محضر يطلق عليه قانون الري .

بعد تجهيز هذا القانون يقوم مباشر الخراج بعمل تقدير مبدئى للخراج على

- 
- (١) الباقى هى الأرض التى زرعت بالقرط والقول فأصبحت تصلح لزراعة  
القمح فى العام التالى . المقرئى : المواعظ ج ١ ص ١٠٠
- (٢) البرايب هى الأرض التى زرعت بالقمح والشعير فضعت ، فيزرع بها  
القرط والقطن فى العام التالى لتستريح ولتصبح باقا فى العام الذى يتلوه وتصبح  
صالحة مرة أخرى لزراعة القمح . نفس المرجع والجريدة الصفحة .
- (٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٠٠

هذه الأراضي مهتدياً في ذلك بخراج سنة يامل يملها نيل تلك السنة . وهذا العمل يعرف باسم التحضير .

وعلى أثرها تصرف التقاوى لفلاحى هذه الأرض من أطيب الغلال وأفضلها وثبتت هذه البيانات كلها بسجلات تعرف بسجلات التحضير أو أوراق المسجل ، متضمنة اسم كل فلاح والأرض التى يقوم بزراعتها ومساحتها ووجهتها ، ومقدار التقاوى التى صرفت له ، ومقدار الخراج المبدئ الذى قدر عليه ، وتحفظ نسخة من هذه السجلات بديوان صاحب الإقطاع (١) .

وإذا ثبت الزرع واستوى على سوله يخرج مباشرون من ديوان صاحب الإقطاع لمسح الأرض المزروعة فعلاً بكل قبالة (٢) ، وتعيين أصناف المزروعات بها ، راسم متقبلها ، وثبتت البيانات الخاصة بكل قبالة في أوراق تسمى القنطاق ، ثم تجمع البيانات من كل القبائل الزراعية الداخلة في نطاق الإقطاع في أوراق تسمى تأريخ القبائل ، كما تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمى تأريخ الاسماء ، ثم تعمل مقابلة بين هذه البيانات والبيانات السابق تسجيلها بسجلات التحضير فإذا ثبت أن هناك زيادة في مساحة الأرض التى تم زرعها فعلاً فخرى التعديلات اللازمة وتضاف هذه الزيادة تحت اسم متقبل هذه الأرض . وعلى ضوء هذه التعديلات يتم تحديد مقدار الخراج المطلوب من هذا المزارع بصفة نهائية .

(١) نفس المراجع والمجزء ص ٤٥٤ - التوسيرى : نهاية الأرب ٨٣

ص ٢٤٧ - ٢٤٩

(٢) القبالة هى الأرض التى يتقبل أحد المزارعين مسئولية دفع خراجها

نظير تسليمها له لزراعتها ولتضع بمحصولها . المقيرى : المواط ١٣ ص ٨٢

وتجس هذه البيانات النهائية في أوراق تسمى المكلفة ، ويوقع عليها شهود ،  
وتحدد مناشخ لديوان صاحب الإقطاع ، ليقوم هذا الديوان بتحويل الخراج  
المثبت بها (١) .

لكن بالإضافة إلى ما ذكرناه فبعض مزارعي البساتين والتخيل بالإقطاعات  
كانوا يتفقون مع ديوان المقطع على تأديته خراج محدد ثابت في كل سنة عن فدان  
مصينة ، ويلتزمون بهذا الخراج سواء رويت الأرض أو شرفت ، وفي مقابل  
ذلك لا يطالبهم ديوان المقطع إلا بالخراج المتفق عليه فقط . وهذا النوع من  
الخراج يعرف باسم الخراج الزائب ويستأديه ديوان المقطع من هؤلاء المزارعين  
على أنساط في زمن الثمار والاعتاب والفواكه .

ومن شروط هذا النوع من الخراج أنه كان يستأدى عن مو مقرر عليه  
سواء زرع أرضه أو تملك من الزراعة ، كما أنه لا يعطى برفقة المزارع الملتزم  
بتأديته ، بل ينتقل إلى ورثة فيطالبهم الديوان به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا ،  
ولا يوضع عنهم إلا في حالة واحدة فقط وهي إذا ابتلع البحر الأرض المقرر  
عليها هذا الخراج ، على أن يشهد ذلك في محضر رسمي (٢) .

## ٢ - المصادن :

بعض المصادن التي كانت تستخرج من أرض مصر في العهد المملوكي كانت  
تتحقق دخلا مجزيا لحكومة الدولة ، ولذكر منها الشعب ، والنظرون ، الزمرد .  
أما الشعب فكان الطلب عليه كبيرا من الروم خاصة الإيطاليين الذين كانوا

(١) التافهيندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٠٤

(٢) التبريزي : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٤

يستغلونه في صناعاتهم وتجاراتهم (١). كما أن البوديين والصباغين في مصر كانوا يستخدمونه في الصباغة بالون الأحمر. وكان الشب يستخرج وقتئذ من عدة أماكن بالعصيد وبالصحراء الغربية عامة بالقرب من أسوان ومن الواحات، فتحمله العربان من إخميم وأسوان والبهنسا حتى إذا كان وقت الفيضان ينقل بالمراكب عن طريق النيل إلى الاسكندرية، فيقوم الديوان السلطاني بشرائه بالقطار الذي ثم يبيعه بالقطار الجوى، كما كان يبيعه بكيمات كبيرة ليحقق ربحا كبيرا. وبلغ ما كان يباع منه للروم بالاسكندرية ١٢ ألف قطار جوى بمصر يتراوح بين ٤ و ٦ دنابر القططار الواحد. كما كان يباع منه البوديين والصباغين بمصر نحو ٨٠ قطارا بمصر ٦ دنابر القططار.

واحتكرت الدولة الشب احتكارا كاملا وحرمت على أحد أن يشتريه من العربان أو من غيرهم، وإذا عرف عن أحد أنه اشترى أو باع منه سودرت الكيمات التي اشتراها أو باعها (٢).

لكن يبدو أن هذا المعدن أخذ يفقد دوره كأحد مصادر الدخل للدولة تدريجيا، حتى إذا كان النصف الأول من القرن التاسع الهجري توقف هذا الدور تماما (٣). وليس لدينا تحليل واضح لذلك، لكن ربما يرجع ذلك إلى تدهور أحوال مصر واضطراب أمورها خلال الأزمة الاقتصادية التي اجتاحتها عام ٨٠٦ هـ، فأصبح

(١) Heyd : Histoire du Commerce, pp. 569—570.

(٢) المقرئى : المواظ ١ ص ١٠٩ - القلقشندي : صبح الأعشى ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٤٥٥ - ابن عماد : قرابين الدراوين ص ٢٢ .

(٣) المقرئى : نفس المرجع والمجوز والصفا - القلقشندي : نفس المرجع والمجوز ص ٤٥٥ .

من المتندر جلبه بانتظام من مصادر إستخراجه بالصيد والصحراء ، أو ربما قلت الكميات المستخرجة منه إلى حد جعل الحكومة توقف إعتادها عليه كصدر من مصادر دخلها .

أما النطرون فكان يستخرج من مكانين رئيسيين : أولهما بركة النطرون بعمل البحيرة التي كانت تقدر مساحتها بمائة فدان ، وتتل من النطرون بما ثمنه نحو مائة ألف دينار - وثانيهما القافوسية بالقرب من الخطارة بالشرقية ، والنطرون المستخرج منها كان يعرف باسم الخطاري ، غير أنه لم يكن في جودة المستخرج من بركة النطرون ، كما أنه لم يكن يحقق عائدا مجزيا مثله (١) .

ورغم أن ثمن القنطار من النطرون كان لا يتجاوز ٧٠ درهما في العهد الايوبي ، إلا أن هذا الثمن زاد إلى حد كبير في العهد المماليكي بسبب احتكار الديوان السلطاني له فبلغ ثمن القنطار منه نحو ٢٠٠ درهم ، وسار إيراد النطرون غصصا بحملته في عهد السلطان الظاهر برقوق للديوان المفرد الذي أنشأ للاتفاق على ماليكه ، وكلف برقوق استاداره بمباشرة شئون النطرون ، فخصص للنطرون شون بالقاهرة والاسكندرية لتخزينه وبيعه بها ، وخصص له مباشرون يتولون أمره (٢) .

أما الزمرد فكان يستخرج من مغارة جبلية طويلة بالصعيد على بعد ثمانية أيام من قوص فكان اسمه الحربة ، واستخرجت منه أنواع عديدة أفضلها النوع

---

(١) القلقشندي : نفس المرجع والجزء ص ٢٨٢ ، ٢٨٤ - المقرئى : نفس المرجع والجزء والمضفة .

(٢) القلقشندي : نفس المرجع والجزء ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .



الذى كان يعرف باسم الذباني (١) . لكن في أواخر عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قل الاعتماد على هذا المعدن كمصدر من مصادر الدخل للدولة ، وذلك لقلة الكميات المستخرجة منه مع كثرة تكاليفها (٢) . ثم لما كان عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون توقف استخراجها تماما (٣) .

### ٣ - الزكاة :

المفروض - كما هو مقرر في كتب الفقه - أن من وجبت عليه الزكاة كان خيرا بين أن يدفعها إلى الإمام أو نائبه ، وبين أن يفرقها بنفسه . ولكن يبدو أن من وجبت عليهم الزكاة أمموا في أديانها ، فأضطرت الدولة منذ عهد صلاح الدين الأيوبي أن تباشر أمر جبايتها بنفسها وبمقرتها ، فأصبح صلاح الدين الأيوبي - كما يقول المقرئ - 'أول من جباها بمصر' ، وأنشأ لها ديوانا يختص بأمرها (٤) . واستمر هذا الإجراء معمولاً به حتى أوائل العهد المملوكي .

وفي أوائل هذا العهد كانت الزكاة تجب بطريقة تصفية مستبدة حتى أصبحت تؤخذ من الرجل من زكاة ماله أبدا ولو عدم منه ، وإذا مات يؤخذ من ورثته (٥) . وأصبحت الزكاة تسمى زكاة الدولة ، غير أن الملك المنصور قلاوون أبطلها في عهده (٦) ، وتركت الحرية لمن تهب عليهم الزكاة بأن يفرقوها بأنفسهم ، ولم يبق من الزكاة إلا نوعين منها فقط ظلت الدولة تجميعها بمقرتها وهما :

(١) نفس المرجع والجزء ص ٢٨٢ ، ٢٠٥ .

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٤٥٥ .

(٣) المقرئ : الواضع ١ ص ٢٣٢ .

(٤) نفس المرجع ٢ ص ١٠٨ .

(٥) نفس المرجع ١ ص ١٠٦ .

(٦) نفس المرجع والجزء والصيغة .

(١) زكاة تجبى من الذهب والقضة الذى يحمله التجار المسلمون القادمون إلى مصر من الخارج بواقع خمسة دراهم على كل مائتى درهم ، وإذا اشترى التاجر بها شيئاً وخرج به ثم عاد قبل إقضاء سنة بظهير المبلغ الأول فمعتدلاً لا يؤخذ منه ثمنه ، أما إذا تجاوز السنة ففي هذه الحالة تجبى الزكاة مرة أخرى عن هذا المال بنفس النسبة .

إلا أن الحكومة عادت فانقضت المدة الزمنية وجعلتها عشرة أشهر فقط بدلاً من سنة ، كما أنه إذا زادت مرات خروج وعودة التاجر بظهير المبلغ الأول خلال هذه المدة عن أربع مرات ، ففي هذه الحالة تجبى منه الزكاة عن هذا المال مرة ثانية وتحتسب له مدة جديدة (٢) .

(ب) زكاة تفرض على متاجر تجار الكرم الموجودة بداخل البلد إذا حال عليها الحول (٣) .

ورغم أن بعض سلاطين الممالك حاول جباية الزكاة من التجار الآخرين من غير الكرم إلا أن محاولتهم تلك كانت تقابل دائماً بالمعارضة الشديدة من القضاة ورجال الدين ، ونذكر من أمثلة ذلك السلطان الظاهر برفوق الذى قام بجباية الزكاة من التجار عام ٧٨٩ هـ ، ثم لم يلبث أن أعاد إليهم ما جباها منهم بسبب المعارضة الشديدة التى أبداهها القضاة ورجال الدين وعلى رأسهم القاضى ناصر الدين محمد الشير بآبن الميلىق ، فهذا القاضى رفض أن يتولى منصب قضاة الشافعية بالديار المصرية الذى فرضه عليه السلطان إلا بشروط اشتراطها ووافق عليها السلطان ، وكان من بينها أن لا تؤخذ الزكاة من التجار وأن يعاد إليهم

(١) القلقشندى : صبح الأحرى ٣٨ ص ١٥٧ .

(٢) نفس المرجع والجزء والعنقة .

ما يجبي منهم (١) .

وبالإضافة إلى مدين التبرع من الزكاة ، فقد فرضت الدولة على أهل بركة الذين يقدمون إلى جبل البجيرة لرعي أغنامهم وإبلهم نوعاً من الزكاة اسمه العداد ، وقالوا بما أعطيت هذه الزكاة لبعض الأمراء ، فكان رجالهم يقومون بمبايعتهم لحاجهم (٢) .

٤ - الجوال :

الجوال مال يؤخذ من أهل الذمة عن الحرية المقررة على رعايهم كل سنة (٣) . والجوال التي تسمى بالقاهرة قصص الديوان السلطاني وتضاف لإيراداته ، ويولى لجبايتها ناظر من قبل السلطان ويساعده مساعدان يعرف كل واحد منهما باسم الحاشر ، حاشر لليهود وحاشر للنصارى ، وكل حاشر منهما يكون مسئولاً عن

(١) ابن قاضي شبه : الاطلام بتاريخ أهل الإسلام لرحلة ٢٤ .

(٢) القلشندي : صبح الأعشى ٢٦ ص ٤٥٨ .

والعداد هو المال الذي يجبي كأجر عن رعي ما شئته في المراعي التابعة للدولة أو المراعي التابعة لأصحاب الاقطاع ، لذلك أطلق على هذا المال اسم المراعي أيضاً وكانت العادة المتبعة عند جباية العداد أو المراعي أن يتدب مشد وشهود وكاتب فيعدون المرائي التي رعى ثم يجبرون من أصحابها مبلغ معين عن كل رأس منها . المقرري : المواظ ٦ ص ١٠٧ .

(٣) الجالية في اللغة القرباء الذين أجلوا عن أوطانهم ، والواحد جال . والجالية أيضاً أهل الذمة ، قيل لهم ذلك لأن الخليفة عمر بن الخطاب أجلاهم عن شبه الجزيرة ، ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة والمجوس وإن لم يجلوا عن أوطانهم . والمامة تطلق الجالية على نفس الجزية ، والجمع جوال . محيط المحيط .

معرفة أصحاب الاسماء المسجلة في الديوان ، تجب عليهم الجزية من أهل الذمة الداخلين في نطاق اختصاصه ، ومعرفة من يضاف إليهم من النشو في كل عام ، والنشور هم صبيانهم الذين يبلغون سن البلوغ . وكذلك معرفة من يقدم إلى العاصمة من أهل الذمة من البلاد الخارجة عنها ، وهم من كانوا يعرفون في مصطلح الديوان باسم الطاري . وكذلك معرفة من يهتدى منهم ويعتق الإسلام أو من يموت منهم . وعليه أن يعمل على كتاب الديوان أى بيانات قد تستجد في هذا الصدد .

والجوال التي تجب من هؤلاء كان يتراوح مقدارها على كل واحد منهم بين خمسة وعشرين درهما كحد أعلى وعشر دراهم كحد أدنى ، وتجب منهم في شهر رمضان ، فإذا تمت جبايتها يحمل قدر معين منها إلى بيت المال ، ثم يوزع الباقي منها على عدد مرتب من القضاة وأهل العلم والدين (١) .

أما الجوال التي تجب من الذميين المقيمين بسائر بلاد مصر الأخرى خلاف القاهرة فبعضها يخص الدواوين السلطانية ويضاف لإيراداتها ، والبعض الآخر منها يمنح كإقطاع لبعض المقطعين بهذه البلاد ، وفي هذه الحالة يقوم هؤلاء المقطعون بجبايتها لحسابهم ولصلحتهم (٢) .

وعلى وجه العموم نستطيع أن نقول أن مجموع ما كان يجبي من الجوال في العهد المملوكي كان أقل بكثير مما كان يجبي منها في العهد الأيوبي ، ففي عام ٥٨٧ هـ بلغ مجموع التحصيل منها ١٣٠٠٠ دينار ، لكن هذا المبلغ نقص إلى حد كبير

(١) الفقه شدى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٨ .

(٢) نفس المرجع والجوء ص ٤٠٩ .

في العهد المملوكي لكثرة من احتق الدين الإسلامي من النصارى . ورغم المجهود الكبير الذي بذله في عهد السلطان المنصور شيخ لجباية الجوال من أجل التمهيد فإن مجموع ما جبي منها عام ٨١٦ هـ لم يتجاوز ١١٤٠٠ دينار فقط (١) .

• - المال الذي يجبي من التجار الغير مسلمين الواسلين في البحر إلى الديار المصرية .

هذا المال كان يجبي من التجار الفريج الذين يقدمون إلى منفى دياط والاسكندرية بقصد التجارة . ورغم أن المقرر جبايته شرعا من هؤلاء هو بفسية العشر من قيمة ما يحملونه من متاجر إلا أن المذهب الشافعي أباح للحاكم أن يزيد هذه النسبة على العشر ، كما أباح له في نفس الوقت أن ينقص هذا العشر إلى نصفه إذا وجد أن في ذلك مصلحة البلد ، بل أكثر من ذلك فقد أعطاه الحق في سبيل هذه المصلحة أن يفهم من العشر كله إذا وجد أن هذا الإجراء سيخسبهم على زيادة تعاملهم التجاري مع البلد .

وقد وجدت حكومة الممالك مصلحتها في تطبيق ما يقرره المذهب الشافعي في هذا الشأن ، فقررت على هؤلاء التجار ضرائب ارتفعت نسبتها أحيانا إلى نصف العشر أى الخمس ، بل وبما زاد ما كانت تأخذه منهم على الخمس أيضا (٢) ، ويذكر ابن علقمة أنه بلغت نسبة ما يؤخذ منهم إلى ٢٥ ٪ (٣) .

وزيادة على ما سبق فحكومة الممالك كانت تجبي من هؤلاء التجار ضرائب

(١) القرطبي : المواظ ١ ص ١٠٧ .

(٢) القلشندي : صبح الأعشى ٢ ص ٤٥٩ .

(٣) ابن علقمة : قوانين الدواوين ص ٢٢٦ .

إضافية أخرى ، منها مكس السباح ومقداره قطعة ذهبيه Dooet أو قطعتان يدفعها كل تاجر منهم عن نفسه (١) ، ومكس الدخول وهو رسم يدفعه الواحد منهم عن النقود التي معه بنسبة ٢٪ منها (٢) ، ومكس الصادر وهو مقرر مالى كان يجبي منهم بالاسكندرية على ما يصدرونه منها إلى الخارج (٣) .

وإذا قدم تاجر فرنجى بتجاره إلى الاسكندرية عن طريق البر فلا يسمح له بدخولها إلا بعد دفع ضريبة مقدارها ١٠ ٪ مما معه (٤) .

#### ٦ - للوارث الحشرية

هى مال من يموت وليس له وارث خاص . والوارث الحشرية التي تجبى بالقاهرة يمين لما ناظر من قبل السلطان ، والمال المتحصل منها يعمل إلى بيت المال حيث يوضع تحت تصرف الوزارة وتحت مباشرتها ، وربما صرف من هذا المال على بعض أبواب الجوامك وغيرهم .

وجرت العادة أن يخص كاتب بالديوان السلطانى لعمل تقرير شامل يومى من يموت بمصر والقاهرة سواء كان حشريا أو غير حشرى ، وهذا التقرير يشمل كل من يموت من الرجال والنساء والصغار واليهود والنصارى (٥) .

أما الموارث الحشرية التي تحصل من خارج القاهرة فكان لها مباشرون

---

(١) القلقشندي : المرجع السابق ج ١١ ص ٤١٦

(٢) Heyd : Histoire du commerce , pp 448 - 449

(٣) القلقشندي : المرجع السابق ج ٣ ص ٤٦٠

(٤) نفس المرجع والجزء والصفحة

(٥) القلقشندي : المرجع السابق ج ٣ ص ٦٠

يقومون بتحصيلها ويحملون ما يحصل منها إل الديوان السلطاني (١) .

#### ٧ — المال لتحصل من دار الضرب بالقاهرة

رغم أن دار الضرب بالقاهرة كانت دارا حكومية مهمتها في المقام الاول ضرب وسك العملة الحكومية إلا أنه كان يسمح في عهدى الأيوبيين والمماليك بـضرب دنانير ودرام بها لحساب من يرغب من الناس لقاء أجر يجي منهم عن ذلك ، وبشرط أن يوردوا لدار الضرب الذهب والنفض اللازمة لهذا الغرض .

وذكر ابن عاتق أن أجرة ضرب كل ألف دينار بهذه الدار هي ٣٠ دينارا منها ثلاثة دنانير كأجرة الفطرايين .

أما أجرة ضرب كل ألف درهم فهي ١٤٠ درهم، منها درهمان وربع لمشاركة دار الضرب (٢) .

لكن هذه الأجرة التي ذكرها ابن عاتق ربما تكون قد زادت في العهد المماليكي عما كانت عليه في زمن ابن عاتق أي العهد الأيوبي ، والذي يدعوننا إلى هذا الظن هو أن الحكومة المماليكية أدخلت دار الضرب في نظام الضمان . والضممان متناه أن يلتزم شخص للحكومة بأن يدفع لها مقدما المال الذي يجي من جهة معينة في مقابل أن تسمح له الحكومة بحماية هذا المال بمقرقه هو ، فإن زاد المال الذي يجمعه من المال الذي يدفعه الحكومة كانت له هذه الزيادة ، وإن نقص فطيه هذا التخص (٣) . وبما لطبع يحرص الضامن كل الحرص على أن يزيد المال الذي يجنيه

(١) نفس المرجع والجزء والصفحة

(٢) ابن عاتق : قوانين الدواوين ص ٢٥

(٣) الفقهندى : المرجع السابق ص ٢٦٦

حل المال الذي يدفعه الحكومة ليحقق من وراء ذلك أكبر ربح ممكن .

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى كان الضمان المقرر على ضباط دار  
الضرب بقدر بنحو مائتي ألف وخمسين ألف درم ، فرفع هؤلاء الضمان التماسا  
إلى السلطان لتخفيفه بعض الشيء ، فوافق السلطان وأمر بأن ينخفض من ضمانهم  
مبلغ خمسين ألف درم<sup>(١)</sup> .

### المال الغير شرعى أو المكوس

المكس في اللغة معناه الجباية ، وهو أيضا دراهم تؤخذ من بائع السلع في  
الأسواق في الجاهلية ، ومن معانيه أيضا انتقاص الثمن في البياحة<sup>(٢)</sup> .

والمكوس في مفهوم التلغشندى هى كل جباية غير شرعية ، لذلك فهو يعتبر  
المال المتحصل منها مالا غير شرعى .

أما المقرىزى فيسمى المكوس مالا حلالا اعتبارا أن أغلب هذا المال كان يجب  
يجب مع كل هلال ، أى مع هلال كل شهر عربى ، بينما المال الخارجى يجب كل  
سنة<sup>(٣)</sup> .

وأول من أحدث المال الحلالى بمصر هو أحمد بن المدبر الذى تولى خراج مصر  
بعد عام ٢٥٠ هـ ، وعرف هذا المال في عهده باسم المرافق والمعاون . أما في العهد  
الفاطمى فقد عرف باسم المكوس ، ثم أصبح يعرف في أوائل العهد المملوكى

(١) المقرىزى : السلوك ج ١ ص ٥٥ .

(٢) ابن سيده : المخصص ج ١٢ ص ٢٥٢ - المقرىزى : المواعظ ج ٢ ص ١٢١

(٣) المقرىزى : المواعظ ج ١ ص ١١١



باسم الحقوق والمعاملات<sup>(١)</sup> . لكنه عاد - في زمن المقرري - يعرف مرة أخرى باسم المكوس<sup>(٢)</sup> .

وقد قسم الفلشندي المكوس كما عاصرها في زمنه إلى نوعين : النوع الأول يتفرد الديوان السلطان بجبايته لحسابه ، أما النوع الثاني فيبضه يحيى بمرقة الديوان السلطان ولحسابه كما يقوم بعض المقطعين بجباية البعض الآخر منه لأنه كان يمنع إقطاعا لهم .

ومكوس النوع الأول هي مكوس تجبي من التجار المسلمين ، كالكارمية وغيرهم ، المارين بقطيا أو الأصليين إلى الموانئ المصرية الواقعة على البحرين الأحمر والأبيض - وكذلك مكوس أخرى عديدة تجبي بالقاهرة والنسطاط .

والمكوس التي كانت تجبي من التجار المسلمين المارين بقطيا كانت لها نسب مقررة على كل نوع من المتاجر .

أما المكوس في موانئ مصر الواقعة على البحر الأحمر فكانت تجبي بنسبة العشر من قيمة المتاجر التي مع هؤلاء التجار مع لواحق أخرى تكاد تبلغ قيمتها نحو هذا المقدار . وفي الاسكندرية ودمياط كان يحيى منهم المرتب السلطان حسب ما توجبه الضرائب<sup>(٣)</sup> .

أما المكوس التي كان الديوان السلطان يتفرد بجبايتها بالقاهرة والنسطاط

(١) نفس المرجع والجزء من ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧

(٢) نفس المرجع ج ٢ ص ١٢٣

(٣) الفلشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٦ - غير أن الفلشندي لم يسلطنا تفصيلا واضحا عن مقدار هذه المكوس أو النسب التي كانت تجبي بها .

فكانت كثيرة حتى قيل إنها بلغت نحو إثنين وسبعين مكسا ، بعضها كان لما طهان بمقدار معين من المال (١) .

والملاحظ أن أحدا من مؤرخى مصر المالىكية لم يمدنا ببيان شامل منفصل عن كافة المكوس التى كانت تجبى من مدينتى مصر والقاهرة ومن بقاى أقاليم ومدن مصر الأخرى ، لعل السبب فى ذلك يرجع إلى ما كان يلحق بهن من المكوس من زيادة أو نقص أو إلغاء على توالى عهد سلاطين المالك ، فكل سلطان من هؤلاء السلاطين كان يجرى تعديلات بهذه المكوس حسب مصلحته وحسب الظروف والأحداث التى تمر بها الدولة فى عهده ، وبعضهم كان يبدأ عهده بإلغاء جموعة من المكوس التى كانت تجبى فى عهد سلفه ليتقرب بهذا العمل إلى نفوس الرعية ، لكن ما أن يظن أن رسوخ أقدامه فى السلطنة حتى يستبد به الجشع فيعيد كثيرا مما ألغاه منها ، بل قد يضيف إليها مكوسا جديدة . ولم يكتف بعضهم بذلك فأخضعوا بعض المكوس لنظام الضمان الذى أشرنا إليه من قبل ، فاستبد الضمان بالناس ، وشرهوا فى جبايتها منهم بأزيد مما هو مقرر لهذه المكوس .

وفيا على أمثلة لبعض المكوس التى فرضها بعض السلاطين أو التى ألغتها بعضهم ، أو التى جعلوا لما طهان .

فى عهد السلطان عز الدين أليك التركانى فرضت أموال على التجار وذوى اليسار وأصحاب القنارات وسميت حقوقا ومعاملات (٢) .

---

(١) نفس المرجع والجزء ص ٤٦٦ - يرجع إلى ما ذكرناه من قبل عن معنى الضمان ونظامه

(٢) المقرئى : المواظ ١٣ ص ١٠

ولما سمى السلطان سيف الدين قطز بالسفر إلى الشام لمقاتلة التتار جمع أموالا كثيرة بحجة التجهر بالحرب ، منها أموال فرضها على العقارات كتركاة عن قيمتها ، كما فرض على كل إنسان دينارا ، كما أخذ تلك التركات الألفية فبلغ التحصيل منها مئتا ألف دينار في كل سنة (١) .

لكن لما تول السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى السلطنة بادر بإلغاء مجموعة من المكوس التي كانت تجبى في عهد قطز ومنها ضيان المزور (٢) ، كما ألغى مكسا اسمه « حراسة النهر » كان يجبى من مدينتى القاهرة ومصر ، كما أبطل مكسا آخرها كان يجبى من عمل البقلية والمرتاحية اسمه « رسوم الولاية » ، كما أبطل « ضيان الحشيش » من ديار مصر ، كما ألغى المال المقرر على البغايا ، وكان هذا المال مقطعا لبعض رجال الحاشية فمروهم عنه ببعض المكوس الأخرى ، ثم لم يلبث أن ألغى ضيان الحشور بأنواعها ، وكان يجبى منها ألف دينار في كل يوم (٣) .

ولما ولي السلطان المنصور قلاوون السلطنة أبطل « زكاة الدولة » وهو مال كان يؤخذ أبدا من كل رجل عن زكاة ماله حتى ولو عدم من هذا المال ، وإذا مات يؤخذ من ورثته ، كما أبطل « مكس » المهتر وهو مال يجبى من أهل القاهرة ومصر على قدر طبقاتهم وذلك إذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه .

كما أبطل ما كان يجبى من أهل النقة بخلاف الجمالية المأروضة عليهم ، وهو

(١) نفس المرجع والجزء والصفحة

(٢) نفس المرجع والجزء والصفحة — والمزور بضم الميم يصنع من الخنطة .

البندقدارى : الإفادة والاعتبار ص ٢٢

(٣) نفس المرجع والجزء والصفحة

جارية عن دينار عن كل واحد منهم في السنة لتنفقة على الجند .

كما أبطل « مقرر جباية الدينار ، وهو مكس مقداره دينار يجبي من كل تاجر عند سفره للسكر القتال والحرب .

كما أبطل ما كان يجبي عند وفاة التيل لتنطية نفقات «الولام التي تقام في القياس بهذه المناسبة (١) .

وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أبطلت المكوس التالية :

« مكس ساحل القلة ، ومقداره ٢٥ درم على كل أردب غلة ، وكان قد خصص لجباية هذا المكس مجموعة من الموظفين كانوا يجلسون بنص العسكارة بيولاقي ، وكان يتحصل من هذا المكس في كل عام ٦٠٠.٠٠٠ درم .

« نصف المسمرة ، وهو مكس كانت تفرضه الحكومة على الدالين والبائسة ، فتأخذ منهم درهما من كل درهمين يحصلون عليها عن عملهم . لكن الدالين اجتهدوا لإزاء ذلك للحصول على أجرتهم كاملة ، وتحايروا في نفس الوقت لجعل هذا المكس على حساب البائع وليس على حسابهم .

« رسوم الولاة ، وهو مكس يجبيه الولاة والمقدمون من عرقاء الأسوان وبنوت الفواحي ، وله ضامن تحت يده عدة من الأعيان لماوته في جبايته .

« مقرر الخواص والبغال ، وهو مقرر مالي يفرض على الولاة والمقدمين ، فيدفع كل منهم إلى بيت المال ما هو مقرر عليه على أقساط خلال العام . وفي كل

---

(١) نفس المرجع والمجزة والصفحة

نقط من هذه الأنساق يدفع ثمانية درم كتمن الحياة ويقل (١) .

• مقرر طرح الفراريج ، وهو مكس له عدة من الضبان في سائر نواحي مصر فكان هؤلاء الضبان يحترقون يبيع الفراريج للناس القاطنين في مناطق ضياعهم ، فلا يستطيع أحد بمقتضى ذلك أن يشتري فروجا إلا منهم فقط وبالسعر الذى يحدده ، بل أكثر من ذلك كانوا يطرحون الفراريج على الناس ، أى يقرضون عليهم شراءها منهم سواء كانت لهم حاجة في ذلك أو لم تكن .

• مقرر القرمان ، وهو مكس يجلبه ولاية النواحي من سائر البلاد ، فلا يؤخذ درم مقرر حتى يخرم عليه صاحبه درهمين .

• مقرر الأنصاب والمعاصر ، وهو ما يجلب من زرايع قصب السكر ومن معاصره .

• مقرر رسوم الأفراح ، وهو رسم يفرض على الأفراح بسائر النواحي ، وله عدة ضبان .

• حماية المراكب ، وهو مال يفرض على كل من يركب البحر للسفر .

• حقوق التينات ، وهو مال يجمع من الفواشش والمذكرات .

• متوفر الجرافيف ، وهو مال يجلب من سائر النواحي لتشتري به جرافيف تستخدم في تشييد الجسور وغيرها من المشاريع والأعمال .

• مقرر المشاطية ، وهو مال يؤخذ عن كسح الألفية ، ولهذا المكس عدة

(١) الحياة حرام أو منطقة يشدها رجال أو ساطهم ، وتضيق من الذهب وتركب على ساشية من الحرير . التفتشندى : صبح الأضنى ج ٤ ص ١١

ضمان لا يمكنون أحدا من القيام بعملية الكسح هذه إلا بمعرفتهم هم وليأذنهم  
وبائنه الذي يحدوده ، فلا يجد أصحاب المنازل مفرأ من تنفيذ كل طلباتهم  
وشروطهم (١) .

وفي عهد السلطان الأشرف شعبان أبطل مكان هما ضمان الاغاني وضمان  
القراريط .

أما ضمان الاغاني ، فهو مكس يحس من النساء البقايا بمعرفة ضامته ، وللهذه  
الضامته الحق في منع أى امرأة من عارسة البناء إلا إذا سجلت اسمها عندها  
أولا وأصلتها الإذن بذلك . كما أنه لم يكن مسموحا لأحد أن يقيم فرحا لزواج  
أو احتفالا بنفاس - أى ولادة مولود - إلا بعد أن يدفع مالا لهذه الضامته  
ليأخذ الإذن منها ، ومن فعل فرحا بأغان ، أو نفس إمرأته من غير إذن ضامته  
حل به بلاء لا يوصف (٢) .

أما ضمان القراريط ، فمكس يؤخذ من كل من باع ملكا بواقع هشرين  
دومما من كل ألف درهم (٣) .

وفي عهد السلطان الظاهر برقوق أبطل هذه مكوس منها مكس شبه  
الجمالية ، الذى كان يؤخذ من أهل البرلس وبلطيم ، فيحصل منهم في كل سنة  
ستين ألف درهم .

ومكس القمح ، الذى كان يؤخذ من الفقراء بدمياط من يتبايع منهم أودب .

(١) المقرئى : المراءظ ١٣ ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) نفس المرجع والمجلد ص ١٠٥ .

(٣) نفس المرجع والمجلد ص ١٠٦ .

قح أو أقل . وكذلك مكس الدريس والحلفاء ، بباب النصر خارج القاهرة (١) .  
 أما السلطان فرج بن برقوق فعلى الرغم من أنه أبطلت في أوائل عهده أى  
 عام ٨٠١ هـ عدة مكوس مثل : تمريف الغلال ، و ه ضمان الرصة ، و أخصاص  
 الفضالين ، (٢) لأن المكوس التى بقيت نجى في عهده كانت تقدر ببسبم ألف  
 درهم ونصف يومياً (٣) .

وعندما شرع السلطان فرج في تجهيز جيش لمواجهة تيمور ذلك عام ٨٠٣ هـ  
 بعث برجاله ياجون متاجر و مخازن التجار ، فإن وجدوا صاحب المتجر أخذوا  
 نصف ما عنده ، أما إذا لم يجدوه في هذه الحالة كانوا يشيرون جميع ما يحدونه  
 بالمتجر (٤) . كما فرض السلطان فرج لنفسه السبب أموالاً على المزارع (٥) :

وبالإضافة إل ما ذكرناه من مكوس ، فقد فرضت خلال العهد المماليكى  
 مكوس أخرى منها مكس طحن الغلال ، بواقع خروبة على كل أردب غلة (٦) .  
 وقد تزايدت قيمة هذا المكس على طول السنين حتى أصبح يجبى في عهد السلطان  
 النورى بواقع ثلاثة أضعاف دراهم فضة على كل أردب (٧) ، تجبى من كل من

(١) نفس المرجع والجزء والصفحة

(٢) نفس المرجع والجزء ص ١٠٧

(٣) نفس المرجع والجزء والصفحة

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢٠

(٥) القرزى : المرواط ج ٢ ص ٢١٢

(٦) نفس المرجع والجزء ص ٨٤ - والخروبة قطعة صغيرة من القود النحاسية

مقدارها  $\frac{1}{2}$  درهم . Dezy : Supp . Diet . Ar

(٧) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٩١

البائع والمشتري ، وأطلق على هذا المكس اسم الموجب ، كما عرف أيضا باسم  
مكس البحرين (١)

ومن هذه المكوس أيضا ، مقرر الجادوس ومقرر بقر الحيدس ومقرر  
الأغنام ، ودو مكس كان يقرر على تناج الجاموس والبقر والأغنام (٢)

و مكس الذبيحة ، الذي كان يعرف باسم ، مكس البحيرة ، ، وكان يفرض  
على ما يذبح من البقر والغنم وغيرها (٣)

أما الإصحاك فلم يكن يسمح ببيعها بدار السمك بالقاهرة إلا بعد تسديد  
المكوس التي كانت مقررة عليها وقتئذ (٤) ، كما أن الملح كان مقررا عليه مكس  
أيضا (٥) ، وكذلك المناحل (٦) .

وهكذا يتضح لنا أن المكوس في العهد المملوكي كانت تشمل أغلب مصادر  
الرزق التي كان الناس يتكسبون منها أو يعيشون بها ، كما أنها شملت أغلب السلع  
التي كانت تباع وتشترى بالأسواق .

(١) نفس المرجع ج ٢ ص ١٠ - ١٢

(٢) المقرري : المرجع السابق ج ١ ص ١١١ - وأبقار الخيل أبقار ضخمة ،  
صفراء اللون ، طويلة الرقاب ، لها قرون كالأظفار ، ويُنْبَل على طباعها التفوق ،  
لذلك لم تكن تستخدم في العمل ، لكن كانت يُتَفَنع بالبيانها ولحومها . النويري :  
نهاية الأرب ج ١ ص ١٢٢

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر ج ١ ورقة ٦١٢

(٤) المقرري : المرجع السابق ج ١ ص ١٠٨

(٥) : السلوك ج ٢ ص ٢٠٢

(٦) : المواعظ ج ١ ص ١١١



## ب - النفقات

الأموال التي تهي لحساب الموارن السلطانيه هي الرصيد المال للدولة الذي منه تنفق عل أوجه الإعتاق المختلفة .

ومن بين النفقات الرئيسية للدولة وقتل الرواتب والأوراق التي كانت تعطى للموظفين العاملين في دوائر الحكومة وأجهزتها المختلفة من أصحاب القلم ورجال الدين (١) .

وهذه المرتبات كانت تقيد في سجل خاص يعرف باسم الاستيلار ، ونصرف لمستحقها إما مياومة ، أى كل يوم - أو مشامره ، أى كل شهر - أو مسانة ، أى كل سنة .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان للأعيان من هؤلاء الموظفين رواتب جارية يومية من اللحم بتوايه أو بنجر توابل ، وكذلك الخبز واللبق لغواهم ، كما كان لا كبرم السكر والقمح بالوزن في كل سنة ، والأضحية في عيد الأضحي ، والسكر والخمر في شهر رمضان .

ومرتب الوزير كان أكبر مرتب في هذه المرتبات ، فقد كان يبلغ حوالي مائتين وخمسين ديناراً في الشهر ، مضافاً إليها رواتب أخرى من الفسلة ومن الأسماء الأخرى التي ذكرناها من قبل تبلغ في مجموع قيمتها نظير المرتب الأصل (٢) .

دائرة السلطنة

(١) العاملون في أجهزة الدولة من رجال السيف كانوا لا يحتاجون مرتبات مالية وإنما كانوا يمنعون إقطاعات بدلاً من ذلك .  
(٢) القزويني : المرافعة ٢٣ ص ٢٢٤ .

أما مرتب القضاة والعلماء فكان حوالي خمسين ديناراً في الشهر ، مضافاً إليها مخصصات أخرى كانت تصرف لهم من أوقاف المدارس (١) .

وبغلاذ، رواتب الموظفين كانت الدولة تعطى صدقات جارية ورواتب مستديمة لبعض الناس على سبيل الإعانة لهم ، وبعض هذه الصدقات والرواتب على هيئة مبالغ مالية ، والبعض الآخر على هيئة خبز ولحم وزيت وكسوة وشعير . وخصصت الدولة للإتفاق على هذه الصدقات الإيراد المتحصل من أراضي أوقفت لهذا الغرض كانت تعرف بالرزق الإجبائية .

والغريب أن أصحاب هذه الصدقات والرواتب كانوا يتوارثونها ، فيرثها الإبن عن أبيه ، ويرثها الأخ عن أخيه ، وابن العم عن عمه (٢) .

وبالإضافة إلى هذه المرتبات والصدقات كانت خزينة الدولة تتكفل بالإتفاق على إحتياجات التصور السلطانية وتنفق كذلك على الأسطة (٣) السلطانية ، وأيضاً على الممار السلطانية ، كما كانت تتكفل بنفقات رواتب العم التي تعطى للباليك السلطانية وجراياتهم ، ونفقات ضيوف الدولة (٤) ، ونفقات الهدايا التي يهديها السلطان إلى الملوك ، ونفقات الخلع والتشريف ، ونفقات المصاريف العامة التي

(١) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٢) نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٣) السباط هو ما يبسط ليوضع عليه الطعام . يحيط المحيط .

غير أن هذه الكلمة استخدمت في العهد الماليكي الدلالة على معنى العلمام ذاته والمآدب التي كانت تقام في شق المناسبات .

(٤) ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ٩٧ .

تتحمل الدولة مسئولية إنجازها وعملها كد الطرق وإقامة الجسور وحفر  
الترع وتطهيرها .

وفي عهد بعض السلاطين حدث عجز في ميزانية الدولة بسبب زيادة النفقات  
على الإيرادات ، وحاول هؤلاء السلاطين ووزراؤهم معالجة هذا العجز بأساليب  
مختلفة ، فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون أمر الوزير وناظر الدولة وناظر  
الحراص السلطانية بأن يعرضوا عليه في آخر كل يوم بياناً بمجمل الإيرادات ،  
وما دخل خزينة الدولة من هذه الإيرادات وما صرف منها ، كما أمر بأن  
لا يصرف إلا شيئاً - البتة إلا بإذنه ، فامتثلوا لأمره وأخذوا يجهزون هذه  
البيانات يومياً ، وبعد تجهيزها تقرأ عليه ليقر ما يختاره من أوجه الصرف ويوقف  
ما يريد . وحمل السلطان الناصر محمد وزيره الجمال مسئولية العجز في ميزانية الدولة  
الذي حدث في عهده ، فاستدعاه وعنه وقال له : إن الدواوين تلعب بك ، ثم  
لم يلبث أن عزله من الوزارة ، ولم يمين بديل له في هذا المنصب ، فتطلى  
الوزارة لعدة سنوات ، وكان سبب عزله توقف حال الدولة وقلة الواصل إليها<sup>(١)</sup> .

ولقد كانت نفقات القصور السلطانية ، خاصة الحوائج غائاة<sup>(٢)</sup> والمطبخ  
السلطاني لتشكل عبئاً كبيراً على ميزانية الدولة ، وغالباً ما سببت عجزاً فيها . وقد  
بان هذا العجز واضحاً في بعض العقود كعهد السلطان الصالح إسماعيل وعهد  
السلطان الناصر حسن ، ففي عهد السلطان الصالح إسماعيل عمل حصر بنفقات الدولة  
عام ٧٤٥ هـ ، وكتب بها أوراق عرضت على السلطان فوجد أن هذه النفقات

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٢) الحوائج غائاة هم إحدى إدارات القصور السلطانية ، مهمتها تدبير  
احتياجات المطبخ السلطاني . التلغشتدى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٧٢ ، ١٣ .

بلغت ثلاثين مليون درم ، منها مصروف الخواص خاانة في كل يوم إثنان وعشرون ألف درم ، وإزاء ذلك حارب السلطان تخفيض الميزن بالإقلال من النفقات ، وقد بلغ ما وفره من النفقات اليومية أربعة آلاف رطل لحم ، وسبعة آلاف (١) ، وثلاثة أرباب شعير ، كما وفر أيضا في كل شهر مبلغ ألفي درم (٢) .

وفي عهد السلطان الناصر حسن قام وزيره الأمير منجك اليوسفي بمسدة إجراءات لمعالجة الميزن في ميزانية الدولة ، فعمد إلى الإقلال من النفقات ، كما حاول في نفس الوقت أيضا أن يزيد من موارد الدولة المالية . إنما فيما يختص بالإقلال من النفقات فقد وفر من جامكية (٣) المالك ستين ألف درم في الشهر ، كما قطع كثيرا من جوامك الخنم والجوارى والبيوت السلطانية ، وأنقص من رواتب زوجات السلطان وجواريه ، وقطع رواتب منيات القصور السلطانية ، وخفف نفقات الخواص خاانة واقطع من نفقاتها ثلاثة آلاف درم ، كما وفر من مرتبات الكتاب والمباشرين بالقصور السلطانية ما جلت عشرة آلاف درم في اليوم الواحد .

---

(١) الكاح خبز شديد البياض يجمع بين نخعة ويحضر على الرماد الساخن .  
عيط المحيط .

(٢) القريزي : المراجع السابق لـ ص ٢٤١ .

(٣) الجامكية والجوامك رواتب تقرر لخدام الدولة . والجامكي كلمة فارسية الأصل مركبة من كلمتي ( جامه ) أي قيمة ، ( كي ) وهي أداة لينة

Dosy : Supp. Diet. Ar.

شاه إيران : التاجم الزاهرة ١٧٤٠ ص ١٠٧ خاتمة ١ .

أما مورغن الدولة فقد استبدل مرتبات بعضهم باقتطاعات من بين  
الاقتطاعات التي انحلت بموت أصحابها من رجال السيف أثناء الرباء الذي اجتاح  
البلاد في هذه الفترة ، فكان في هذا الإجراء خروجاً جريئاً على القواعد المعمول  
بها في النظام الإقطاعي والتي كانت تخص رجال السيف فقط بالإقتطاعات .

أما الإجراءات التي لجأ إليها لزيادة دخل الدولة فكان من بينها أنه سمح  
للمجند بأن يقايضوا باقتطاعاتهم أو يتنازلوا عنها فغير سواء كانوا من رجال السيف  
أو من غيرهم ، وذلك نظير مال يدفعه أطراف المفاينة أو التنازل لمؤسسة  
الدولة (١) . كما أنه زاد في المعاملات أي المكوس التي تجبها الدولة بمقدار ثلثها  
الف درهم (٢) .

وفي عهد السلطان قايقاي كان إرتباك الميزانية كبيراً حتى أنه دخل بشكر  
لقضاة من انشحات الديوان وخراب البلاد ، وصار يدعو على نفسه بالموت حتى  
يستريح عما هو فيه من التعب (٣) . ومن بين ما اقترحه السلطان لتخفيف هذا  
المجز أن تقطع الميراثات المقررة للمواجر من المجند والنساء (٤) .

---

(١) هذا الإجراء كانت له سابقة في عهد السلطان الكامل شيبان ، فقد قام  
شاد البراقين في عهد هذا السلطان لأول مرة بإباحة عمليات التنازل والمفاينة  
الإقطاعية - الميراثية الميراثية ص ٢١٩ .

(٢) نفس المرجع والمجلد ص ٢٢٠ - ٢٢٢ .

(٣) ابن أبياس : بدائع الزهور ص ١٠٤ .

(٤) نفس المرجع والمجلد . الصفحة .



النظام الإقطاعي





## النظام الإقطاعي

أغلب أراضي مصر الزراعية في العهد المماليكي كانت مملوكة للدولة ، والقليل منها كان مملوكا ملكية خاصة لبعض الملوك من الشعب .

أما الأراضي المملوكة للدولة فقد أقطعت الدولة بعضها لرجال السيف حسب قواعد النظام الإقطاعي الذي كان معمولاً به في ذلك الوقت (١) ، كما أنها جبرت البعض الآخر منها على بعض المساجد والجمامع ، أو على بعض أعمال الخسيرة والبر والصدقات .

---

(١) نقل المماليك هذا النظام عن الأيوبيين فيما نقلوا عنهم من أنظمة . وهذا النظام أساسه منح الإقطاعات لرجال الجيش ليستولوها وليستفموا بها طوال مدة بقائها تحت أيديهم ، وذلك في مقابل الالتزامات والخدمات التي تكلفهم بها الدولة . وإذا أخل الإقطاع بالتزاماته أو صغر عن تأديتها فن حق الدولة في هذه الحالة أن تسترد الإقطاع منه مرة ثانية ، لأن الإقطاع الذي تمنحه له إقطاع استئثار فقط وليس إقطاع تمليك .

والواقع أن البويهيين هم أول من أخذ بهذا النظام وطبقه ، غير أنهم لم يحسنوا استخدامه بسبب القوضى التي شملت الدولة والصراع الذي نشب بين القواد وقتئذ ، فأصبح هم رجال الجيش الحصول على الإقطاعات فقط دون اتمام بما يقابلها من التزامات أو ولاء .

لكن ذلك لم يمنع السلاجقة من معاودة الأخذ بهذا النظام مع تلاميذ الميوس والاضطراب التي وقع البويهيون فيها خلال تطبيقهم له ، فلما أصبح توسعوا في الأخذ به وعمموا في دولتهم وأصبح أساساً رئيسها لنظامهم العسكري والاقتصادي .

أما الأراضى المملوكة ملكية خاصة لبعض الملاك فقد آلت إليهم عن طريق الشراء من بيت المال أو عن طريق الوراثة أو عن طريق الهبة من الدولة . وقد أوقف بعض هؤلاء الملاك بعض الأراضى التى يمتلكونها على بعض المسامع والمدارس والخوانك وبعض جهات الخير والبر والدين ، أو على ذرياتهم وعقباتهم .

أما ما عدا ذلك من أرض مصر فلم يكن صالحا للزراعة ، لكن رغم ذلك فالبعض من هذه الأراضى كان صالحا لنمو الاحشاب والكلأ به لذلك اتخذ كمرأع (١) .

ورغم أنه كان من المفروض أن لا يطبق النظام الإقطاعى الذى أشرنا إليه إلا على الأراضى الزراعية التى تمتلكها الدولة فقط ، إلا أن بعض سلاطين المماليك وجدوا — بمعنى الوقت — أن تلك الأراضى لم تعد كافية لهذا الغرض ، فتحايل بعضهم للاستيلاء على بعض الأراضى الموقوفة أو المحبة والرزق الاجاسية (٢) ، وكذلك على بعض الأراضى المملوكة ملكية خاصة ، وردوا هذه الأراضى إلى ملكية الدولة ثم أدخلوها فى الأخرى فى التقسيم الإقطاعى (٣) .

---

== وعن السلاجقة إنتقل هذا النظام إلى الزنكيين ، ثم من الزنكيين إلى إنتقل إلى الأيوبيين ، ومن الأيوبيين إلى المماليك . طرعان: الإقطاع الإسلامى، مقال بالمجلة التاريخية المصرية مجلد ٦ سنة ١٩٥٧ .

(١) المقرئى: المواقظ ج ١ ص ٩٧ .

(٢) الرزق الاجاسية هى أراضى تحبسها الدولة — أى توقفها — للصرف من إيرادها على الصدقات التى تمنحها لبعض الناس ، نضى المرجع ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٣) هناك حوادث عدة دخلت هؤلاء السلاطين إلى تحت هذه الإجراء

ولم يكتف هؤلاء السلاطين بذلك فأخضعوا المراسى أيضا للتوزيع الإقطاعى، فأصبحت هذه المراسى ضمن إقطاعات المقطعين يستغلونها لحسابهم (١).

فبعضهم كان فى حاجة ملحة للبال فى بعض الظروف الطارئة كأحوال الحرب ، كما أن بعضهم كان مدفوعا بالرغبة فى الانتقام من أعدائه ، كما أن البعض الثالث منهم كان يشك فى صحة مستندات الملكية التى يبد بعض ملاك الأراضى أرواقها .

ولدينا أمثلة متعددة لهذه الدوافع بأنواعها المختلفة ، فالسلطات الناصر محمد بن قلاوون على أمر عودته السلطنة عام ٧٠٩ هـ اتخذ عدة إجراءات للانتقام من بييرس الجاشنكير الذى انتزع منه السلطنة لفترة من الزمن ، ومن بين الإجراءات التى اتخذها فى هذا الشأن أنه استولى على الأوقاف التى أوقفها بييرس على الخانات التى بناها ووزعها إقطاعات . ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٠٧ .

ثم لما رآك السلطان الناصر محمد بن قلاوون البلاد روكا عاما - أى مسجها عاما - عام ٧٠٥ هـ ارتجع الرزق ، وأخرج ما هو بإم بييرس الجاشنكير وأصحابه وحله وجهه إقطاعات . المقرئى : المواقظ ج ١ ص ٨٨ - ٩١ .

وفى عهد السلطان على بن شعبان استدعى أمير الأمراء بوقوق جميع القضاة وشيوخ العلم وتحدث معهم فى حل الأوقاف ، وأحضرت أوقاف بما وقف من بلاد مصر والشام وبما تملك منها وبطلنها فى السنة فوجد أنها كثيرة ، فقال بوقوق إن هذا الوضع هو الذى أحضف جيش المسلمين .

ورغم اعتراض بعض الحاضرين من الشيوخ على مبدأ حل الأوقاف إلا أنه إزاء إصراره قد وافقوا على حل بعضها خاصة تلك التى موقوفة على المساجد والمدارس والخوانك وعلى علماء الشرح الشريف وفتهاء الإسلام ، كما وافقوا على إلغاء ملكية بعض الأراضى التى لا تثبت صحة مستندات ملكيتها وأن تقطع كلها إقطاعات . المقرئى : السلوك ، مخطوط ، مجلد ٨ ص ١١٧ ب .

(١) المقرئى : المواقظ ج ١ ص ١٠٧

وكتيجة لهذه الإجراءات كلها أصبحت الغالبية العظمى من أرض مصر المستقاة في الزراعة أو الرعى خاصة النظام الإقطاعي إلا التزر اليسير منها، لذلك قال القلقشندي : إن الديار المصرية بالوجهين القبل والبحري بجلتها جارية في الدواوين السلطانية والقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند ، إلا التزر اليسير مما يجري في وقف من سلف من ملوك الديار المصرية ومحكوم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها (١) .

ولم ينف الأمر عند هذا الحد فبمضي الوقت أصبح الإقطاع يشمل أيضا بعض مصادر الإيراد في الدولة كالمعادن (٢) ، والمكوس المقررة في بعض النواحي والجهات (٣) ، والجرية أي الجوال (٤) ، وكذلك المداد أي الزكاة المفروضة على مواشي أهل بركة من التتم والإبل عند وصولهم إلى حل البحيرة لقرى (٥) . كما شمل الإقطاع أيضا الضيافة والمدايا التي كان لزاما على الفلاحين تقديمها لصاحب الإقطاع (٦) .

والخلاصة أن النظام الإقطاعي أصبح يعمل جوا كبيرا من الموارد المالية للدولة ، وإن هذا الصدد يقول القلقشندي : صارت الانقطاعات ترد من جهة

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٥١

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٤٥١

(٣) القريوى : المواقظ ج ١ ص ١٦٧، ١٥٢ - ابن اياس : بدائع الزهور

ج ٢ ص ١٢٢ ، ج ٣ ص ٢٩٠ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٥٩، ٢٥٨

(٥) نفس المرجع والجزء ص ٤٥٧

(٦) القريوى : المواقظ ج ١ ص ٨٨-٩١

الملوك على سائر الاموال من خراج الارضين والجزية وزكاة المواشي والمعادن والمعر وغير ذلك ، ثم قاحش الامر وزاد حتى اقلعوا المكوس على اختلاف اصنافها ، (١)

## اصحاب الإقطاع وخصصاتهم الإقطاعية

النظام الإقطاعى العسكرى الذى طبق فى مصر منذ العهد الايوبى ثم فى العهد المملوكى من بعده يقوم أساسا على اعتبار أن أرض مصر ملك للسلطان أى للدولة ، وأنه من حق السلطان أن يقسمها إلى إقطاعات يخص نفسه ودواوين الدولة ببعضها ، ويمنح الباقي منها لأصحاب السيف أى العسكرىين من رجال الدولة ليقبضوا بها ويستغلوها استغلالا مؤقتا مدة وجودها تحت يدهم حسب شروط والازمات معينة وتظهر خدماتهم التى تطالبهم بها الدولة ، سواء فى المجال العسكرى أو فى المجال المدنى (٢) .

(١) الفقه شندى : صبح الاعشى ج ١٢ ص ١١٧

(٢) خدمات المقطعين فى المجال العسكرى تشمل فى تلبيةهم أمر الدولة فى حالة الحرب أو فى حالة التأهب لها ، وذلك بالإتزام إلى الجيش فوراً ومعهم أبنائهم وتنفيذ ما تكلفهم به الدولة من مهام عسكرية ، ولم يكن يسمح لواحد من هؤلاء بالتخلف أو الاعتذار عن تلبية الأمر فى مثل هذه الحالات .

غير أنه فى بعض الحالات الاستثنائية كأحوال المرض أو العجز الصحى كان يقبل عذر المقطع فى التخلف بشرط أن يقدم فارساً مقاتلاً بديلاً عنه بكامل ما يلزمه من رداء وسلاح وعتاد وغنيل ، وفى حالة عجزه عن تقديم هذا البديل كان عليه أن يدفع بدلاً مالياً .

أي أنه يقتضى هذا النظام كان رجال الجيش المالىكى هم أصحاب الحق الأول في الحصول على الإقطاعات وهذا الجيش كان يتكون من السلطان كقائد أعلى له ، ومن الأمراء ، وكذلك من الجند المالىكى سواء كانوا من مالىكى السلطان أو مالىكى الأمراء أو جند الحلقة. ويضاف إلى هؤلاء عناصر مقاتلة من غير المالىكى كانت تدخل في تشكيل الجيش ، وهؤلاء كانوا من العرب والتركمان والأكراد القاطنين داخل أرض الدولة أو على حدودها من كانوا يكفون ببض المهام العسكرية .

#### التخصصات الإقطاعية للسلطان :

كان السلطان يخص نفسه ومعالىكة عادة بأكبر الإقطاعات ، وغالبا ما اشتمل إقطاعه على أجود الأراضي ، وبعض المكوس والجموال التي كانت تدر دخلا مجريا وافرًا ، وكذلك المزارع الخشبية وغيرها من الإيرادات المالية (١) .

---

المقريزي : السلوك ، مخطوط مجلد ٨ ص ١٢٦ - ابن إياس : بدائع الزهور ٢٣٠ ص ٢٣٠

أما خدمات المقاطعين في المجال المدني فتتمثل في تكليف بعضهم بمباشرة بعض أعمال الدولة في هذا المجال والاشراف عليها كجمع محصول وحر الخيلان وعمارة الجسور وما إلى ذلك من أعمال مدنية . أبو الحسن : النجوم الزاهرة ٩٠ ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩١

(١) التلغشتدي : صبيح الأعيان ٢٣ ص ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٦ - ابن الجيعان : النخبة السنية ص ٢٣ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٤٥ .

وحسب النظام الإقطاعي الذي كان معمولاً به كان من حق السلطان أن يستحوذ في إقطاعه على أربعة فرايط من أربعة وعشرين قيراطاً من مجموع خراج مصر ، ويترك العشرين قيراطاً الباقية للأمراء والجند ، إلا أن بعض السلاطين لم يكفهم هذا المقدار فزادوا في خصصاتهم الإقطاعية ، ولعل السلطان الناصر محمد بن قلاوون كان واحداً من هؤلاء ، فقد أقطع لنفسه عشرة فرايط من مجموع خراج مصر ، وترك لإقطاعات الأمراء والجند أربعة عشر قيراطاً فقط (١) .

#### الخصصات الإقطاعية للأمراء :

أما الأمراء فغالباً ما أقطعت لهم م أيضاً البلاد النفيسة ، التي يحرص منها دخل كبير ، وذلك على قدر رتبهم في الإمارة ، فمنهم من أقطع البلد الواحد ، ومنهم من أقطع أكثر من ذلك ، حتى أن بعضهم أقطع العشرين بلداً (٢) .

وتزيد الأمر إسخاحاً وتفصيلاً فنقول أن إقطاع كل أمير كان يتناسب تناسباً طردياً مع رتبته في الإمارة ، فكل رتبة من رتب الإمارة كان لها إقطاعها الخاص بها ، وكلما زادت رتبة الأمير زاد مقدار إقطاعه .

ومراتب الإمارة التي كان الأمراء يتدرجون في الترقى فيها كانت ثلاث

(١) المفريزي : السلك ١٣ ص ٨٤٢ ، ٨٤٣ - المراسط : ١٣ ص ٨٨ -

ابن إياس : بدائع الزهور ١٣ ص ١٣٧ - Lane Poole : The art of the Saracens, p ٤ .

Polak : The Feudalism in the near east, p. 24 .

(٢) القفطسي : صبح الأعشى ٢٣ ص ٤٠٢

مراتب رئيسية . أدناها مرتبة أمير عشرة (١) ، وأوسطها مرتبة أمير أربعين  
أو طبلخانة ، وأعلىها مرتبة أمير مائة مقدم ألف .

أما أمير عشرة فقد سميت رتبته بهذا الاسم لأنه كان يسمح له باستخدام  
عشرة فرسان من المالك ، لكن بعضهم كان يسمح له بصفة استثنائية أن يستخدم  
عددا أكبر من ذلك قد يصل إلى العشرين فارسا ، وفي هذه الحالة يسمى أمير  
عشرين (٢) .

أما أمير الأربعين أو الطبلخانة (٣) فيسمح له باستخدام أربعين فارسا من

---

(١) أشارت بعض المصادر إلى رتب إماراة أصغر من أمير عشرة كأمر  
ثلاثة وأمر أربعة وأمر خمسة ، لكنها لم تكن رتبا أساسية ، فرتبة أمير ثلاثة  
ورتبة أمير أربعة لم تمنح للأمراء المالك في مصر ، وإنما منحت بصفة استثنائية  
لبعض أعراب الشام . ابن يمين : تاريخ بيروت ص ٩٢ - ٩٤ - ابن الشدياق :  
أخبار الأعيان ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

ويقول القلقشندي عن أمراء الخساعات أنهم أقل من القليل خصوصا بالديار  
المصرية ، وأنه غالبا ما منحت هذه الرتبة لأولاد الأمراء الذين توفوا وحاكموا  
لسلفهم ، وقال عن أمراء الخساعات أيضا أنهم في الحقيقة كأكابر الأجناد .  
القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥ .

(٢) ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ١١٣ - الخالدي : المقصد الرفيع  
ج ١ ص ١٢٢ - المقرئ : المواعظ ج ٢ ص ٢١٥ .

(٣) سمى أمير الطبلخانة بهذا الاسم لأنه كان من مظاهر التتشراف له أن  
يسمح له بدق الطبلخانة - أي الطبول - على بابيه . ابن شامين : نفس المرجع  
والصفحة - الخالدي : نفس المرجع والجزء والصفحة .



الماليك ، إلا أنه كان يسمح لبعضهم أحيانا باستخدام عدد أكبر من ذلك قد يصل إلى سبعين فارسا<sup>(١)</sup> .

أما أمهر المائة مقدم ألف فكان يسمح له باستخدام مائة فارس من المالك<sup>(٢)</sup> وربما زاد بعضهم بالشرة فرارس والشرين<sup>(٣)</sup> .

وبصفة عامة كان الأمراء ينقسمون إلى فئتين متميزتين: فئة تعرف بالأمراء

(١) ابن شاهين : نفس المرجع والصفحة - الخالدي : نفس المرجع والجزء والصفحة - المقرئى : المرجع السابق ٢٥ ص ٢١٥

(٢) ابن شاهين : نفس المرجع والصفحة

(٣) كان يصح أحيانا في المنصور الصادر من ديوان الجيش باقضاع الأمير على هذه الزيادة في فرسانه ، ومن أمثلة ذلك منصور إقطاع الأمير قرا لاچين المنصورى فقد نص فيه على أنه بإمرة ١٢٠ فارسا . كما أنه في الفترات التي تناظم فيها نفوذ بعض أمراء المائة تجاوز هؤلاء الأمراء العدد المسموح لهم باستخدامه من الفرسان بمراحل كبيرة حتى أن بعضهم استخدم بضعة مئات منهم .

كالأمير قورسون نائب السلطنة وأتابك الساكر في عهد السلطان كجك بن التاصر محمد ب. قلاوون الذي بلغ عدد ماليكه اقرسان ٧٠٠ فارس . أبو الحسن التجوم الزاهرة ١٠٥ ص ٤٠

وكالأمير يلينا الأتابكي أتابك الساكر في عهد السلطان شعبان الذي استخدم

٣٠٠ فارس ابن لراس : بدائع الزهور ١ ص ٢١٧ - ٢١٩

وكالأمير يشبك الدوادار الذي استخدم في عهد قايقاي ٤٠٠ فارس . تاريخ

يعيك ورقة ١٤/١٥

الخاصية أو الجوارية ، وم القريون إلى السلطان . أما من هدام فهم الفشة الثانية وكانوا يعرفون بالأمراء البراية أو الخرجية (١) .

ونظرا للعلاقات الوثيقة التي كانت تربط الأمراء الخاصية بالسلطين لذلك فقد خصهم السلطين بإقطاعات ذات ارتفاع - أي ذات دخل - أكبر من ارتفاع إقطاعات الأمراء الخرجية ويمكننا أن نتحقق من ذلك من خلال البيان الذي أورده المقرئ في خطه من ارتفاع إقطاعات كافة الأمراء التي تفرقت لهم في الزوك الثامري (٢) حسب قائم ورتبهم (٣) .

ومن هذا البيان نستخلص الملاحظات الآتية :

١ - تراوح ارتفاع إقطاعات أمراء المشراوات بين ١٠٠٠٠ دينار و ١٠٠٠٠٠ دينار

٢ - تراوح ارتفاع إقطاعات أمراء الطلخاناه بين ١٥٠٠٠ دينار و ٤٠٠٠٠ دينار

٣ - تراوح ارتفاع إقطاعات أمراء المساه بين ٨٥٠٠٠ دينار و ١٠٠٠٠٠٠ دينار

٤ - كلما زادت رتبة الأمير زاد ارتفاع إقطاعاته ، وكلما قلت رتبته قل هذا الارتفاع .

٥ - بالإضافة إلى أن الأمراء الخاصية ميزوا على الأمراء الخرجية بإقطاعات

(١) المقرئ : السلوك ١٣ ص ٦٨٦ حاشية ٢

(٢) الزوك بمناه العام مسح الأرض الزراعية في بلد من البلاد لتقدير المستحق عليها لبيت المال . المقرئ : السلوك ١٣ ص ٨٤١ حاشية ٢

(٣) إرجع لهذا البيان في صفحة ٢١٥

ذات ارتفاع أكبر ، فقد ميزوا أيضا عن غيرهم بدینار جيشي سره أكبر  
خصوصا في مرتبة الطليخاناه .

ومع ذلك فهذه التفرقات لم تكن ثابتة في كل الأحوال والأوقات ، فبعض  
أكابر الامراء بلغ إقطاع الواحد منهم مائتي ألف دينار جيشي ، وربما زاد على  
ذلك . كما أن بعضهم قل ارتفاع إقطاعه عن ثمانية آلاف دينار وما حولا (١) .

ولما كان هناك ارتباط وثيق بين رتبة الأمير ومقدار إقطاعه لذلك كان من  
الاهمية للامراء بدوجة كبيرة أن يصلوا على ترقيات ترفعهم إلى مراتب أعلى في  
مراتب الإمارة . وترقياتهم هذه كانت تتم إما بالطريق العادي التدريجي ، أو  
بالطريق الغير عادي أي بطريق الطفرة . وترقيات الطفرة كانت تتم بتأثير من  
عدة عوامل : منها إيثار بعض السلاطين لبعض الامراء ، ومنها كذلك تعاملهم  
نفوذ بعض الامراء في عهد بعض السلاطين الضعفاء . وفي كلتا الحالتين ترقى  
هؤلاء الامراء بطريق الطفرة وليس بالطريق التدريجي العادي ، فحصلوا على  
الإقطاعات المخصصة للرتب التي وقفوا عليها ، كما أن بعضهم منح إمرتين في مرتبة  
واحدة من مراتب الإمارة فحصل بذلك على إقطاع الإمرتين معا (٢) .

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ٤٣ ص ٥٠ .

(٢) من أمثلة ذلك أن برقوق التيماني رقى من رتبة المجتهد إلى رتبة أمير  
طليخاناه دفعة واحدة دون أن يمر بمرتبة أمير عشرة . أبو الحسن : النجوم

الزاهرة ١١٣ ص ١٥٤

وفي عهد السلطان برقوق أنتم على الأمير موسى بن قاري إمارة عشرة زيادة  
على إمارة العشرة التي كانت بيده فحصل بذلك على إقطاع الإمرتين معا . الجومرد :  
زبدة النفوس ص ٤٩ أ

ولم تكن الإقطاعيات هي كل ما يمنح للأمراء نظير خدماتهم العسكرية والمدنية ، فبالإضافة إليها كانوا يمنحون أيضا رواتب يومية يهرها السلطان عليهم من اللحم وتوابله ومن الخبز والزيت ومن الصمير لطبق دوابهم ، كما كان السلطان ينعم عليهم بملابس في كل عام ، كما كان ينعم عليهم بالخيول مرتين في كل عام ، مرة عند خروجه إلى مرابط خيوله في الربيع بعد اكتمال تربيها ، ومرة ثانية عند خروجه للعب بالكرة في الميدان. وبعضهم من أصحاب الخطوة لديه كان ينعم عليهم بعدد كبير من الخيول قد يصل عددها إلى مائة فرس في العام ، ويخص السلطان في هذه المناسبات أمراء المائة بخيول مسرجة ملجمة ، أما من دونهم من الأمراء فينعم عليهم بخيول عري ، أي بدون سروج أو لجم .

وعند ركوب السلطان لعب الكرة بالميدان ينعم على أمراء المائة بمواهب ذهبية ، وفي كل مرة يخرج فيها لهذا الغرض ينعم بهذه المزايا على أميرين منهم بالترتيب ، كما يطلع على أمير أو أكثر منهم بخلعة من المخرج المذهب .

وفي عيد القنطريطلع على بعض أكابر أمراء المئين بخلع من مطبوعة .

أما الخواص من الأمراء فيمنحون بالإضافة إلى ذلك العطايا عند سفرهم لبيد ، ومنحون مرتبات من السكر والحلوى في شهر رمضان ، كما كانت لهم الإسمات من السفارات والأبنية الضخمة ، كما كانت لهم الكسوى من القماش الخوص .

وإذا تقلد أحد من الأمراء مناصبا أو ولاية يطلع السلطات عليه في هذه المناسبة تشريفا يتناسب مع رتبته ومنصبه (١) .

(١) القرطبي : المواظ ٢٣ ص ٢١٦ ، ٢٢٧ - القلقشندي : صبح الأعشى

٨٤ ص ٥١ - ٥٥ - ابن شامين : زبدة كتب الممالك ص ١٠٩ .

نكات الامراء	كل ارتفاع قطاع كل واحد منهم مقدرا بالدينار الميمني <sup>(١)</sup>	سعر الدينار الميمني مقدرا بالدرهم	قيمة التكاليف التي تتضمن مقدرة بالدرهم	السماني مقدر بالدرهم
الخاصية الاولى والثاني والوزير	} ١٠٠٠٠٠٠	١٠	١٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠
الاولى لفرجة		١٠	٧٠٠٠٠٠	٧٨٠٠٠٠
الخاصية الثانية الخاصة		١٠	٢٥٠٠٠٠	٣٩٥٠٠٠
الخاصية الثالثة لفرجة		٨	٢٤٠٠٠٠	٩١٦٠٠٠
المشروعات الخاصة		١٠	٧٠٠٠٠	٩٣٠٠٠٠
المشروعات لفرجة	} ٢٠٠٠٠٠	١٠	٥٠٠٠٠	٦٥٠٠٠٠
الحكالي		٨	١٥٠٠٠٠	١٤٥٠٠٠
الولاية الحقيقية		٨	١٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠
الولاية المشروبات		٧	٣٠٠٠٠	٣٤٠٠٠٠

(١) الدينار الميمني هو دينار رمزي كانت قيمة عملة الإقطاع ، أي جملة التوصل منه ، وتكونت قيمة هذا الدينار بـ ١٣٢ درهم ، لكن قيمة تلك لم تكن ثابتة فقد كانت تتغير حسب الظروف الاقتصادية وحسب رغبة السلطان ابن الميمني : انصفه الله ص ٣

### المخصصات الإنطاكية للجند :

الجند من ماليك السلطان كانوا فئات عدة ، فمنهم المشترقات وهم من اشترام السلطان المستقر في السلطنة لذلك سكنوا يفسون إليه - ومنهم السلطانية أو القراصة وهم من كانوا ماليك لسلطين سابقين ثم أدخلهم السلطان المستقر في الحكم في خدمته وتبنيته - ومنهم السيفية وهؤلاء كانوا في الأصل ماليك لأمرام ثم انتقلوا إلى خدمة السلطان بسبب وفاة أو عزل أو معاصرة سادتهم<sup>(١)</sup>.

ولقد حرص السلاطين على أن يخصصوا لإقطاعات ماليكهم البلاد التي تلي مباشرة في العبرة<sup>(٢)</sup> لتلك التي كانت تخصص للأمرام ، وغالبا ما كان يشترك الإثنان أو أكثر في البلدة الواحدة ، وربما انفرد الواحد منهم بالبلد الواحد<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ابن شاهين : زبدة كشف المالك ص ١١٦ - المرين : الفارس المملوك ، مقال بالجملة التاريخية المجلد الخامس ١٩٥٦ م .

(٢) العبرة كلمة اصطلاحية معناها مقدار المساحة ، كما كانت تطلق على مقدار مساحة أية ناحية أو إقليم ، كما كانت تطلق على مقدار ما يكون في حيازة أى شخص من الأرض . على ابراهيم حسن : تاريخ الممالك البحرية ص ٣٤٢ حاشية .

وعبرة أى بلد معناها المبالغ المربوطة عليها . طرغان : النظم الإنطاكية ص ١٠٢ .

كما أن هذه الكلمة أصبحت تعيد معنى المتحصل السنوى من الإقطاع .

(٣) الخلفشندى : صبح الأعشى ص ٣٥ - ٤٥ .

ولقد خصص السلطان برفوق لما يليك إقطاعات مفردة - أى غصصة لهم - ومن الإيرادات المتحصلة من هذه الإقطاعات كانت تصرف لهم استحقاقهم الإقطاعية على هيئة مرائب وكباوى وجوامك (١) ، وخصص السلطان برفوق لإدارة هذه الإقطاعات والإشراف عليها ديوانا عرف بالديوان المفرد (٢) .

وأستند برفوق إلى أستاذاره ومجموعة من الموظفين تحت رئاسته (٣) مهمة

---

(١) الجوامك هى روابب خدام الدولة - والجوامكى كلمة فارسية الأصل مكونة من جملة أى قبعة ، وكى وهى أداة لسة . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢٣ ص ١٠٧ حاشية ١ .

(٢) يبدو أن إلغاء هذا الديوان فى عهد برفوق لم يكن إبتداعا جديدا ، فهناك ما يدل على وجود ديوان مفرد فى العهد الفاطمى : الفلقشندي : صبح الأعشى ٢٣ ص ٤٥٣ .

ويخبرنا المقرئى بأن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمره أنشأ ديوانا عرف بالديوان المفرد ، وأودعت فيه أموال من يخطط عليه أو يقتله أو يصادو أمواله . المرواط ٢ ص ٢٨٧ .

كما أنه يفيدنا أيضا بأنه لما قدمت الدولة الفاطمية من بلاد المغرب إلى مصر د صار للأحياس ديوان مفرد . نفس المرجع والجزء ص ٢٩٥ .

(٣) ثم ناظر الديوان المفرد ، وإختصاصه بالنظر فى الأمور والنلال الخاصة بهذا الديوان ، كما أنه يحمل عمل الاستادار فى كل إختصاصاته فى حالة غيابة .

ويتبع هذا الناظر ثلاثة موظفين هم : صاحب الديوان المفرد ، وإختصاصه لاحق بإختصاص ناظر هذا الديوان - ومستوفى الديوان المفرد ، وإختصاصه فى هذا الديوان بمائل إختصاص مستوفى الدولة ، وربما عين إنان أو ثلاثة من هؤلاء المستوفين - وعامل الباب والقنوة ، وإختصاصه ضبط وإببات كافة الواردة والمنصرف من مال وغلال .

الحالدي : القصد الرفيع ١٣ ص ١٢٧ .

إدارة هذا الديوان والإشراف عليه ، فأصبح هذا الاستادار بذلك مسئولاً عن نفقة هؤلاء المالكين وبإمكانيهم وما يخصهم لهم من عقيق وكسوة وغير ذلك من مناصات إقطاعية (١) .

والواقع أن المنصحات الإقطاعية التي كانت تمنح للمالك السلطانية لم تكن كلها ذات مقدار واحد ، فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون قسم ماله إلى مجموعات أو بابات ، وجعل لكل مجموعة أو بابة إستحقاقاً محدداً قدرته قيمته بالدنانير الجيفية ، وفيما يلي بيان باستحقاقاتهم حسب ما تقرر لهم في الروك الناصري (٢) .

بابات المالك السلطانية	إستحقاقاتهم مقدرة بالدينار الجيش	سعر الدينار مقدراً بالدرهم
البابة الأولى	١٠٥٠٠	١٠
البابة الثانية	١٠٣٠٠	١٠
البابة الثالثة	١٠٢٠٠	١٠
البابة الرابعة	١٠٠٠٠	١٠

أما مقدمو المالك السلطانية فقد خصص لكل واحد منهم ١٢٠٠ دينار جيشي سعر الدينار ١٠ دراهم ، يخصم منها ١٠٠ دينار قيمة كفاف فيصبح صافي

- (١) القريري : المواظ ٢ ص ٢٢٢ - القلقشندي : صبح الأعشى ٢ ص ١٥٣ - ابن شاهين : زبدة كفاف المالك ص ١٠٧ .  
(٢) القريري : نفس المرجع والجزء ص ٢١٨ .



الاستحقاق الإنطاقي الواحد منهم ١١٠٠ دينار جيشي (١).

وبالإضافة إلى هذه الاستحقاقات فالمالك السلطانية كانوا يمنحون ورواتب يومية من اللحم وتوابله ومن الحبوب والزيت والقمح لطبق خيولهم ، كما كان السلطان ينعم عليهم بالخيول كل عام (٢).

أما المند من ماليك الأمراء فكانوا يقاسمون أمراءهم في إنطاقتهم ، وغالباً ما تضمن المنشور الصادر باقطاع الأمير تحديداً لتصيب الأمير ولصيب جنده المالك فيه ، وغالباً ما كان ينحصر الأمير تلك الإنطاقت ولاجناده الثلثان ، أما لصيب كل جندي "مؤلا" الأجناد في الثلثين فكان يتحدد بمعرفة الأمير ذاته ، وحسب ما يراه من زيادة أو نقص بينهم .

وقد كان من الضروري على كل أمير أن يمرض أجناده بديوان الجيش ، كما أنه لم يكن في استطاعة الأمير أن يستبدل أحداً من جنوده بغيره إلا بعد عرض الأمر وأسبابه على نائب السلطنة ، فإن التمتع بما فإنه يصدر في هذه الحالة موافقة على إخراج هذا الجندي مع إستبداله بغيره عند هذا الأمير ، فيقوم الأمير عندئذ بمرض هذا الجندي الجديد على ديوان الجيش لإزال إسمه به بدلاً من السابق (٣).

أما جند الخلة (٤) - وهم محترفو الجندية من ماليك السلاطين السابقين

(١) نفس المرجع والمجزة والصفحة .

(٢) القريوى : المراسلة ٢٣ من ٢١٦ .

(٣) نفس المرجع والمجزة والصفحة .

(٤) اختلفت الآراء في تفسير كلمة الخلة ، ويقال أن جند الخلة سموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يحيطون بالسلطان ، وربما أطلقوا تسليحتهم عن التكتيك في

وأولادهم - وقوادهم (١) فناشير إقطاعاتهم كانت تصدر من السلطان ، وإقطاعاتهم هذه لم تكن كلها ذات ارتفاع واحد ، فهم أيضا كانوا يقسمون إلى عدة بابات كالماليك السلطانية ، ولكل بابة إقطاع له ارتفاع مقدر بالدنانير الحقيقية ، وقد تراوح هذا الارتفاع بين ٢٥٠ دينار لأدنى إقطاعاتهم و ١٥٠٠ دينار لأعلاهما . وهذا الارتفاع الأخير غالبا ما كان يمنح لأعيان مقدمى الحلقة (٢) .

أما سائر مقدمى الحلقة فإقطاع الواحد منهم كان يبلغ ألف دينار جيشى ، كل دينار منها بقسمة دراهم ، ينضم منها ٩٠٠ درهم قيمة كلف . أما قوادهم من بقية الآلاف فلكل منهم أربعة دنانير ، كل دينار بقسمة دراهم . ينضم منها ٤٠٠ درهم قيمة كلف (٣) .

== الخاص الذى كانت الفرق المملوكية تستعمله فى الهجوم وهو الإحاطة بالعدو . وربما كان لهذه التسمية أيضا صلة بنخطة الناورد ، وهى مكان المبارزة بالرمح فى الميدان - أو ربما كانت تسميتهم لها صلة بمعنى الدرع الذى يلبسه المحارب ، فالحلقة تفرد معنى الدرع .

الرمح : القروسية ، غملوط ص ٥٩ - طرغان . النظم الإقطاعية ص ١٧٦ حاشية ٢٩ - القاموس المحيط .

(١) كان لجند الحلقة عدة قواد ، فلكل ألف منهم أمير قائد من مقدمى الآلاف . ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١١٦ ، ولكل مائة من هؤلاء الآلاف قائد يعرف باسم الباش أو النقيب . نفس المرجع والصفحة . كما أنه لكل أربعين من هؤلاء المائة مقدم له الأمر عليهم إذا خرجوا القتال ، ويقفون معه ، وله أن يرهبهم فى موقعهم المقريرى : المرجع السابق ص ٢١٦

(٢) المقريرى : المواضع ص ٢٢٠ ص ٢١٦

(٣) نفس المرجع والمزد ص ٢١٨

أما سائر جند الحلقة ، فقيم على بيان أيا بانهم ، والاتصاع الذى خصص لكل باب منهم حسب ما تقرر لهم فى الروك الناصرى (١) .

بابات جند الحلقة	[ارتفاع أقطاع كل باب مقدرا بالدينار الجيشى	سعر الدينار الجيشى مقدرا بالدرهم
الباب الأول	٩٠٠	١٠
الباب الثانية	٨٠٠	١٠
الباب الثالثة	٧٠٠	١٠
الباب الرابعة	٦٠٠	١٠
الباب الخامسة	٥٠٠	١٠
الباب السادسة	٤٠٠	١٠
الباب السابعة	٣٠٠	١٠

وإضافة إلى هذه المخصصات الإقطاعية فكان لندوى الوظائف من هؤلاء الجند الرواتب اليومية من اللحم وتوابله ، والتخزين والزيت ، والشعير لعليق دوابهم ، كما أنه إذا نفق فرس لأحد من مقدمى الحلقة عوضه السلطات بشيره إذا أثبت ذلك ، ووسيلة الإثبات هى أن يقدم صاحب الفرس الذى نفق قطعة من لحمه وشهادة بموته (٢) .

والشئ الجدير بالملاحظة أن عبدة الإقطاع كانت هى الأساس فى اختيار جند الحلقة للعمليات والمهام العسكرية المختلفة ، فن كانت عبدة إقطاعائهم أكبر كلفوا قبل غيرهم بهذه الحملات والمهام ، ثم إذا دعت الحاجة بعد ذلك إلى

(١) نفس المرجع والمجزم ص ٢١٩ .

(٢) نفس المرجع والمجزم ص ٢١٦ .

استدعاء قهوم هؤلاء أيضا كانوا يستدعون على أساس الترتيب التنازلي لعبارة  
إقطاعاتهم ولدينا بعض الأمثلة لذلك ، ففي عام ٧٨٢ هـ عرض الأمير تامور  
الحاجب الاجناد وألزم من عبدة إقطاعه ستائة قهوم بالسفر إلى البحيرة لمقاتلة  
الهربان الخارجين عن الطاعة بها ، أو أن يقدم بدلا عنه (١) .

وفي عام ٧٩١ هـ عرضت أجناد الحلقة ، وكلف من عبدة إقطاعه أربعمائة  
دينار لا قولها ببعض المهام العسكرية .

وعندما أخذ السلطان برقوق تجهيز عام ٧٩٦ هـ للسفر إلى الشام لمقاتلة  
تيمورلنك ، قام نائب سلطنته ومعه ناظر الجيش بمرض جند الحلقة ، فمن كان  
خزده (٢) ومتحصل خراج كثير قيل له تجهز لتسير في الركاب الشريف ، ومن كان  
متحصل إقطاعه وسقط قيل له تجهز ولم يعرح له بالمسير صحبة الركاب الشريف ،  
ومن كان خزده ضعيف ومتحصله قليل له انصرف ولم يؤمر بالتجهز ، (٣) .

**الخصومات الإقطاعية لرجال الجيش من العرب والتركان والأكواد :**

سبق أن ذكرنا أن الدولة كانت تمنح الإقطاعات لبعض زعماء العرب والتركان  
والأكواد الداخلين في طاعة الدولة والذين كان لهم دور عسكري في حماية بعض  
أجزاء الدولة المالكية سواء في داخلها أو على حدودها .

وفي مصر منحت الإقطاعات لهربان البحيرة والشرقية نظير الخدمات العسكرية

---

(١) المقريزي : السالك ، مخطوط مجلد ٨ ص ١٢٦ أ

(٢) النخب اصطلاح كثر استخدامه في العصر المالكي للدلالة على معنى الإقطاع

Dazy: Supp. Diet. Ar

(٣) ابن الفرات : تاريخ الدول مجلد ٩ ص ٢٦٢

التي كانوا يكلفون بها والتي من أجلها سحام القلشندي أبواب الإدراك (١) .  
وفي مقابل هذه الإقطاعات أيضا كان يفرض على بعضهم من كانوا يسكنون  
أطراف شرق الدلتا أن يقدموا بالتوبة خيلا للبريد في خلال كل شهر ، لذلك  
عرفت هذه الخيل بخيل الشهادة ، وكان على هذه الخيل وال من قبل السلطان  
مهمته أن يستعرض في رأس كل شهر خيل أصحاب التوبة فيه ويدوغها بالداغ  
السلطاني (٢) ، ويستخدمها في أعمال البريد في المنطقة الممتدة من بليس إلى  
العريش وعان الخروبة الواقعة على حدود مصر الشرقية من ناحية الشام (٣) .

#### الإقطاعات في أحوال استثنائية لغير رجال السيف :

بالرغم من أن رجال الجيش المالكي يختلف فئاتهم وأنواعهم كانوا هم  
أصحاب الحق الأول في الحصول على الإقطاعات ، إلا أن النظام المالكي سمح  
في بعض الأحوال الاستثنائية بمنح إقطاعات لغيرهم من أصحاب القلم ، وكان  
الخلفاء العباسيون في القاهرة على رأس هؤلاء ، فتح بعضهم إقطاعات بالإضافة  
إلى محصلاتهم الراتبية الأخرى (٤) .

#### (١) القلشندي : صبح الأمان ٢٤ ص ٤٥٤

(٢) الداغ سمع تجعل في وجه البعير ونحوه ليعرف به ، ومنه الداغ بمعنى  
الهيئة ، ويقال هم على داغ واحد أي على هيئة واحدة ، وكلاهما من اصطلاح  
المولدين . محيط المحيط .

#### (٣) المعري : التعريف ص ١٩١

(٤) ابن شاهين . زبدة كشف الممالك ص ١١٤ . ومن أمثلتهم الخليفة القائم  
بأمر الله في عهد السلطان جقمق ، وكذلك الخليفة المستجد يوسف في عهد السلطان  
إينال ، وكذلك التوكل بقوب في عهد السلطان طرمان بأى الثاني ، وأبو الحسن :  
حوادث الدهور ٢٤ ورقة ٢٢٥ .

كما منحت الإقطاعات أيضا لبعض الفقهاء<sup>(١)</sup> . كما أنه في خلال عهد السلطان حسن منحت بعض الإقطاعات المحولة<sup>(٢)</sup> . وهي إقطاعات انحلت بموت مقلطها في الوفاء الذي شغل مصر في تلك الفترة . لعدد كبير من الموظفين والكتاب من أصحاب القلم كبديل للربح المالي الذي كانوا يتقاضونه من خزانة الدولة ، وكان الدافع إلى ذلك هو الرغبة في ضغط المعروفات وتخفيف العبء عن خزانة الدولة التي كانت تعاني ضائقة مالية في ذاك الوقت . ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الموظفين فقط بل منحت الإقطاعات المحولة أيضا لنفس السبب لعدد من أرباب الصدقات كبديل للصدقات التي كانت مرتبة لهم م أيضا من بيت المال<sup>(٣)</sup> .

وفي بعض فترات الانحلال التي شملت مصر خلال العهد المالكي ، خاصة في الفترات التي استبد فيها بعض الأمراء بالسلطنة في أواخر عهد الدولة المالكية الأولى ، حصلت مجموعة كبيرة من أصحاب الحسب والصناعات والباعة على إقطاعات جند الحلقة وذلك عن طريق نظام التنازل الذي أباحته الدولة في ذاك

---

(١) من أمثلتهم النقيب المالكي الشيخ خليل بن اسحاق المعروف بابن الجندی الذي كان يرتقي من إقطاع بالحلقة في عهد السلطان شعبان . المقرئى السلوك ، غرر ص ١٥٠ - وكذلك الشيخ شمس الدين الحنفى معلم المالكي بعباقرة القلم الذى أنعم السلطان طغر عليه . بإقطاع هائل . . أبو الحسن : حوادث الدهور ٢٣٣ ورقة ٢٧ .

(٢) هي الإقطاعات التي انحلت عن أصحابها ولم تدخل بعد في إقطاع أحد .  
طرغان : النظم الإقطاعية ص ٨٠

(٣) المقرئى : المواظ ٢٣٣ ص ٢٢٢

الوقت . ونظام التنازل الإقطاعى هذا ابتدئ لأول مرة في عهد السلطان الكامل شهاب بن محمد بن قلاوون بواسطة شاد الدواوين في عهده الأمير شجاع الدين أغسرلو .

وبمقتضى هذا النظام أصبح في إمكان أى جندى بالحلقة أن يتنازل عن الإقطاع الذى بيده لأى شخص يرغب في أن يحمل عله فيه وفي جندي الحلقة في نفس الوقت وذلك نظير مال يدفعه جندى الحلقة صاحب الإقطاع لبيت المال ، ومال آخر يوازي عبرة هذا الإقطاع في سنة يدفعه لبيت المال الفخض الآخر الذى سيجل على جندى الحلقة في إقطاعه ، وبالطبع كانت عمليات التنازل هذه تتم بعد مساومات ونظير فمن يحصل عليه جندى الحلقة صاحب الإقطاع من الشخص الراغب في الحلول عله فيه ، فأصبحت عمليات التنازل هذه وكأنها عمليات بيع وشراء الإقطاعات . وعن طريق هذه التنازلات تمكن عدد كبير من أصحاب الحرف والصناعات من الحصول على إقطاعات عدد كبير من أجناد الحلقة ومن الحلول بحلهم في هذه المجندية ، وكان لهذا الأمر نتائج ضارة من كافة النواحي ، فكما يقول المقرئى ، كثير الدخيل في الأجناد بذلك ، واشترت السوق والأراذل الإقطاعات حتى صار في زمننا أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حرف وصناعات وغرب منهم أراضي إقطاعاتهم (١) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد سمح لجنود الحلقة أيضا بأن يقابضوا بعضهم البعض بأقطاعاتهم نظير مال يدفعه كل من طرفي المقايضة لبيت المال ، وأتى لهذا الترض ديوان جديد عرف باسم ديوان البذل واستمر هذا الأمر قائما

إلى أن أبدى بعض الأمراء معارضتهم لاستمراره فرسم بإبطاله .

ثم لما ولي الأمير منجك اليوسفي الوزارة واستبد بالسلطة وشده في جمع الأموال أعاد نظام الزول عن الإقطاعات ومقايضاتها مرة أخرى ، فكان جندى الحلقة يبيع إقطاعه لكل من يبذل فيه مالا ، وبهذه الطريقة حصل كثير من العامة على إقطاعاتهم ، وكان الوزير في هذه السليكات رسم إعتاق معلوم .

لكن هذا النظام لم يستمر إذ أوقف للمرة الثانية ، إلا أنه لم يلبس أن أعيد للمرة الثالثة في فترة نيابة الأمير سيف الدين قبلاى عام ٧٥٢ هـ ، وفي هذه المرة فسخت عمليات المقايضة والزول بشكل كبير حتى أنها شملت أيضا إقطاعات مقدمى الحلقة ، وكنيجة لذلك زاد عدد الباعة وأصحاب الصنائع ، الذين حصلوا على الإقطاعات في ظل هذا النظام ، وأصبح لهذه العمليات سماعة متخصصة عرفوا باسم الميرسين ، بلغ عددهم نحو الثلاثمائة ميس ، وصاروا يطوفون على الأجناد يرغبونهم في الزول عن إقطاعهم أو المقايضة بها .

لكن لما فحش هذا الأمر عاد الأمير شيخون الممرى فأبطله ، وذلك عندما استقر رأس ثوبه ، واستبد بتدبير أمور الدولة عام ٧٠٤ هـ في عهد السلطان صلاح الدين صالح بن محمد بن قلاوون<sup>(١)</sup> .

وبالإضافة إلى ما ذكرناه في بعض الأحوال النادرة منحت الإقطاعات لبعض المغنيين<sup>(٢)</sup> ، كما منحت أيضا لبعض النساء ، ولقد كان السلطان حسن من بين من

(١) الميرزى : المواقظ ٢٣ ص ٢١٩

(٢) من أمثلة ذلك أن السلطان حاجى أنتم في عام ٧٤٧ هـ على أحد المغنيين



منحوا الإقطاعات الكثيرة لمن فكان ذلك من أسباب الثغمة عليه<sup>(١)</sup>.

كما أنه في بعض الأحوال الاستثنائية الأخرى منحت إقطاعات لبعض اللاجئين السياسيين<sup>(٢)</sup> ، كما منحت أيضا لبعض مشايخ العرب الذين يجلبون الخيول الممتازة للسلطين ، كنوع من المكافأة لهم<sup>(٣)</sup> .

---

= ياقطاع في الحلقة زيادة مما يده لأنه درب وأتقاه جارية السلطان على الفناء  
أبو المحاسن : انجوم الزاهرة ١٠٣ ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠

(١) نفس المرجع والجزء ص ٣١١

(٢) من أمثلة ذلك أنه في عام ٦٥٩ هـ قدم إلى مصر ثلاثة من أولاد الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فارين من وجه التتار ، فأكرمهم السلطان الظاهر بيبرس وأعطاهم الإقطاعات الجليله . أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ٢٢٣ ص ٢٢٣

وفي عام ٦٦٠ هـ قدمت إلى مصر جماعة من عماليك الخليفة المستنصر الباسي ، فأحسن إليهم بيبرس ، ومنحهم م أيضا الإقطاعات . نفس المرجع والجزء والصفحة .

(٣) الإقطاعات التي منحت لتجار الخيول من العرب غالبا ما منحت لهم في الشام وليس في مصر لأن أغلب جلال الخيول الممتازة كانوا من عرب الشام .

ومن أبرز السلاطين الذين منحوا الإقطاعات لجلال الخيول السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فقد كان هذا السلطان شغرا باقتناء السلاط المتنازة ، ويعد يطلبها من أي مكان وبأي ثمن ، فاستغل بعض شيوخ عرب آل منها وآل فضل بالشام هذا الأمر ، وانقسموا من السلطان أن يمنحهم الإقطاعات في مقابل

## المناسبات الرئيسية لتوزيع الأقطاعات

المناسبات التي وزعت فيها الأقطاعات كانت عديدة ؛ فمنها ما كان من بينها مناسبات رئيسية كانت تجري في خلالها أو في أعقابها عمليات توزيع إقطاعي على نطاق واسع . وعمليات التوزيع هذه كانت تستدعي بالضرورة إجراء مناقلات إقطاعية . والمقصود بالمناقلات في المصطلح الإقطاعي انتقال الإقطاع الواحد من مقطع إلى مقطع بأمر السلطان .

ومن أبرز هذه المناسبات مناسبة تولي سلطان جديد عرش السلطنة ؛ فقد كان من المعتاد أن يستفتح السلطان الجديد عهده بإجراء توزيعات ومناقلات إقطاعية ؛ خصوصا بين الأمراء . فالأمراء الذين لا يحظون بثقة السلطان أو الذين وقعوا منه موقفا معاديا من قبل هؤلاء ينتزع منهم إقطاعاتهم أو ينقلهم منها إلى إقطاعات أخرى عبرتها أقل (١) ويحل عليهم في إقطاعاتهم أمراء آخرون من أنصاره .

---

== إمداده بما يرغب من هذه الجيوب ، فاستجاب لاقتباسهم ومنحهم الإقطاعات التي كانت بيد بعض الأمراء بالشام ، وروض هؤلاء الأمراء عنها . المقريري . السلوك ٢٤ ص ٩١٧

(١) المبررة كلمة اصطلاحية معناها مقدار المساحة ، كما كانت تطلق على مقدار مساحة أي ناحية أو إقليم ، كما كانت تطلق على مقدار ما يكون في جباية كل شخص من الأرض . على إبراهيم حسن : تاريخ الممالك البحرية ص ٢٤٢ حاشية .

وعبرة أي بلد مضاهيا المبالغ المربطة عليها . طريخان : النظم الإقطاعية

ص ١٠٢ -

كما أنها أصبحت قيد من المتحصل الثرى من الإقطاع

ولقد كان عرض الجند من المناسبات الرئيسية أيضا التي يجري في أعقابها من  
الآخرى توزيعات ومناقلات إقطاعية على نطاق كبير .

ولقد حرص بعض السلاطين على إجراء هذا العرض بين فترة وأخرى  
خلال صومهم ، وفيه يستعرض السلطان بنفسه جند الحلقة ليتأكد من مستوى  
قدرتهم الصحية على الاستمرار في الجندية وعلى تحمل تبعاتها ، فمن يشك في عجزه  
منهم يوزله من الجندية ، وهذا يستدعي بالتبعية أن يوزله من إقطاعه أيضا (١) .

والمعزول من الجندية ومن إقطاعه يسمى بطال (٢) ، أما إذا مال السلطان  
إلى التفرق به فكان يكتب يوزله من الجندية مع نقله من إقطاعه إلى إقطاع عبرته  
أقل ، أو يوزله من الجندية والإقطاع معا مع منحه مرتب ثابت يستطيع العيش  
به ، وفي هذه الحالة يسمى طرغان . والطرغايه أشبه ما تكون بنظام التقاعد أو

(١) في عام ٨٧٤١م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون باستدعاء أجناد  
الحلقة من الأقاليم ليعرضوا بحضوره ، فنفذ أمره ، وانتهى العرضي بوزل عدد من  
المرضى والعميان والضعفاء وأصحاب العاهات والمفايض من أولئك الأجناد ،  
وفرق بعض إقطاعاتهم على أمراءه القزوين ، كما وزع البنسخ الأخر منها على  
عماله السلطانية من أصحاب الجوامك ، واشتق البعض الثالث منها كاحتياطي  
يمنحه عند الضرورة لأفنديه الذين يفدون من الخارج ، أما الباقي فمن أمسه  
الإقطاعات فقد أدخله في بيت المال . المقرئ : السلوك ج ٢ ص ١٧٧ ، ١٨٠

(٢) البطال لفظ جرى في مصطلح قوله المالك الدلالة على الأمير الذي يوزل  
عنه إقطاعه يوزله من وظيفته .

ولم يكن المعز الصالح هو السبب الوحيد لإحالة الأمير أو الجندي إلى البطالة

الإحالة إلى المعاش اليوم ، ويعرفها القلقشندى بقوله والمراد بها أن يصير الشخص مسموحا له بالخدم السلطانية ، يقيم حيث شاء ، ويرتحل متى شاء ، تارة بمعلوم يقبأوله بجانا ، وتارة بنير معلوم ، (١) .

وكثيرا ما كان يجرى عرض الجند عند تعبئة الجيش لحاجة من الحملات . ولقد حرص بعض السلاطين على إجراء اختبار لقدرة الصبية والبدنية للجند المزمع إشراكهم في هذه الحملات ، ومن أمثلة ذلك أن السلطات قايتباي أجرى في عام ٧٨٣ عرضا

== البطالة فنضب السلطات عليه لآى سبب من الاسباب قد يكون بديسا آخر لإحالة البطالة ، وفي هذه الحالة لا يكتفى السلطان بعزله من وظيفته ومن إقطاعه بل كان ينفية أيضا إلى إحدى البلاد . المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٢٧ حاشية ٢ .

إرجع لامثلة ذلك في حوادث الزهور ورقة ٥٨، ٥٩ - التحفة السنية ص ١٣ - بدائع الزهور ج ١ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٩٢ - إنباء القمر ج ١ ص ٢٢٣ - القبر المسجوك ص ٢٦٨ .

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى ١٣٤ ص ٤٨

وفي بعض الأحيان كان المقطع نفسه هو الذى يطلب إحالة الطرغايه أو البطالة وذلك إذا أيقن أنه أصبح عاجزا بسبب شيخوخته أو مرضه عن القيام بالخدمة المفروضة عليه ، فإذا كان عمل حلف ورضاء من السلطان فإنه يستجيب لطلبه مع إبقاء إقطاعه أو أى إقطاع آخر بيده يستلزمه بصفة استثنائية . ابن إياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ ، ٢٤١ - المقرئى : المواعظ ج ١ ص ٩٠ .

ولم تكن الشيخوخة أو العجز الصمى هى الاسباب الوحيدة للإحالة الطرغاية فقد تحدث الإحالة لطرغايه أيضا كنوع من العقاب يوقعه السلطان ==

الجند الذين عيّنهم لإحدى الحملات وفي خلاله أجرى إختبارا لقدرةهم البدنية والصحية بواسطة ثلاثة أقواس متدرجة في القوة والصّابة (١).

وكنّ نتيجة لذلك كره الجند عمليات المرض هذه ، وكلما سموا باحتياله إجهادها تحايلا يشقى الوسائل لصرف السلطان عنها (٢).

وبالإضافة إل ما سبق فعابا ما كان يجرى توزيع الإطعام كما زادت رقعة الارض بالفتح الخارجى ، غير أن هذا النوع من التوزيع الإطعام لم ينفذ فى أرض مصر لـ كنهه نفذ فى أراضى الشام التى أجلى الصليبيون عنها ، وكذلك

== على المقطع الذى يفضى عليه لاي سبب من الاسباب ، إلا أن العقاب الذى يقع على الطرخان فى هذه الحالة يكون أقل من العقاب الذى يقع على البطال ، فالبطال المنضوب عليه يجرم من إقطاعه ومن أى مرتب آخر كما يفتى إلى إحدى البلاد ، أما الطرخان فيكتفى بانقاص إقطاعه أو استبدال إقطاعه بمرتب ثابت ، لكنه لا يعاقب بالنفى : المقربرى : السلوك ج ١ ص ٦٥١ ، ٦٥٥ - أبو المحاسن : حوادث الدهور ج ٢ ورقة ١٤ ورقة ٢١٩ .

١ (١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠١ ، ١٣٠ ، ٢٥٨ .

(٢) فى عام ٥٧٨٩ هـ أمر السلطان الظاهر برقوق بمرض أجناد الحلقة وحدد لهذا المرض يوما مينا ، فسمى الامراء لإلتفاته وفقا بالجند ، وإنتهزوا فرصة ذكرى المولد النبوى ووسطوا شيخين من كبار قضاة مصر وقتئذ ومن أكبرهم نفوذا لدى السلطان ، وهما الشيخ سراج البلقى والشيخ برهان الدين بن جماعة . وطلبوا منهما التحدث معه فى هذا الشأن لأن الجند فى شدة عظمته يقتل السلطان شفاءها وألغاه . ابن الفرات : تاريخ الدول جلد ٩ ص ٥٥ .



المستحق عليها لبيت المال (١). وهو نظام اتبع في مصر منذ دخولها تحت الحكم الإسلامي . ورغم أنه كان من المفروض أن تترك أرض مصر لكل ثلاثين عاما حسب النظام الذي كان مقررا له (٢) ، إلا أن هذه المدة الزمنية لم يلزم بها إلزاما دقيقا ، ولذلك فقد ريكث أرض مصر كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

والمعروف أن أرض مصر ريكث خمس مرات قبل العهد المماليكي (٣). أما أول روك مملوكي فهو الروك الحساى الذى أجرى عام ٦٩٧ هـ في عهد السلطان حسام

---

Bibliothèque des Arabisants Français, 1ère serie, tome 2, (1)  
p. 200

وبكلمة الروك مأخوذة من الكلمة القبطية « روش » ومعناها قياس الأرض بالجلبل . وقد وردت هذه الكلمة بالنسخة القبطية لكتاب العهد القديم أكثر من مرة ؛ وهى بدورها مشتقة من اللفظ الديموطيقى « روش » ومعناها تقسيم الأرض . عمر طوسون : مالية مصر من ١٢١٤-١٢١٨ هـ - جمال الدين الفيصال : صنعة من الحياة الاقتصادية في مصر الإسلامية ، مجلة الثقافة عدد ٩٧ ، ٩٩ سنة ١٩٩٠ م - المقرئى : السلوك ٢٣ ص ١٤٦ حاشية ١ .

(١) المقرئى : الملاحظ ١٥ ص ٨٢ .

(٢) أجرى الروك الأول حوال عام ٩٧ هـ على يد عبد الملك بن رفاعه وال مصر في عهد الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك . وأجرى الروك الثانى حوال عام ١١٠ هـ على يد عبيد الله بن الجحاف في خلافة هشام بن عبد الملك الأموى . وأجرى الروك الثالث حوال عام ٢٩٣ هـ على يد ابن المنذر في خلافة المتز باه العباسى . وأجرى الرابع في عهد الفضل ابن أمير الجيوش بدر الجبال في عهد الخليفة الأمر القاطم سنة ٥٠١ هـ . أما الروك الخامس فقد تم إجراؤه في عهد

الدين لاجين . ثم من بعده أجرى ثاني روك المالكي عام ٧١٥ هـ في عهد السلطان  
الناصر محمد بن قلاوون . (١)

وبخبرنا ابن الفرات عن روك ثالث أجرى في شهر جمادى الآخرة عام ٧٩١ هـ  
بأمر من الأمير يلغا الناصري زعيم الانقلاب الذي أطاح بالسلطان الظاهر  
برقوق في أوائل هذا الشهر من نفس العام (٢) .

وعلمية مسح الأرض في الروك المالكي كانت تتم بواسطة عدة لجان توزع  
على بلاد مصر وأقاليمها المختلفة ، وكل لجنة تتكون من بعض الكتبة والقياسين  
والمساعدين ، ويرأسهم أمير . وبعاونهم في عملهم هذا مشايخ البلاد ودلاؤها  
وعدولها .

وتقوم هذه اللجان بمعاينة وقياس الأراضى الصالحة للاستغلال على الطيبة  
لتحديد مساحتها وأنواع ومقادير ما تنتج من محاصيل ، وأنواع ما يجني منها .

---

السلطان صلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٢ هـ السكندى : الولاء ص ٦٦ - ٦٧ ،  
٧٦ - ٧٧ .

المقريزي : المواعظ ج ١ ص ٨٢ - ٨٣ ، السلوك ج ١ ص ٨٤٢ حاشية ٣ -  
على إبراهيم حسن : تاريخ الممالك البحرية ص ٢٤١ .

(١) المقريزي . المواعظ ج ١ ص ٨٨ - ابن إياس : بدائع الزهور ج ١  
ص ١٣٧ ، ١٥٩ .

Lane Poole : The art of The Saracens, p. 16

Poliak : Feudalism in the near east, p. 24

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول مجلد ٩ ج ١ ص ١٠٩



من أموال دبرائية ومقدارها ، ومقدار ما تدره من دخل بصفة عامة ، ومقدار ما يقدمه فلاحوها من هدايا وضيافة لمقاضيها .

وثبتت هذه البيانات كلها في سجلات تعرف بالقوانين أو القناديق يرفع عليها شيوخ كل بلدة - وتقوم هذه الجوان أيضا بفحص ومراجعة السجلات التي بأيدي المقاطعين وكذلك سجلات القرية - أي مكلفاتها - لمراجعة ومقابلة البيانات التي تم جمعها عن طريق المحافظ على الطبيعة (١) .

ولقد استغرقت هذه الأعمال في الروك الحساى ثمانية وخمسين يوما ، أما الروك الناصرى فقد تم إيجازه في خمسة وسبعين يوما (٢) .

وإذا تساءلنا عن الدوافع التي دفعت إلى إجراء الروك في العهد المماليكى فإننا نجد أن أبرزها دوافع اقتصادية وأخرى سياسية .

أما الدوافع الاقتصادية فتتمثل في الرغبة في معرفة ما طرأ على حياة البلاد من زيادة أو نقص والأسباب التي تسببت في ذلك ، فالبيانات التي كانت تتجمع في هذا الشأن بعد إجراء الروك كانت تساعد الدولة على اتخاذ الإجراءات السليمة لمعالجة أسباب النقص في العبرة إذا أثبت الروك وجود هذا النقص ، كان تؤدي

(١) الأسدى : التيسير والاعتبار ورقة ١٧ - أبو الحسن : النجوم الزاهرة

ج ٩ ص ٤٣ .

المقريزى : السلوك ج ٣ ص ١٤٦-١٤٩ - النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧-٢٤٨ - ابن الجيمان : التحفة السنية ص ٣٩ .

(٢) المقريزى : المواقف ج ١ ص ٨٨ - السلوك ج ١ ص ٨٤٢ - ابن رياس :

بدائع الزهور ج ١ ص ١٣٧ - العيني عقد الجبلان ج ٢٣ ص ٥٤ .

عجزتها بمخازيع الري وبالنزع والجسور ، أو أن تسقيد المظلمين بنهرهم في  
بعض المناطق وذلك إذا ثبت لها أن أعمالهم أو قلة جهدهم كان هو السبب الذي  
أدى لهذا النقص .

وعلى ضوء البيانات التي تتجمع من إجراء الروك تستطيع الدولة أيضا أن  
تزيد الجباية في بعض المناطق وذلك إذا أثبتت هذه البيانات أن عبرتها قد زادت .  
وعلى ضوء هذه البيانات أيضا تستطيع الدولة أن تجري التعديلات الإقطاعية  
اللائمة ، وأن تميم التوزيع الإقطاعي على أسس سليمة وواقعية .

أما الدوافع السياسية لإجراء الروك فتتركز في رغبة السلطان في عزل من  
يعشاهم أو يكرههم من الأمراء من إقطاعاتهم ، أو رغبته في نقلهم إلى إقطاعات  
أقل عبءا للثغراء على نفوذهم أو تخليكه ، فيصبح الروك في هذه الحالة هو السبب  
وسيلة تمكن السلطان من تحقيق أغراضه تلك نحوهم ، مع تلافى ردود الفعل  
لديهم في نفس الوقت .

وبالإضافة إلى ما ذكرناه فقد كانت دواعي المدالة والأمن من بين الدوافع  
التي دفعت أحيانا لإجراء الروك أيضا .

ويمكننا أن نلبس هذه الدوافع كلها أو بعضها من خلال أقوال المؤرخين عن  
أسباب إجراء كل من الروكين الحسامي والناصرى .

فنحن أسباب إجراء الروك الحسامي يقول المقرئى أن : الأمراء كانوا  
يأخذون كثيرا من إقطاعات الأجناد فلا يصل إلى الأجناد منها شيء ، ويصير ذلك  
في دواوين الأمراء ، ويحتجى بها فطاع الطريق ، وتثور بها الفتن ، وتقوم بها

المهرشات (١) ، وتجمع منها الحقوق والقروض الديارية ، وتصدر ما كلة لأهوان  
الإمبراء وميتختمهم ومضرة على أهل البلاد التي تجاورها ، فأبطل السلطان  
ذلك ورد تلك الإقطاعات على أربابها وأخرجها بأسرها من دواوين الأمراء (٢)

كان بيرس النوادر يقول عن أسباب نفس الروك أن دلاجين أرمع  
روك الديار المصرية وتغير الإقطاعات وترتيب المعاملات لأن التواحي آلت  
إلى الحراب ، والفلاحين هجروا عن الخراج ، وصارت الأراضي تبور لضعف  
المزارعين وتفرق ، والشكاوى من المنطمين دامية في كل وقت (٣) .

أما أسباب الروك الناصري فيشرحها المقرئ بقوله أن السلطان الناصر محمد  
بن قلاوون أراد بروك الديار المصرية في هذه ، أن يعطل منها مكوسا كثيرة ،  
ويفضل لخامس مملكته شيئا كثيرا من أراضي مصر . وكان سبب ذلك أنه اعتبر  
كثيرا من أغنياء (٤) الممالك والحاشية الذين كانوا للملك المنصور وكن الدين  
بيرس الجاشنكير (٥) والأمير سلاز (٦) وسائر الممالك البرجية (٧) فإذا هي ما بين

Dozy : Supp. Diet. Ar

(١) إلى المشاجرات

(٢) التقرير : المرافعة ١ ص ٨٨

(٣) تاريخ بيرس ردة ٧٥

Dozy : Supp. Diet. Ar

(٤) جمع خبر ومناه الإقطاع

(٥) اغتصب الجاشنكير العرش من السلطان الناصر محمد بن قلاوون لفترة  
امتدت من عام ٧٠٨ هـ إلى عام ٧٠٩ هـ ، لكن السلطان الناصر محمد استطاع  
عام ٧٠٩ هـ أن يسترد عرشه منه بالقوة ، وقبض عليه وقتله في ذي القعدة  
من نفس العام .

ألف دينار إلى ثمانمائة دينار ، ونشى من قطع أنجاز المذكورين فوله الرأى مع العاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش أن يروك ديار مصر (١).

ومما سبق يتضح لنا أن الرغبة في القضاء على نفوذ بعض الأمراء وأتباعهم الجند كانت هى أبرز دافع لإجراء كل من الروكين الحسامى والتامرى . وكان لهذا السبب أثره الواضح في سبة تقسيم الإقطاعات بين السلطان والأمراء والجند في كلا الروكين . فقد العهد الأيوبي كان مجموع خراج مصر يقسم إلى ٢٤ قيراطا توزع كإقطاعات على السلطان والأمراء والجند ، فينال السلطان والنوابين السلطانية منها ٤ قرايط ، وتوزع ١٠ قرايط على الأمراء ، كما توزع ١٠ قرايط أخرى على الجند ، غير أن السلطان حسام الدين لاجين عمد في الروك

---

(٦) الأمير سلاو مر نائب السلطنة في عهد السلطان بيبرس الجاشنكير ، وكان له دور رئيسي في عملية إقصاء التامر محمد بن قلاوون عن العرش عام ٧٠٨ هـ متعاوناً في ذلك مع بيبرس الجاشنكير ، لكن عندما عاد التامر محمد لعرشه عام ٧٠٩ هـ نبض عليه ثم لم يلبث أن قُتل عليه .

(٧) المماليك البرجية فرقة من المماليك تكونت لأول مرة في عهد السلطان المنصور قلاوون ، وأسكنها أبراج القلعة لذلك اشتهرت بهذا الاسم ، القرطبي : المرواط ٢ ص ٢٤١

ولقد ناصرت هذه الفرقة السلطان بيبرس الجاشنكير لأنه كان منهم ، وساعده على اغتصاب العرش من السلطان التامر محمد بن قلاوون عام ٧٠٨ هـ . القرطبي : السلوك ٢ ص ٤٥

(١) القرطبي : المرواط ١ ص ٨٨ - ٩١

الذى أجراه في هذه ، ويتأخير من الدافع الذى ذكرناه ، إلى تخفيض لصيب  
الأمراء والجند ، فنخصص لنفسه والدواوين السلطانية ، ووزع على  
الأمراء والجند ، قراريط فقط ، واستبقى المئرة قراريط الباقية تحت يده  
بسبب أن نعمة منها عتجرة لما قد يستجد من السكر ، وأن القراريط العاشر منها  
محتجز لزيادة إقطاع من يثبت فيما بعد أنه قد ساق به شيء من التين<sup>(١)</sup> .

ولم يكن السلطان لاجئ بهذا فقط بل عمد أيضا إلى تخفيض حصة إقطاعات  
الجند عما كانت عليه زمن السلطان المنصور قلاوون<sup>(٢)</sup> .

ولنفس الدافع أيضا قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بتخفيض لصيب  
الأمراء والجند في الإقطاع ، فنخصص لنفسه والدواوين السلطانية ، قراريط  
وخصص لإقطاعات الأمراء والجند ، قراريط فقط . ولم يكن بذلك بل عمد  
إلى وسائل أخرى لكسر شوكتهم منها أنه فرق إقطاع الواحد منهم في عدة جهات  
« إنابا الجندى وتكثيرا الكلفة »<sup>(٣)</sup> .

أما فيما يختص بالزوك الثالث الذى قلنا أنه أجرى في شهر جمادى الآخرة  
عام ٧٩١ هـ بأمر من الأمير يلينا التامرى ، فكما قلت من قبل معلوماتنا عنه قليلة  
ولم أجد في المصادر التى رجعت إليها أية تفاصيل وافية عنه ، اللهم إلا إشارة  
موجزة عنه وأوردما ابن القرات بقوله فيها أنه في « سلخ جمادى الآخرة فرق

(١) المقريزى : السلوك ١ ص ٨٤٧ ، ٨٤٣

(٢) نفس المرجع والجزء والصفحات .

(٣) المقريزى : المواقف ١ ص ٨٨ - ٩١

الأخرى يلحقا الناصري المثلثات<sup>(١)</sup> على من يحدد من الأمراء مقدمى الألف والطبلخانات والمشرات ، وكان قد أمر بروك البلاد وقسمتها على أربعة وعشرين كانت التقادىم أولا ،<sup>(٢)</sup> . ويقوم من كلام ابن الفرات أن السبب الذى دفع بالأمير يلحقا لإجراء هذا الروك هو رغبته فى إرضاء الأمراء واستئثارهم ، وبالنسبة أولئك الذين استجدم فى مراتب الإمرة المختلفة فى أعقاب حوله السلطان برقوق ، وعلى وجه الخصوص أمراء المائة منهم .

ولكى يزيد الأمراء إضاحا نقول أن السلطان برقوق كان قد أنقص عدد أمراء المائة فى هذه من أربعة وعشرين أميرا - وهو العدد الذى كانوا عليه منذ عهد الناصر محمد بن قلاوون - إلى عدد أقل يتراوح بين الإثنى عشر والعشرين أميرا . ونفس برقوق من هذا الإنقاص أن يوفر إعطاعات هؤلاء المقدمين الذين أثنى إمرانهم وينسبها إلى الإعطاعات التى خصصها للمالكة الجديدة ، وإلى من أجلها أنها الديوان المفرد .

ويشرح القلقشندى ما فعله برقوق فى هذا الشأن فيقول أن ، الذى كان استمر عليه قاعدة الملكة فى الروك الناصرى محمد بن قلاوون وما بعده إلى آخر الدولة الأيوبية شيبان بن حسين أن يكون بالديار المصرية أربعة وعشرين مقدما ، ولما استجد فى الدولة الظاهرية الديوان المفرد الناصر السلطان ، وأقرده عدة

(١) المثال هو أول ما يكتب من الأوراق الرسمية إذ ناديا بإعطاء أحد المالكة إعطاع من الإعطاعات الحالية . القلقشندى : ضبح الأضنى ج ١٣ ص ١٥٣

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول مجلد ٩ ص ١٠٩ .

كثيرة من الممالك السلطانية والمستخدمين ، تقصت عدة المقدمين مما كانت عليه وصارت دائرة بين الثانية عشر والعشرين مقدما بما في ذلك من نائب الاسكندرية ونائبي الوجهين القبلي والبحري (١).

غير أنه لما نجح الأمير يلبغا الناصري في ثورته ضد برقوق وهزله عن سلطته في ١ جمادى الآخرة عام ٧٩٩ هـ أعاد على القرو حدد الأمراء المتقدمين - أي أمراء المائة - إلى ٢٤ - أمها كما كانوا من قبل ، وبيننا الجمهوري بذلك فيقول : ومنه الناصري الأمراء المتقدمين وجعلهم أربعة وعشرين مقدما (٢) . وكان لزاما على يلبغا نتيجة لذلك أن يخصص للأمراء الجدد الإقطاعات التي تلوهم ، فلم يجد بئس من أن يأمره بروك البلاد وقسمتها على أربعة وعشرين كما كانت التقادم أولا (٣).

ويبدو أن هذا الروك قد تم إنجازه بسرعة غير عادية والدليل على ذلك أنه في آخر نفس الشهر أي جمادى الآخرة قام الأمير يلبغا بتوزيع المثالات على الأمراء الجدد (٤).

وبعد هذا الروك لا نسمع عن روك آخر لهم إلا عملية مسح لبلاد السلطانية في الوجه القبلي فقط تمت في شهر جمادى الأولى عام ٧٩٩ هـ بأمر من السلطان الظاهر برقوق خلال العهد الثاني لسلطته . وقد شاع عملية المسح هذه في بلاد

(١) التفتشندى : صبح الاعشى ٤٠ ص ١٤

(٢) الجمهوري : نوعة النفوس والأبدان ص ٢٥

(٣) ابن القرات : تاريخ الدول والممالك ١٠٩ ص ١٠٩

(٤) نفس المرجع السابق والمجوز والمنسج

الدولة الشريفة والأملاك والذخيرة (١).

## إجراءات منح الإقطاع وارتجاعه ونقله

ورغم أن منح الإقطاع كان من الوجهة الرسمية من اختصاص السلطان فقط ، إلا أن السلطان كان يسمح لنائب سلطته بأن يمنح الإقطاعات التي عبرتها من أربساعة دينار لما دون ذلك . غير أنه إذا كان نائب السلطنة يتمتع بنفوذ كبير ففي هذه الحالة يفرضه السلطان بمنح الإقطاعات التي عبرتها أكبر من ذلك ، وبذلك من أمثلة ذلك الأمير منجك اليوسفي نائب السلطنة في عهد السلطان زين الدين شعبان الذي استطاع بنفوقه القوي أن يحصل من السلطان على تفويض بمنح الإقطاعات التي تراوح عبرتها ما بين أربساعة وستائة دينار بندير مشورته (٢) .

وعليه منح الإقطاع كانت تمر بعدة مراحل وإجراءات مقررة . وبعض

(١) نفس المرجع السابق مجلد ٩ ص ٢٦١

والدولة الشريفة ديوان مجلس له إرادات من جهات عديدة منها علماء ، وكذلك موجب البضائع - أي مكوسها - الواردة إلى مصر والقاهرة بحرا وبراً .

ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ٩٧

أما الأملاك فهي الضياع والرياح وغيرها ما كان يشتري السلطان أو لاكاربه أما الذخيرة فهي ما يتاجر به السلطان من الترابيح والموارد وغيرها . وكان للأملاك والذخيرة ديوان مختص يشترط ما يعرف بديوان الأملاك والذخيرة .

الحامى : المقصد الرفيع ص ١٢٨

(٢) ابن لباس : بدائع الزهور ص ٢٢٨



هذه الإجراءات كانت من اختصاص ديوان الجيش ، والبعض الآخر منها من اختصاص ديوان الإنشاء (١) ، إلا أن ديوان الجيش كان له الاختصاص الأول في هذا الشأن .

والواقع أن ديوان الإنشاء كان يقوم بدور معاون فقط لديوان الجيش في مهته تلك ، ويؤكد القلشندي ذلك بقوله : « علم أن مظنة الانقطاعات هي ديوان الجيش دون ديوان الإنشاء ، وما يكتب من ديوان الإنشاء هو فرع ما يكتب من ديوان الجيش » (٢) .

ورئيس ديوان الجيش - أي ناظر الجيش - الإشراف على شئون الإقطاعات ، فيأمر معاونيه من موظفي هذا الديوان بالكشف عنها ، كما أنه يشاور السلطان في شأنها ، ويأخذ خطه على أوراقها الرسمية (٣) . وبما أنه في اختصاصاته تلك أربعة من كبار موظفي هذا الديوان : أولهم صاحب ديوان الجيش . وهو يل ناظر الجيش في الرتبة ، وينوب عنه في تصريف شئون هذا الديوان في حالة غيابه - وثانيهم مستوفى الجيش ، ومهته تحديد مستحقات

---

(١) يختص ديوان الإنشاء بكافة كتب الدولة ورسائلها الرسمية سواء الواردة إليها أو الصادرة منها ، وفيه تكتب المراسيم والأوامر السلطانية وكذلك المنشورات الخاصة بالإقطاعات ، وبهذا الديوان بمجموعة من الكتاب يعرفون بكتاب الدرج يقومون بصياغة هذه الكتب والرسائل والمناشير بالصيغة الرسمية التي كان معمولاً بها وقتئذ .

(٢) القلشندي : صبح الأعشى ١٢٣ ص ١٠٢ .

(٣) نفس المرجع ٤٣ ص ٢٠ .

الجند وتسجيلها في كشوف خاصة ، والاشراف على تنفيذ ما يتعلق بها . ويأون  
مستوفى الجيش في اختصاصاته تلك إثنان من الموظفين هما مستوفى إقطاعات  
الديار المصرية ومستوفى إقطاعات البلاد الشامية (١) .

أما الممارن الثالث لناظر الجيش فهو مستوفى إقطاع العرب الذى يختص  
بشئون إقطاعات العرب . أما رابعهم فهو مستوفى الرزق الذى يشرف على صرف  
مستحقات الجند وزواتهم (٢) .

وعندما تتوفر إقطاعات جديدة بسبب زيادة رقعة الأرض الزراعية ، أو  
عندما تتوفر إقطاعات ملوثة (٣) ، فى أمثال هذه الحالات يرفع ناظر الجيش  
أمره إلى السلطان قتيلاً على أمر ذلك لإجراءات منحها لمن يختاره السلطان من  
الأمراء والجند من يتقدمون بطلبات بشأنها .

فإذا وقع اختيار السلطان على أحد منهم أمر ناظر الجيش بكتابه مثال له ،  
والمثال هو أول الأوراق الرسمية التى تصدر فى هذا الشأن ، وهو عبارة عن ورقة  
ذات مضمون مختصر يكتب فيها : جن فلان كذا ، كما يكتب فيها اسم من وقع  
عليه الاختيار لهذا الإقطاع (٤) .

(١) الخالدى : المقصد الرفيع ص ١٢٦ -

Pollak: Feudalism in the near east. p. 20

(٢) الخالدى : نفس المرجع والصفحة .

(٣) هى الاقطاعات التى انحلت عن أصحابها بموت مقطعيها أو بملزم عنها  
أو بتقلع منها إلى إقطاع آخر . طرغان : النظم الإقطاعية ص ٨٢ .

(٤) فى بعض الأحيان كان يتم توزيع المثلثات على الجند كيةً اتفاق وبدون

فإذا تمت كتابة المثال بمرقة المختصين بديوان الجيش، يرفقه ناظر الجيش إلى السلطان، فيؤشر عليه بخط بكلة، يكتب، وحل أمرها يسلم السلطان المثال الحاجب، فيسله الحاجب لمن رسم له به، فيقوم هذا بتقصيل الأرض بين يدي السلطان، ثم يباد المثال بعدها إلى ديوان الجيش ليحفظ به شاهداً، أى كتدريجى يرجع إليه وقت الحاجة. (١)

ويعتصم هذا المثال يقوم المختصون بديوان الجيش بكتابة تافى وثيقة رسمية من وثائق منح الإقطاع وهى المربة. والمربة وثيقة أو ورقة مربعة الشكل لذلك سميت بهذا الاسم، وتتميز المربة بأنها تحوى على بيانات أكثر تقصيلاً من بيانات المثال سواء فيما يختص بالمقطع أو بالإقطاع، حيث يذكر فيها مقدار الإقطاع بالفدان وحدوده واسم الإقليم والقرية والقبالة أى الخوض الواقع به أرض الإقطاع، كما أن المربة تتميز أيضاً بتوقيع جميع كتاب الجيش وموظفيه

== تحديد مسبق لاسم من سيكون المثال من نصيبه. ولقد اتبع السلطان الناصر محمد بن قلاوون هذه الطريقة عندما وزع مثالات الاقطاعات على الجند بعد الزك الذى أجراه عام ٥٧١هـ، وكل ما اهتم به السلطان الناصر محمد ونهها هو أن يسأل الجندى قبل أن يسله مثال الاقطاع عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره إلى ديار مصر وجمع من قدم إليها، وإلى من صار من الأحرار، ومن المواقع الحربية التى شهدا، وعما يعرفه من مشاة الحرب. فإذا انتهى من استيفاءه إجابة تاوله بيده مثالا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له... والقريزى : المواقف ١٦ ص ٨٨ - (٨)

(١) القريزى : المواقف ٢٦ ص ١١٧ - القريزى : تهذيب الأدب ٨ ص ٢٠٨ - مسالك الأبحار ٢٦ ولة ١٩٢٠

المختصين بشتون الإقطاعات عليها (١) .

تحمل المربة بعد ذلك إلى ديوان الإنشاء ، فيقوم كتاب الدرج به بكتابة وثيقة تالفة هي المنشور ، وهي آخر وثيقة رسمية تصدر في هذا الشأن .

ويرفع المنشور إلى السلطان ، فإذا ما وقع عليه قام المختصون بديران الجيش بالتوقيع عليه هم أيضا وذلك بعد مقابلة بياناته بالبيانات الموجودة بالمحطات الأصلية المحفوظة لديهم عن هذا الاقطاع (٢) .

وبعدور المنشور تبدأ إجراءات تسليم الاقطاع لمن أقطع له ، وتتم عملية التسليم بحضور بعض رؤساء ديوان الإنشاء ، ويسجل بحضور تسليم تحدد فيه مساحة الاقطاع وحدوده وما عليه من خراج وتعار (٣) وعدد الفلاحين المقيمين به ، وما به من جسور سلطانية وبغدية .

أما في حالة ارتجاع الاقطاع المحلول — أى الاقطاع الذى انحل عن صاحبه ولم يدخل في إقطاع أحد بعد (٤) — فإن إجراءات ارتجاعه يتولاه ديوان

---

(١) المرقري : نفس المراجع ١٣ ص ٨٧ ، ٣٣ ص ٢١٧ .

(٢) نفس المراجع ٣٣ ص ٢١٧ .

(٣) المتصدر بها التناوى السلطانية ، أى التناوى الحكومية التى تسلبها الدولة للقطع إيردها في إقطاع كنوع من المعاملة له وكوسيلة من وسائل تحسين نوعيه الانتاج الزراعى وزيادة كميته لأن هذه التناوى تكون من الأنواع المتأخرة المتأخرة ، فإذا خرج المقطع من إقطاعه تناسبت الدولة على ما أخذته من تناوى .  
المرقري : نهاية العرب ٨٣ ص ٢٥٠ - المرقري : المراجع ١٣ ص ٩١ .

(٤) طرمان : التظيم الإقطاعية ص ٨٨ .

نخص هذا العمل هو ديوان المجمع .

وكان لهذا الديوان ظاهر غير أن وظيفته لم تكن أن تكتب في عهد  
السلطان المتصور فلا يكون وقت اختصاصاتها إل موظف آخر يرف  
بمستوفى المجمع ، كما تكتب اختصاصات ديوان المجمع إل ديوان آخر  
اسمه ديوان السلطان (١) .

ومن أبرز مهام ديوان المجمع ، أو ديوان السلطان الذي تكتب  
إليه اختصاصاته، تصفية حساب القطع السابق وجباية ما عليه من مستحقات  
الدولة ، ومعاينة على ما تحصل من ذلك الانقطاع من مبالغ خراجي ، فإذا  
ثبت لديوان أن هذا القطع كان يثنى في ذلك بحسب السنة المالية  
المجرية وليس بحسب السنة الخراجية التصفية حاسبة الديوان على ما  
استول عليه من هذا المال ، وهو ما يسمى بتفاوت الانقطاع أو التفاوت  
الجزئي (٢) .

وفي حالة وفاة القطع السابق يقوم ديوان المجمع أو ديوان السلطان  
بحسابه ورسمه ، فإذا ثبت أن عليهم مستحقات الدولة فإنه يضطرونهم أو يطهرونهم  
بالتعهد على الذين حصلوا النجاة بهم (٣) .

المراجع : ١ - ٢ - ٣

١ (١) طرمان : النظم الانتاجية ص ٨٢

(٢) القريوى : السلوك ١٣ ص ٧١١ حاشية ٤ - القلقشنى : صبح

الاضى ١٣ ص ٢٢

(٣) القريوى : السلوك ٢٣ ص ١٤٠ حاشية ١

وإذا كان المقطع السابق قد حُلَّ عن إقطاعه متضوياً عليه لأي سبب من الأسباب، بقي هذه الحالة كأن لا يكتفى بمماقته بجزءه من إقطاعه فقط وإنما كانت تفرض عليه جرامة أيضاً بنفسها لغيران (١).

وبعد أن تم إجراءات ارتجاع الاقطاع تمر عملية منه إلى مقطع جديد بنفس الإجراءات التي أوجهاها من قبل. وعندما يصدر المنشور باسم المقطع الجديد وتبدأ إجراءات تسليم الاقطاع له، فنحن إذ نقوم المقطع السابق أو وريثه - إن كان قد توفي - بحاسبته عن كافة الأموال التي أنفقها في تشييد الجسور خلال السنة التي انتقل فيها الاقطاع عنه إلى المقطع الجديد، فحسب النظام الذي كان متبعاً وقتئذ كان من حقّه أن يستفيد من المقطع الثاني نظراً لما أنفق من مال سنته في عمارة سنة غيره (٢).

كما أنه تمرى بين المقطع السابق أو وريثه وبين المقطع اللاحق بحاسبة أخرى بشأن المال الملازم أى المكسوس التابعة لهذا الاقطاع والتي تعجب به عادة على حساب الشهور المالية. وغالباً ما كانت الحكومة تدخل كطرف ثالث في عملية الحاسبة هذه.

واستحقاق المقطع السابق في هذا المال يحسب بقدر عدد الشهور المالية التي مضت من العام إلى حين انتقاله الاقطاع عنه، أما المقطع الجديد أو اللاحق فاستحقاقه فيها يبدأ من تاريخ صدور منشوره في هذا الاقطاع، أما الدولة

(١) ابن حجر: إنباء الفهر ٢٣ ص ٢٢٧

(٢) القرطبي: المواظ ١٦ ص ١٠١

تستحق في هذا المال عن الفترة من تاريخ انتقال الانقطاع من القطع السابق إلى تاريخ صدور منشور القطع اللاحق (١) .

أما المنزل - أى المحصول الزراعى - فإن ما يتحصل منه يكون مشتركين المقطع اللاحق أو المستقروين المقطع السابق أو المنفصل ، ويتم تقدير حق كل منها فيه بالقرارد ، على أساس أن كل شهر من السنة بقيراطين (٢) .

---

(١) نفس المرجع والمجلد ص ١٠٧

(٢) التفتيشى : صبح الاظمى ١٣ ص ٦٢





## الغلوات والجماعات وأسبابها الرئيسية



نكبت مصر خلال العهد المماليكي بمدة موجات من الغلاء الشديد وبضعة مجاعات خطيرة فتكت بأرواح الآلاف من المصريين ، ولقد تركت هذه الغلوات والمجاعات آثارا خطيرة في حياة المصريين وفي أحوالهم المادية وفي حالتهم الاقتصادية إلى درجة دفعت بالمقريزي أن يؤلف كتابه المعروف باسم « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، واهتم المقريزي في كتابه هذا أن يقدم دراسة عن أشهر الغلوات والمجاعات التي ألمت بمصر الإسلامية بصفة عامة والمماليكية بصفة خاصة ، كما حرص على أن يعرض في كتابه هذا أهم أسبابها خصوصا تلك التي عاصرها عام ٨٠٦ هـ ، كما حاول أن يقترح الحلول لمعالجتها .

وكان لهذه الغلوات والمجاعات أسباب رئيسية سنحاول فيما يلي أن نعرضها بنىء من التفصيل .

#### ١ - انخفاضات النيل وارتفاعاته :

يحتل النيل مركز الصدارة بين العوامل الرئيسية التي أدت للغلوات والمجاعات فزراعة مصر تعتمد عليه اعتمادا رئيسيا ، لذلك كان أى انخفاض في مياهه من الحد الذى يلزم لرى الأراضى الزراعية سرعان ما يظهر أثره بعدما مباشرة على الكميات المروضة بالأوراق من المحاصيل الزراعية ، وكذلك على المنوعات التي تعتمد في إنتاجها على هذه المحاصيل ، وأيضا على أسعارها ، بل أكثر من ذلك فقد أدى الانخفاض الشديد للنيل إلى حدوث مجاعات خطيرة

وفي عهدى الأيوبيين والمماليك البحرية كان الحد الأدنى الذى يجب أن تبلغه مياه النيل لرى أرض مصر هو ١٦ كراعا ، فإذا بلغت ١٧ ذراعا أصبحت هذه المياه كافية تماما لرى جميع أراضيها ، ثم إذا تجاوزت السبعة عشر ذراعا بنائية

عشر إصبعا فإنها تبلغ الحد الذي كان أهل مصر يسمونه البجة الكبرى (١)، أما إذا بلغت ١٨ ذراعا فإنها النهاية القصوى التي إذا تجاوزتها مياه النيل أحدثت الأضرار بأرض مصر (٢)، بل كان مجرد ارتفاع النيل أحيانا إلى نهاية عشر ذراعا فقط يحدث هذه الأضرار (٣).

غير أن هذه المعايير تفتت تدريجيا في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري إذ أصبحت أرض مصر الزراعية تحتاج لارتفاع أكبر لبناء النيل حتى يستطيع هذه المياه أن تغطيها وتروىها بدرجة كافية. والتفشندي يقول أنه في زمانه أصبح فيضان النيل الذي يتراوح ارتفاعه بين ١٧ و ١٨ ذراعا فيضانا متوسطا (٤).

كما أن المقرئ يقول أنه منذ أن تدهور حال مصر بعد المجاعة التي ألمت بها عام ٨٠٦ هـ أصبح فيضان النيل الذي يبلغ ارتفاعه ١٩ ذراعا وبضعة أصابع لا يعم الأرض كلها (٥). والسبب في ذلك كله هو إهمال الجسور والقرع والخلعان وتدهور حالها (٦)، وأيضا لعدم التدعيم الذي لحق بالأراضي الزراعية

(١) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٢٨

(٢) المقرئى : المواعظ ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ - النويرى : نهاية الأرب ج ١

ص ٢٦٢

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٢٨

(٤) التفشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٢١٦

(٥) المقرئى : المواعظ ج ١ ص ٦٠

(٦) نفس المرجع السابق والمجوز والمضفة

نتيجة ترسب طمي النيل عليها عاما بعد عام في قررات الفيضان (١).

ومن الأمور الملاحظة بشكل واضح أن موجات الغلاء الخطيرة التي ألمت بمصر كثيرا ما جاءت في أعقاب قررات فيضان النيل ، وذلك في حالتين : الحالة الأولى إذا انخفضت مياه فيضانه عن الحد الذي يمكن أن يرضى أراضيه الزراعية ، والحالة الثانية إذا تجاوزت مياهه في ارتفاعها الحد الأقصى الذي إذا تجاوزته استبحرته الأراضى الزراعية أى غرقه وتسلطت زراعتها .

وفي كلتا الحالتين كانت الأسعار ترتفع بقدر النقص في الأراضى الزراعية أو استبحارها .

وهناك حالة ثالثة كان النيل يرتفع فيها في أول فيضانه إلى ارتفاع كافى ، لكنه لا يستمر على ارتفاعه هذا لمدة تكفى لرى كافة الأراضى ، ولا يلبث أن ينخفض بسرعة قبل أن وان انخفاضه ، فيقل الإنتاج الزراعى بما لذلك ، وترتفع الأسعار كما في الحالتين السابقتين .

ولما كان فيضان النيل كل هذا التأثير على إنتاج الحاصل الزراعية وأسعارها لذلك فقد كان بعض التجار الجعنين يسمدون شراء الغلال وتخزينها عند إجهاد زيادة النيل طمعا في أن تتوقف زيادته . أو أن ينخفض سريعا . وفى السنين التي كان النيل يتوقف فيها عن الزيادة في فترة فيضانه كانت الأسعار ترتفع فور انبعاث ذلك ، لكنه ما أن يستأنف ارتفاعه بعد ذلك حتى يسود السعر إلى الانخفاض مرة أخرى ، وهذا النوع من الغلاء كان يسمى عند أهل مصر باسم «الكلاء» (٢)

(١) القلقشندي : للرجع السابق ٢٠٤ من ٢٩٦

(٢) ابن القيم : نزهة القلوب ، الإيمان والكلالة

أما الأعرام التي حدث فيها غلاء وارتفاع في الأسعار ونقص في إنتاج  
الحاصل بسبب انتشار التيل أو لمرط ميوته قبل أوانه فهي عديدة ونذكر  
منها أعرام ٦٩٠ هـ (١) ٧٥١ - ٧٥٢ هـ (٢) ٧٧٦ - ٧٧٥ هـ (٣) ٧٨٧ هـ (٤)  
٧٩٦ هـ (٥) ٨٠٦ - ٨٠٨ هـ (٦) ٨٢٢ هـ (٧) ٨٢٨ هـ (٨) ٨٢٠ هـ (٩)  
٨٥٢ هـ (١٠) ٩٠٢ هـ (١١).

وقد أدى الانتفاخ الشديد للتيل في بعض السنوات التي ذكرناها إلى حدوث  
بجاعات مهلكة في أعرام ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٧٧٦ و ٨٠٦ هـ.

وقد كانت المجاعة التي حدثت في عامي ٦٩٤ و ٦٩٥ هـ من أشد هذه البجاعات  
فتكا بالمصريين وقد ساعد على اشتداد وطأتها انتشار وباء - دى سريانا ذريعا

- (١) ابن أبي عمير : بدائع الزهور ج ١ ص ١٢٢
- (٢) القرطبي : السلوك ، مخطوط ، جلد ٦ ورقة ٦١١ ، ٦١٩
- (٣) ابن أبي عمير : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٩٩ - القرطبي : إغاثة الأئمة ص ٤٠
- (٤) القرطبي : السلوك ، مخطوط ، جلد ٨ ورقة ١٥٢ ب - ابن الصديقي :  
زبدة النفوس ورقة ٢٠
- (٥) القرطبي : إغاثة الأئمة ص ٤١
- (٦) نفس المرجع السابق والمصنف
- (٧) ابن الصديقي : المرجع السابق ورقة ١٠٠ - القرطبي : السلوك جلد ١١  
ورقة ١٣٢
- (٨) المرجع : السلوك جلد ١١ ورقة ٢٧١
- (٩) نفس المرجع ورقة ١٣٨١
- (١٠) البخاري : التبر المسبوك في ذيل السلوك ص ٢٥٩ ، ٢٦٠
- (١١) ابن أبي عمير : بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٧

في المدن والقرى ، وكذلك إندثار الجذب في البلاد المحيطة بمصر كالشام وبرة .  
 عما تذكر معه جاب المعونة لمصر منها . وقد بلغ عدد الموتى يوميا خلالها إلى  
 ما يقرب من ثلاثة آلاف نفس ، وجافت الطرق لكثرة من كان يموت بها من  
 الناس وهم ما حضون بها ، واضطر الناس في بدء هذه المجاعة إلى أكل الكلاب  
 والقطط والخيول والبغال ، وأصبح الكلاب والقطط سمر تباع في الأسواق<sup>(١)</sup> ،  
 ثم لما اشتدت وطأتها أخطر الناس إلى أكل بعضهم البعض ، فكان يوجد الميت  
 وعند رأسه لحم الأدي ،<sup>(٢)</sup> وبلغ الجوع بهم حدًا جعلهم يربصون الموتى في  
 المدافن ، فإذا جرى ميت لدفته أخذوا يتصارعون مع بعضهم البعض لظفر به  
 وأكله<sup>(٣)</sup> . وحدث أن شق عند باب زويلة بالظاهر بعض الناس بعد أن ثبت  
 عليهم أنهم أكلوا صبيًا قتل أصبح الصباح لم يبق منهم شيء لأن الناس كانوا قد  
 أكلوهم بدورهم<sup>(٤)</sup> ، فكما أكلوا أكلوا ،<sup>(٥)</sup> .

كما أما مجاعة عام ٧٧٦ هـ فقد أدت في الأخرى إلى فناء عدد كبير من المصريين  
 خصوصًا الفقراء منهم ، وكان الواحد منهم يظل يصرخ من شدة الجوع ويقول  
 : « يا بابه قدر شحمة أذن أيتها وخذوها ، » ولا يزال كذلك حتى يموت<sup>(٦)</sup> .

(١) ابن أبي عمير : بدائع الزهور ج ١ ص ١٢٢

(٢) المقريزي : إغاثة الأمة ص ٢٢ - ٢٦

(٣) ابن أبي عمير : كنز الدور ج ٨ ق ٢ ورقة ٣١٥

(٤) محمد بن بهادر المؤمن : فتوح النصر القسم الثاني ورقة ١٨٤

(٥) ابن أبي عمير : كنز الدور ق ٢ ورقة ١٨٤

(٦) المقريزي : السلوك مجلد ٨ ورقة ١٨٤

أما جماعة عام ٨٠٦ هـ فتقدمت في ما بين يدي على نصف سكان مصر (١)، وبلغ من شدة وطأتها أن أصبحت دافعا للمقريزي لكي يؤلف كتابه «إفالة الأمة» الذي أشرنا إليه من قبل، وكثيرا ما أشار المقريزي إليها في مؤلفاته التي تعرض تاريخ مصر في عهد المماليك بكتلي «الحزن» و«الحوادث». ويرى المقريزي أن عام ٨٠٦ هـ من الأعرام التي لا تقى في تاريخ مصر المالية لما أصابها وأصاب أهلها خلاله من تدهور شمل جواب عديدة من حياتهم خاصة الاقتصادية منها (٢).

أما السنوات التي ارتفعت فيها الأسعار نتيجة لارتفاع النيل أكثر من اللازم فنما عام ٧٦٠ هـ الذي بلغ ارتفاع النيل فيه ١٩ ذراعا وعدة أصابع (٣)، و عام ٧٦٢ هـ الذي بلغ ارتفاع النيل فيه ١٩ ذراعا وتسعة أصابع فأغرق الأراضي ونفست الأربطة فأت عدد كبير من سكان مصر بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل على خلاف المعتاد ... وظلت الأسعار تله من يتماطى الأشغال ... (٤). وفي عام ٧٩٧ هـ بلغ ارتفاع النيل ١٩ ذراعا ونمائية أصابع، فكان طوفانا والأسعار تزايد (٥).

وعلى كل حال ففي حالات انخفاض النيل أو طغيانه كان الجوع يفتاب المجتمع كافة، حكما وعكوفين، أغنياء وفقراء، فيخرجون في جموع حاشدة إلى العراء

(١) المقريزي. إفالة الأمة ص ٤١

(٢) المقريزي: المواقظ ج ٢ ص ٩١، ٩٥، ٩٨

(٣) ابن قاضي شية: تاريخ ابن قاضي شية ج ١، لوح ١٥١

(٤) نفس المرجع والمجلد لوح ١٥٨ ب

(٥) المقريزي: السلوك ج ١٠ ورقه ٢٤٨



التضرع إلى الله والصلاة : صلاة الاستسقاء في حالة انقضاء ، وصلاة استسقاء في حالة طغيانه (١) .

في عام ٧٧٤ هـ انخفض النيل فخرج القضاة والقتهاء والناس إلى جامع عمرو بن العاص ، وحجروا بالدعاء إلى الله بأن يزيد النيل وترفع مياهه ، لكنه ظل على حالة فخرجوا بعدها بمسدة أيام إلى رباط الأماار (٢) وغسلوا آثار الرسول عليه الصلاة والسلام في النيل وقرأوا هناك القرآن ، وأعادوا هناك الضراعة إلى الله ، فلما استمر النيل في هبوطه خرج الناس إلى الصحراء خارج القاهرة ، وهم حفاة مشاة بتياب مهتتم ومهم أطفالهم .. فخطب خطيب جامع عمرو خطبة الاستسقاء وصلّى صلاتها ، وكشف رأسه عند الدعاء ... فكشف الناس جيها رؤوسهم وضجروا بالدعاء إلى الله تعالى ، وارتفعت أصواتهم بالاستسقاء وحملت أعينهم بالبكاء ... (٣)

وفي عام ٨٢٣ هـ انخفض النيل فنودي في الناس أن يصوموا ثلاثة أيام . ثم خرجوا إلى الصحراء ومهم السلطان لصلاة الاستسقاء ، وخطب الإمام فيهم خطبتين حمد الناس فيها على التوبة والاستغفار ... والسلطان يبكي ويتعجب وقد باشر في سجوده التراب بجهته .. (٤)

(١) تاريخ ابن قاضي شعبة لوحة ١٥١ أ

(٢) رباط الأماار هو مبنى للأماار كان يقع جنوب القسطنطية على النيل ، ومن هذا الاسم لأنه كان محفوف به قطعة من خشب وقطعة من حديد قيل أنها من آثار الرسول عليه الصلاة والسلام . المقرئ : المرواط ج ٢ ص ٤٢٩

(٣) المقرئ : السلوك ج ٧ لوحة ٧٩ ب

(٤) ابن حجر : إنباء النثر ج ٢ دولة ٣٧٦

## ٢ - أعمال الترع والجسور :

في بعض السنين كان النيل يرتفع في فيضانه إلى الحد المناسب والكافي لرى ، وبالرغم من ذلك كان الإنتاج الزراعى في هذه السنين خفيفا ، والسبب في ذلك يرجع إلى إهمال بعض السلاطين لمشاريع الرى والترع والجسور ، فند أوائل القرن التاسع المجرى قل الاهتمام بمهارة جسور الرى سواء البلدية منها أو السلطانية . وفي هذا الصدد يقول القلقشندي « أمل الاهتمام بأمر الجسور في زماننا وترك عمارة أكثر الجسور البلدية ، واقتصار في عمارة الجسور السلطانية على الشيء اليسير الذي لا يحصل به كبير نفع » (١) .

كما أنه منذ تدهور حال مصر بعد جماعة عام ٨٠٦ هـ صار السلطان الناصر فرج بن برقوق يجه من البلاد مالا كثيرا لحساب عمارة هذه الجسور ، ولكنه كان يمتنع هذه الأموال لنفسه ، ويفرق بعضها على أعوانه ، ولا يصرف منها شيء البتة على الجسور ، وفي الوقت نفسه يفسخ الناس في عمارتها (٢) .

واستمر هذا الإهمال طوال العهد المماليكي المركسي (٣) فكانت النتيجة الحتمية لذلك أن تدهورت امكانيات الرى بمصر ، وأصبحت مياه الفيضان - التي كانت تكنى من قبل الرى - غير كافية لرى كافة الاراضى الزراعية ، والسبب في ذلك هو إهمال شئون الجسور ، ولولا ما من الله تعالى به على البساد من كثرة الزيادة في النيل حتى صار يجاوز قسمة عشر ذراعا لما فوقها إلى ما جاوز العشرين

(١) القلقشندي : الأضئ ج ٢ ص ٤٤٤ ، ٤٤٦ .

(٢) المقرئى : المراسط ج ١ ص ١٠١ .

(٣) المقرئى : السلوك جلد ١١ ورقة ١٣٦٥ .

لغات وهي أكثر البلاد وتطاعت زراعتها ، (١) .

ويخبرنا الأدي بأنه لما أتممت عمارة الجسور اختل أمرها فأصبحت غير قادرة على حماية الأراضي من من غالة الفيضان ، ففرقت أراضي عديدة بسببها (٢) . ولقد انعكس هذا على كمية الإنتاج الزراعي ، وعلى المروض بالأسواق من المحاصيل الزراعية ، ففي عام ٨٢٨ هـ كسدت الأسواق ، لأن أرض مصر أكثرها يغير ذراطة لقصور عد النيل في أوانه وقلة السناية بعمل الجسور (٣) . وفي عام ٨٢٢ هـ تدمرت الجسور في بعض التواحي لعدم العناية بها رغم أن النيل لم يكن قد بلغ في ارتفاعه وقتها إلا أقل من ثمانية عشر ذراعاً فقط ، ثم لم يلبث النيل أن انخفض بسبب قرب مياهه وتدفعها من خلال الجسور التي تدمرت قتل وجود الفلال وارتفعت أسعارها (٤) .

والإهمال الذي لحق بالجسور لم يقتصر عليها فقط بل شمل أيضا الترع ، فسلطين المالك الذي كانوا يهتمون بحفر الترع أو تطهيرها كانوا قلة ومنهم السلطان الظاهر بيبرس البندقداري ، والسلطان المنصور قلاوون وإبنه السلطان الناصر محمد بن قلاوون . لكن بعد السلطان الناصر محمد لا نجد في المصادر التي رجعت إليها ما يدل على أن أحدا من السلاطين الذين حكموا بعده حتى نهاية حكم المماليك قد اهتم بحفر ترع جديدة أو تطهيرها اللهم إلا السلطان برسباي قط الذي جدد حفر خليج الاسكندرية (٥) ، وكنيجة لذلك أصبح من الصعب على

(١) القلشندي : نفس المرجع السابق والجزء . والمصفحات .

(٢) الأدي : التيسير والاعتبار ورقة ١٤٨ .

(٣) المقرئ : السرك جلد ١١ ورقة ١٢٦٥ .

(٤) نفس المرجع ورقة ١٢٩٤ .

(٥) المقرئ : المراط ١ ص ١٧٢ .

مياه النيل أن تصل إلى أراضي كثيرة ، فبدأت مناطق عديدة تعتمد في ربحها على المطر ، وأصبح الإنتاج الزراعي في هذه المناطق رهنا بظول المطر ، رغم أنه حتى أوائل القرن التاسع الهجري كانت الأراضي التي تعتمد على المطر لزى أراضيها قليلة (١) .

ففي عام ٨١٨ هـ قل بظول المطر ، فلم ينجب الزرع بنواحى الوجه البحرى كله من الشرقية والغربية والبحيرة ، ولا حصل منها وقت الحصاد طائل ، (٢) ثم لطف الله تعالى بظول النيل ... فجادت الزروع ونمت وزادت وتراخى السمر ، (٣) .

وفي عام ٨٣٨ هـ قل محصول بعض الفواكه وارتفع سعرها بسبب تأخر بظول المطر (٤) ، كما أنه في عام ٨٦٩ هـ ارتفع سعر القمح لعدم تناسل الزرع بالوجه البحرى لقلة المطر بل لعدمه بديار مصر وأعمالها ، (٥) .

### ٣ - السد الحسية :

عرفنا من قبل أن الخشب كان له دور رئيسى في الرقابة على الأسوان ، لذلك كان هناك ارتباط وثيق بين صلاح أمره ، صلاح أمر الأسوان .

وكما ذكرنا من قبل كان يراعى في العهد المماليكى البحرى وأوائل العهد

(١) التفتشندى : صبح الأعشى ٢٣ ص ٣٠٨ .

(٢) القريوى : السلوك ، خطوط ، مجلد ١٠ ورقة ١٩٥ .

(٣) ابن حجر : إنباء السمر ٢٣ ورقة ١٩٤ .

(٤) نفس المرجع والمجلد ورقة ٥٩٢ .

(٥) أبو الحسن : حوادث الدهور ٢٣ ص ٤٩٨ .

المركى أن لا يتقلد الحسبة إلا المتممين ورجال القلم قط (١) ، لأن هؤلاء كان لهم من القبح الدينية التي لأفادها عليها ما يضمن زعامتهم عند مباشرتهم لمهام وظيفتهم ، لذلك لم يكن غريباً أن يشترط أحدهم على السلطان الناصر محمد بن قلاوون شروطاً لقبول وظيفته الحسبية التي عرضها عليه السلطان أثناء أزمة في الفلأل وإرتفاع في سعرها عام ٧٣٦ هـ ، وقد نزل السلطان على رغبته ووافقته على الشروط التي اشترطها ومنها أن يضمن له السلطان عدم تدخل الأمراء بتنفيذ تحليل الحطة التي يقررها لمعالجة الأزمة (٢) .

ونجد لهذا الموقف شبيهاً في عام ٧٩٨ هـ ، فقد رفض أحد القضاة قبول وظيفته الحسبية التي عرضها السلطان برفوق إلا بعد أن وافق السلطان على شروطه التي اشترطها ، وتشد ، وهي أن لا يتدخل الأمراء أو رجال السلطان في إغتنصاماته ، وأن لا يجبره أحد برمايات (٣) .

غير أنه منذ عهد السلطان المؤيد شيخ بدى في تعيين محققين من غير رجال الدين ، فأستند هذا السلطان وظيفته الحسبية إلى أحد الأمراء من رجال السيف (٤) .

---

(١) الباز العريش : الحسبة والمحققون في مصر ، مقال بالجملة التاريخية المصرية المجلد الثالث العدد الثاني ، أكتوبر ١٩٥٠ م .

(٢) الزمنى : فتوح النصر ، مخطوط ، القسم الثاني ورقة ٢٦٩ .

(٣) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك مجلد ٩ ص ٢٤٩ - والبرمايات هي أن يطرح السلطان - لما على التجار ويجبرهم على شرائها منه بالسعر الذي يحدده .  
القرطبي : المراجعة ١ ص ٢٢٢ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ١١ ص ٢١٠ - ابن حجر : إنباء الفتن

٢ ورقة ١٠٥ .

بل إننا نجد أن الحسبة أسندت في عام ٨٧٣ هـ إلى رجل من أصحاب الحرف كان يعمل في دكان سكرى ولم يكن يصلح لهذا المنصب إطلاقاً إذ كان حامياً جلفاً قليل الخير كثير الشر ، (١) . وبالطبع انعكس هذا على الحسبة ففسد أمرها ، ففسد حال الأسواق بدورها نتيجة لذلك وأخذت الأسعار في الارتفاع .

غير أن هذا لم يكن هو العامل الرئيس في فساد الحسبة ، فالعامل الأساسي في فسادها يرجع إلى أن المحتسب أصبح يعين منذ عهد السلطان برقوق بالبراطيل (٢) ، والمحتسب الذي كان يسجر عن أداء ما ألزم به من مال كان يعزل على الفور (٣) . واستمر هذا الوضع قائماً في العهد المملوكي المبركسي باستثناء حالات قليلة كان المحتسب يعين فيها بدون رشوة ، وذلك في الحالات التي كان يشتد فيها الغلاء وتستحكم الأزمة الاقتصادية ويشتد حيق الناس بدرجة تنذر بالخطر ، ففي هذه الحالات فقط كان يضطر السلطان إلى إختيار محتسب يتوهم فيه النزاهة والكفاءة ويعينه بغير مال ، (٤) .

وما يذكر في هذا الشأن أنه في عام ٨٠٩ هـ عين في منصب الحسبة أربعة محسبين خلال شهر واحد ، وذلك لأن هؤلاء الأربعة تناقصوا عليه ، فكان من

(١) ابن حجر : إلباء الغمر ج ٢ ورقة ٢٨٨ .

(٢) البراطيل هي الرشاوى والأموال التي كانت تؤخذ من يمينى لى يمين وإلّا أو عقبا أو قاضيا أو فى أى وظيفة من وظائف الدولة . المقرئى : للمواظ ج ٢ ص ١١١ .

(٣) المقرئى : السلوك ، مخطوط عاد ١ . ورقة ٢٥٠ ب - ابن حجر : المرجع السابق ورقة ٢٢٩ .

(٤) المقرئى : نفس المرجع والمجلد ورقة ٢٥٣ ا .

قام في نفسه أن يبيد المبلغ ، فيخلع عليه ، ثم يقوم آخر فيصرف الذي قبله ... (١) .

وفي مقابل البراطيل التي كان الخسبون يدفعونها لأهل الدولة بكمية الدولة بدورها تقضى عليها من قسراتهم ، فيبدأ الواحد منهم منذ اللحظة التي يتولى فيها منصبه في فرض الإتاوات على التجار والباعة ويشتطها من أخلاق المسلمين وديارهم ، (٢) ، وذلك لكي يوسع ما يملكه من مال ، أو لميليلج في المستقبل من رشوة وسعيا لاتباع السلطان ليتمكن بموئنتهم وفروهم من الاستمرار والبقاء في الوظيفة . والنتيجة الطبيعية لهذا هو فساد المسبة والمفسين إلى حد كبير ، والمقرري يصف أحدهم وهو نجم الدين الطنبدى الذي غفل هذه الوظيفة في عام ٧٩١ هـ فقال عنه أنه : كان شيخا جهولا وبليها مهولا ، ... السيرة في المسبة والفتنة ، متافعا على الدوم ولو تاده إلى البلاد ، لا يمتثل من أخذ البرطيل والرشوة ، ولا يراعى في مؤمن إلا لأولاه . (٣) .

وفي مقابل المال الذي كان الخسبون يفرضونه على التجار والباعة أخضعوا أعيانهم منهم وأهلوا في مراقبتهم ، فأخذ التجار والباعة بدورهم في التلاعب في السلع وفي أسعارها ليعوضوا المال الذي يدفعونه لهم ، وكل ذلك بالطبع على حساب عامة الشعب عما كان له أسوأ الأمر على الناس فأنجسوا في ثوبوات فاحشة ضد هؤلاء المفسين عمليين أيام مسئولية الأزمات الاقتصادية والفلاح . ففي عام ٧٤٩ هـ رجعت العامة إلى الأطروش الخسب ، (٤) . وفي عام ٨٧٨ هـ ظهرت

(١) ابن حجر : المرجع السابق ودقة ٧٢٩ .

(٢) ابن أبي عمير : بدائع الزهور ٣ ص ١٨ .

(٣) المقرري : المواظ ٢ ص ١٧٢ .

(٤) المقرري : السلوك ، غلطوط ، جلد ٩ ورقة ٨١ .

جماعة من الناس على المحتسب القاضي بدر الدين العيني بسبب إهمال أمر الباعة (١). وبلغ الاستهتار ببعض المحتسبين إلى الحد الذي جعل واحدا منهم يستغل نفوذه عام ٨٥٢هـ لاحتكار القمح ، فأمر أن لا يبيعه أحد من التجار إلا يأذن منه ، وأخذ يبالغ بالعزب كل من يشتري القمح من التجار الذين لم يأذن لهم ببيعه ، وكان عرضه من ذلك أن يجر هؤلاء التجار على أن يبيعوا له وحده القمح وبالسعر الذي يفرته عليهم ثم يقوم هو ببيعه بعد ذلك بالسعر الذي يحق له الربح الكثير. لكن تعرفاته هذه جعلت الناس يتعبدون تحت القلعة فاضحين ، وأخذوا يصيحون مستغيثين بالسلطان ، وما أن رأوا المحتسب مارا بهم حتى انهالوا عليه بالنسب والسب ، مع وجهه بالحجارة فاصدين دفته وإنباده (٢) ، فاضطر السلطان أن يخرجه تهدئة لهم ، ونودي بإبطال المظالم المتعددة في الحسبة (٣).

وفي عام ٨٨٥هـ وقعت جماعة من الناس السلطان قايماي في طريق موكبهم وشكوا له من أمور الحسبة بأنها ضالة ، فاضطر السلطان إلى عزل المحتسب لإرجائه لهم (٤).

وما زاد الخلق به أنه في أواخر عهد المالك انتقلت الحكومة من الحسبة والمحتسب وسيلة لبيع أموال وجبايات جديدة من التجار والباعة ، وأطلق على بعض هذه الأموال اسم المقامرة لأنها كانت تهيئ منهم شهريا ، بينما أطلق على البعض الآخر منها اسم الماشية لأنها كانت تهيئ منهم كل سنة . وقد بلغ ما تحصل

(١) ابن حجر : إنباء القبر ٣٣٠ ذوق ٥٠٠.

(٢) السخاوي : القبر المسبوك في ذيل السبوك ص ٢٦٠.

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) ابن الأثير : مناقب الوزراء ٣٠٠ ص ١٨٦٦.



من هذا المال في عهد السلطان النورى ألقان وسبهاة دينار ، منحت إقطاعا لبعض الأمراء (١) . فكان من نتيجة ذلك أن أخذت السوق تبيع البضائع بما يختارونه من الأمان ولا يقدر أحد أن يكلمهم ، فإن كلمهم أحد يقولون طينا مال السلطان ، (٢) . وأخذ التجار البيع ورغبة في إرتفاع سعرها ، فشد الضيق بالناس حتى أن المالك السلطانية ذاتها هبت ثائرة في القلعة وأخذت تصيح مطالبة بإبطال المشاهرة والجائمة ، حتى ما تلقى شيء تأكله ، (٣) .

#### ٤ - العملة :

لبيت العملة الماليكية بأنواعها الثلاثة : الدينار الذهبى ، والدرم الفضى ، والفلس النحاسى دورا رئيسيا في تحديد أسعار السلع ، فارتقاع سعر هذه العملة أو انخفاضه كان يؤمر بالنوعية وبصورة مباشرة على إرتقاع سعر السلع أو انخفاضه . وهذه الظاهرة تتطلب منا أن نبحث عن العوامل التى كان لها دخل في رفع أو خفض سعر العملات الماليكية ، ثم رد الفعل الذى كان يتمكّن نتيجة لذلك على الحالة الإقتصادية بصفة عامة وأسعار السلع بصفة خاصة .

أما فيما يختص بأسعار العملة فقد كانت تتحكم فيها عوامل ثلاثة : أولا قانون العرض والطلب ، وثانيا حياز هذه العملة وحجمها ووزنها ، وثالثا حجم سلاطين المالك ورغبتهم في الإكراه والكسب بأى وسيلة كانت .

وفي عهد المالكى البحرى كان يتم تحديد أسعار السلع الكبيرة القيمة على أساس سعر الدينار الذهبى وكذلك الدرهم الفضى الذى كان يعرف بالدرهم النقرة .

(١) نفس المرجع والجزء ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع والجزء ص ٥٩ .

(٣) نفس المرجع ص ٤٠ ص ٤١ .

وهو درهم ثلثاه فضة وثلثه نحاس (١) . أما السلع القليلة القيمة أى التى تقل قيمتها عن الدرهم فكانت قيمتها تقدر بالعملات النحاسية التى كانت تعرف وقتئذ باسم الفلوس .

وفى العهد المملوكى البحرى أيضا كان الدينار والدرهم يرتبط سعر كل منهما بسعر الآخر ، وهذا السعر لم يكن ثابتا فقد كان يتأرجح صعودا وهبوطا تبعا لعدة عوامل أهمها مدى توفر الذهب الذى كان يضرب دنانير ، وكذلك أيضا مدى توفر الفضة التى كانت تعرب دراهم .

والحقيقة أن مصر كانت تعاني نقصا فى الذهب والفضة منذ بداية العهد الأيوبي ، ويقول المقرئى أنه فى عام ٥٦٧ هـ ، عمت بلوى الضائقة بمصر لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا ، وعندما قلما يوجد ، ولجئ الناس بما معهم من ذلك ، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكأنما ذكرت حرمة النور له ، وإن حصل فى يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له ، (٢) .

(١) القلشندى : صبح الألهى ٣ ص ٦٢ .

(٢) المقرئى : السلوك ٣ قسم ١ ص ٦ - ومن كلام المقرئى هذا ففهم أن ذهب وفضة مصر تعرضا لعمليات تهريب إلى خارجها . والواقع أن عمليات التهريب هذه بدأت خلال العهد الفاطمى ثم استمرت كذلك فى العهد الأيوبي ، فدينار مصر كان يحمل إلى بعض البلاد خارجها كاليمن مثلا لأن الناس هناك كانوا يتعاملون به . عمارة بن أبى الحسن : كتاب تاريخ اليمن ص ٥٩ ، ٥٩ كما قام الصليبيون بدور نشيط أيضا فى تهريب الذهب من مصر خلال العمليات الحربية التى عاشرها مع الفاطميين والأيوبيين من بعدهم . عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٧٢ .

كأن الفضة المصرية كانت تهرب من مصر إلى أوروبا خلال =

ولقد ظل تناقص الذهب في مصر مستمرا في العهد المالكي وذلك لسدة  
مراحل منها :

(١) استهلاك كيات كبيرة من الذهب في صناعة الحل ، فالمالك وإمرائه  
مصر كان لهم شغف كبير باقتناء الأدوات والآواني والحلي المصنوعة من الذهب ،  
بل درجة أن مهابين خيولهم كانت تصنع من الأخرى من الذهب الخالص (١) .

وبما يؤكد لنا كثرة ما كان يتنليه أمراء المالك من الذهب والتحف الذهبية  
أنه عندما همم العامة على قصر الأمور فوصرون عام ٧٤٢ هـ وجدوا به كيات  
كبيرة من الذهب والآواني والحلي الذهبية فنبهوها ، فكان من نتيجة ذلك أن  
كثر الذهب في أيدي الناس فانخفض سعر الدينار الذهبي إلى ١١ درهما بد ما كان  
بشترين درهما (٢) .

== العهد الأيوبي لكي يباد سكتها في دور السك الإيطالية بالبندقية وقورنسا  
درام فضية . عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ص ٧٣ ، ٧٤ .  
وبجانب عمليات التهريب هذه فقد حرمت مصر خلال العهد المملوكي من  
ذهب السودان الغربي الذي كانت تستورده من هذه البلاد بالتوافل عبر الصحراء  
الكبرى ، وذلك منذ أن سيطر المرابطون وبنو حلال على الطرق المؤدية إلى مصادر  
هذا الذهب بالسودان الغربي . أوفقي اسكندر : بحوث في التاريخ الاقتصادي  
( مقال مورييس لومبار : الأسس النقدية للزيادة الاقتصادية ) ص ٦٠ - ٦٤ .  
وبالإضافة إلى ذلك فقد قللت مصر خلال عهدى المماليك والأيوبيين الكم  
من ذهبها وفشتها في تكاليف العمليات الحربية التي حاجتها ضد الجليبيين .  
عبد الرحمن فهمي : المرجع السابق ص ٧٢ .  
(١) القزويني : المواقف والاختيار ص ٩٧ .  
(٢) نفس المرجع والمجلد ص ٧٢ .

ب - تهريب التجار لذهب مصر الى البلاد التي كانت تلقى فيها هذه الذبايير  
وراجا كريلع على سبيل المثال (١) .

ورغم أن سعر الدينار خلال العهد المالكي البحرى كان يتراوح بين ٢٠ الى ٣٠ درهما نقره ، الا أن جشع بعض السلاطين كان له أثره فى رفع سعره أحيانا رفعا مفتلا ليحققوا من وراء ذلك الربح لأنفسهم . ومن أمثلة ذلك أنه فى عام ٧٤٠هـ كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدينا لبعض التجار ، وكان سعر الدينار وقتئذ يساوى ٢٠ درهما نقره فقط ، فأصدر أمره برفع سعره الى ٢٥ درهما نقره ، ثم قام بعدها بتسديد ما عليه لتجار بدمرها الجديد ، فاستطاع بذلك أن يحقق لنفسه وفرا فى قيمة الدين يبادل قيمة الفرق بين سعرى الدينار . ولم يبال بما أحدثه فعله هذا من توقف أحوال الناس لزيادة سعر الذهب (٢) .

أما الدرهم النقرة فكما سبق أن قلنا كان ثلثاه فى أوائل العهد المالكي البحرى فنه وظلته نحاس ، وظل محتفظا بميزاه هذا حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، ثم بدأت نسبة الفضة فيه تقل قليلا عن الثلثين (٣) ، وفى نفس الوقت أخذت نسبة النحاس فيه تزيد على الثلث ، واستمرت نسبة الفضة فيه فى النقصان ونسبة النحاس فى الزيادة حتى أصبح عشرة فقط من الفضة وتسعة أعشاره من النحاس وذلك فى أواخر العهد المالكي المبركى (٤) ، وهذا راجع إلى التناقص المستمر الذى كان قد

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٣١

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٤٨

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٦٢ ، ٤٦٣

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٤

بدأ جند العهد الأيوبي في كيات الفضة التي كانت تضرب دراهايم بمصر ، حتى أنه في عام ٨٧٤ هـ اختفت الدراهايم الفضية في الأسواق فأصبحت هناك صعوبة بالغة في إتمام العمليات التجارية المتوسطة القيمة التي تقل قيمتها عن الدينار والتي يتحتم معها إزاء ذلك دفع قيمتها بالدراهايم ، فاضطر السلطان الناصر محمد بن قلاوون عندئذ أن يخرج من خزائنه مليوني درهم وأنزلهما إلى الصيارف وأخذ منهم دنانير بدلا منها ، ولدت الأحوال قليلا ، (١) . ورغم ذلك فقد ظلت أزمة الدراهايم مستحكة ، ولذلك ففي عام ٨٧٤ هـ كانت الأحوال متوقفة لفة وجود الدراهايم ورد الباعة من التجار والتميشين الذهب لنحو صرفه ، فشق ذلك على الناس مشقة زائدة ، (٢) . ولقد ظل تناقص الفضة مستمرا حتى إذا كان عام ٨٧٨ هـ ، كثرت التكاية في الناس جميعهم من وقوف الحال وقلة الدراهايم ، (٣)

وتبع عن تناقص الفضة في مصر أن أخذ سعر الذهب في الارتفاع لكثرة من يطلبه لأن الفضة كانت في غاية القلوة ، (٤) فوصل سعره عام ٨٠٢ هـ إلى ٢٧ درهما (٥) .

ونحن إذا تساءلنا عن أسباب أزمة الدراهايم الفضية فإننا نجد أن أسبابها الرئيسية هي :

- 
- (١) المقرئى : المرجع السابق ج. ص ٤٩٤
  - (٢) نفس المرجع والجزء ص ٥٢٠
  - (٣) المقرئى : السلوك ، خطوط مجلد ٨ ورقة ١٣٢
  - (٤) ابن حجر : إنباء الغمر ١٣ ورقة ٨٠٩
  - (٥) ابن الصيرفى : زمة النفوس والأبدان ١٦ ورقة ١٢٨

أ - التوسع في صياغة الفضة حليا ، واستخدامها على نطاق واسع في صناعة الأدوات والآلات والملابس والسروج وذلك منذ تفتح أمراء السلاطين وأتابغهم في دواى الغرب وتأنقهم في المباحة بفاخر الزى وجليل الشادة . وقد اضطرت الحكومة إزاء ذلك أن تصدر الأوامر فى عام ٨٢٩ هـ بمنسح صناعة الأدوات والآلات من الفضة (١) ، وكانت ترجع من وراء هذه الأوامر أن تتوفر كيات الفضة اللازمة لجرب دواهم جديدة .

ب - انقطاع ما كان يصل الى مصر من الفضة من بلاد الفريج وغيرها (٢).

وكنيجة حتمية للتناقص المستمر المزابدى كل من الذهب والفضة فى مصر اضطرت الحكومة الممالكية الى التوسع التدريجى فى سك العملة النحاسية ، الفلوس ، واضطر الناس كذلك الى التوسع التدريجى فى التعامل والبيع والشراء بها ، فأصبحت هذه العملة الضئيلة الشأن أمية فبدأ سرما يرتفع نتيجة لذلك . وكان سرما عندما بدأ حكم للمالك مقدرا على أساس أن كل ٤٨ فلما متبا بدرهم نفرة . ولكن بعد عامين فقط من حكم الممالك أى فى عام ٨٦٥ هـ ارتفع سر الفلوس فأصبح كل ٢٤ فلما متبا بدرهم ثمرة ، فقتل ذلك على الناس ..... لما فيه من الحسارة لأنه صار ما يشتري بدرهم من ما كان يشتري من قبل بنصف درهم . (٣)

(١) ابن حجر : المربع السابق ٢٥ ورقة ٦١٧

(٢) التفتشدى : صبح الأمان ٢٥ ص ٤٦٢

(٣) المقريزى : أحوال الأمة ص ٦٩

ثم لما كان عهد السلطات العادل كتبنا جارت حاشية هذا السلطان وبما ليكه على الناس وشروها في أخذ الرشوى والبراطيل ، فكان من نتيجة هذا الفساد أن لحق الفساد والنش بالفلوس أيضا وبدأ يخف وزنها يخف عن الحد المقرر لها ، فبدأ الناس يتوقفون عن التعامل بها بالعدد ، فقرر التعامل بها بالوزن على اعتبار أن كل رطل منها يدرهمين نقرة ، وكان هذا أول ما عرف بمصر من وزن الفلوس والمعاملة بها وزنا لا عدداً (١)

واستمرت الفلوس يخف وزنها وفي نفس يرتفع سعرها ، فانعكس ذلك على أسعار السلع التي تباع وتشترى بها ، وحدثت أزمات بالأسواق نتيجة لذلك وأخفى التجار والباعة السلع بعد أن رفضوا التعامل بها أو قبولها من المشتري ، ومن الأمثلة الواضحة لذلك أنه في عام ٧١٩ هـ خفف الزغلية (٢) من وزن الفلوس ، وبالرغم من ذلك فقد ارتفع سعرها فأصبح الرطل منها بثلاثة دراهم نقرة ، فرفض أصحاب الدكاكين قبولها من المشتري لهذا السعرا فبدأ فيه من قبل لم على

#### (١) نفس المرجع والصفحة

(٢) الزغلية : طائفة احترفت صناعة العملة المنشوشة ، وكانت لهم اصطلاحات تدارفوا عليها في محلم ، ومنها أنهم كانوا يسمون النقعة المنشوشة باسم «المنشوشة» ، والنعم الذي يستخدمونه في محلم هذا باسم «الزبيب» ، والكبير الذي ينفخون به «الشيخ» ، الشربيني : هو المنحرف ص ١٨٢

ومن بين الوسائل التي استخدموها في نش العملة أنهم كانوا يرشونها أي يردون من محيطها الخارجى ، أو يسمون أجزاءها منها : الأبدى : التيفيد والاضبار ورقه (٣) ب .

اعتبار أن قيمتها الحقيقية أقل من هذا السعر لما فيها من غش وزغل ، فارتفعت أسعار السلع نتيجة لموقعهم هذا ، فاحظر والى القاهرة أن يقبض على الكثيرين منهم وحضرهم إلى المقارع ، لكن لم يزدحم هذا إلا إصراراً على موقعهم ، وامتنع الأمراء من بيع الخروء لئلا ينجم من الخلل إلى الطحانين فتتج من ذلك أزمة في الخبز وفي بعض السلع الأخرى (١) .

وزاد غش الفلوس فبكرت بها الفلوس المعروفة من الرصاص وغيره ، كما أخذ الإغلية يقصرون الفلوس إلى ثلاث قطع ويخرجونه إلى السوق على اعتبار أن كل قطعة منها فلس قائم بذاته (٢) ، فتكرر رفض التجار والباعة لهذه الفلوس المنخفضة وتكرر توقفهم عن قبولها من المشتريين مما أدى إلى تكرار إختفاء السلع من الأسواق وارتفاع سعرها ، فاحظر السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون إزاء ذلك أن يقوم بمحاولة لرد الاعتبار إلى الفلوس وقيمتها فضرب في عام ٨٧٥٩ قلوفا جديدة وزن الفلوس منها مثقالا (٣) ، وجعل التعامل بها بالعدد على اعتبار أن كل ٢٤ فلوس منها بدوهم نقرة كما كان سعرها من قبل في بداية عهد المماليك ، كما أمر بأن يكون كل فلس من هذه الفلوس المجدد بفلسين من الفلوس المتق (٤) . فأصبح هناك سعران للسلع ، سعر بالفلوس الجديدة وسعر بالفلوس المتق فتسبب ذلك في حدوث اضطراب وارتباك في الأسعار ، وعلقت سائر البضائع بسبب ذلك

(١) القريزي : السلوك ج ٢ ص ٢٠٠

(٢) القريزي : السلوك ج ٢ ص ٤٤٤

(٣) وزن المثقال يساوي ١٧ من وزن الدرهم ، أي أن وزن الدرهم يساوي ١٧٠ من وزن المثقال .

(٤) القريزي : السلوك ، مخطوط ، مجلد ورقة ٢٩ ب



ووقف حال الناس (١).

ومنذ أوائل العهد المالكي المراكشي أصبحت الفلوس هي العملة الأساسية المتعامل بها بشكل رئيسي في كافة أنواع التعامل التجاري وذلك لقلة الدينار والدراهم ، فأصبحت الفلوس نتيجة لذلك عطا لأطباع كل مستغل وجتمع من رجال الدولة ، فضربت بالاسكندرية عام ٧٩٢ هـ في عهد السلطان برفوق وقلوس فاقصة الوزن عن العادة طمعا في الربح فأل الأمر فيها إلى أن كانت أعظم الأسباب في فساد الأسعار (٢) . كما ضربت هذه الفلوس بكثرة د حتى فسد بكثرها حال إقليم مصر (٣) . وبجانب ذلك فقد ارتفع سعر الرطل منها إلى ما يقرب من أربعة دراهم ونصف ، ثم بلغ سعر الرطل منها في أوائل القرن التاسع الهجري إلى أكثر من ١٢ درهما ، رغم أنه كانت توضع منها عند وزنها قطع مكسرة من النحاس الأحمر والأصفر (٤) ، بل وصل الأمر بها أن ضربت منها في عام ٨٠٣ هـ فلوس خفيفة الوزن جدا ، وجعل سعر الرطل منها بأكثر من ٣٠ درهما ، وظهر في الجلة أنها ليست حالا يفتق لوجود الخلل في قيمتها وأنها ليست حل قيمة واحدة (٥) .

وكنتيجة لذلك فإننا نلاحظ بوضوح ارتفاع الأسعار تدريجيا في بداية القرن التاسع الهجري ، ففي عام ٨٠٤ هـ وغلا كل شيء (٦) . وفي عام ٨٠٥ هـ انخفضت

- 
- (١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٦
  - (٢) ابن حجر : إنباء الفهر مخطوط ج ١ ورقة ٣٤٠
  - (٣) القريزي : المراءض ج ٢ ص ٢٩٧
  - (٤) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠
  - (٥) ابن حجر : إنباء الفهر ج ١ ورقة ٧٠٤
  - (٦) ابن دقاق : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ج ٢

الأسعار جدا: (١) .

والواقع أن الارتفاع التدريجي في سعر الفلوس النحاسية كان يرجع بالدرجة الأولى إلى قلة الوارد إلى مصر من النحاس الذي يلزم لضرب هذه العملة ، كما كان يرجع أيضا إلى تهريب الفلوس المعزية إلى الحبشة واليمن وغيرها من البلاد ، هذا بالإضافة إلى أن كيات كبيرة من النحاس كانت تستهلك في صناعة القندور والآواني والأدوات النحاسية التي كان يستخدمها المجتمع المصري المائلي في ذلك الوقت (٢) .

غير أنه بالرغم من ذلك فبعض الارتفاع الذي لحق بسعر الفلوس لم يكن طبيعيا في بعض الأحيان حسب قانون العرض وطلب ، بل كان مفتعلا بتدبير من بعض السلاطين الجوعين ؛ ومن أمثلة ذلك أن السلطان فرج بن برقوق كان مدينا في عام ٨١٢ هـ لبعض التجار ، فرأى أن يسدد لهم دينهم بالفلوس ، لكنه قبل أن يبدأ عملية السداد أمر برفع سعر رطل الفلوس من ٦ دراهم إلى ١٢ درهما ، وذلك لكي يوفر لنفسه من قيمة الدين ما يساوي هذا الفرق في السعر (٣) . لكن التجار والباعة وجدوا أن هذا الرفع المفتعل في سعر الفلوس سيلحق بهم الخسائر ففلقوا حرايتهم ، فحدثت أزمة في احتياجات الناس من الأسواق ، فتشجع الأمراء لدى السلطان لكي يبيع سعر الفلوس إلى ما كان عليه من قبل فاضطر للاستجابة لرجائهم ، فتحدثت الحوايت على أثر ذلك وعادت السلع تظهر بها مرة ثانية (٤) .

(١) الفلشندي : صبح الأهرى ج ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٤٠

(٢) المقرئى : السلوك ، غلطوط ، جلد ١٢ ورقة ٤٢٤ ب

(٣) العيني : عقد الجفاف ج ٢٢ ص ٢٣٦

(٤) ابن حجر : إنباء الفهر ج ٢ ورقة ٦

وبلغ الأمر بالفلوس أن أصبح يطلق عليها اسم الدراهم الفلوس ، فأصبح هناك درهمان : الدرهم النقرة وهو الدرهم الذى تناقص وجوده إلى حد كبير - والدرهم الفلوس الذى شاع وجوده وكثر بين الناس إلى حد كبير (١) . غير أن المقرئ يقارن بين القيمة الشرائية الكبيرة التى كانت للدرهم الفضة فيما مضى ، وبين القيمة الشرائية المنخفضة التى أصبحت للدرهم الفلوس فى زمانه ، ويحسّر على الدراهم الفضة ويقول أنها كانت دراهم ... (٢) .

ومن أسوأ النتائج التى ترتبت على كثرة الدراهم الفلوس وشيوع التعامل بها أن أصبح الدينار الذهبى يسعرها كما كان يسعر بالدراهم الفضية من قبل ، فأصبح الدينار الذى كان يتراوح سعره فى العهد المملوكى البحرى بين ٢٠ إلى ٣٠ درهما لفترة أصبح سعره عام ٨٠٦ هـ أى فى أوائل العهد المملوكى الممركى ١٥٠ درهم فلوس ، أى أن الدينار زاد سعره بالدراهم الفلوس إلى خمسة أضعاف سعره الأول تقريبا ، أى بالدراهم الفضة . ولقد انعكس هذا على أسعار السلع فارتفعت أسعارها لارتفاعها حاللا عام ٨٠٦ هـ ، ولتدليل على ذلك نقول أن أردب القمح الذى كان سعره ٤٠ درهما فى ١٠٠٠ هـ أصبح سعره فى عام ٨٠٤ هـ ٧٠ درهما (٣) ثم أصبح سعره فى عام ٨٠٦ هـ ٤٠٠ درهم (٤) . وهكذا أصبحت الفلوس سببا رئيسيا من أسباب الأزمة الاقتصادية الرهيبة التى خيمت على مصر

(١) عبد الرحمن فهمى : النفود العربية ص ٩١

(٢) المقرئ : إغالة الأمة ص ٧٣

(٣) ابن دلفان : الجوهر الثمين ورقة ٢٦١

(٤) البنى : عقد الجمان جلد ٢٧ ورقة ٢٧٨

في عام ٨٠٦ م وما بعده (١) وهي التي أسماها المقرئى كافلنا من قبل باسم  
« المحن » و « الحوادث » (٢). وينتو المقرئى بالنتائج العذرة التي ألحقها الفلوس  
بالناس وقتئذ فيقول ، فدمى الناس بسبب ذلك داهية أذهبت المال وأوجبت  
قلة الأفرات (٣) .

ولقد صاحب انتشار الفلوس النحاسية بمصر انتشار عملات أخرى أقبل  
الناس على استخدامها والتعامل بها هي أيضا وذلك كنتيجة ثمانية لنقص الدنانير  
الذهبية والدرهم الفضية النقرة في مصر . وهذه العملات هي الدنانير الذهبية  
والدرهم الفضية الإفريقية والتي عرفت بأسماء عدة منها الدوكاه أو البندقى ،  
والافلورى أو الافرتى (٤) .

(١) المقرئى : إغالة الأمة ص ٧٢

(٢) المقرئى : الملاحظ ٢٥ ص ٩١ ، ٩٥ ، ٩٨

(٣) المقرئى : إغالة الأمة ص ٧٢

(٤) كان روجر الثانى حاكم دوقية أبوليسا هو أول من ضرب الدوكات .  
ولقد استمدت هذه العملة اسمها من كلمة Ducatus أى دوقية التي كانت  
منقوشة عليها . ولقد انتشرت الدوكات في أوروبا حتى أنها استعملت في  
فلورنسا في عام ١٢٥٢ م ، ثم ضربت عملة ذهبية على مثالها عرفت باسم الإفرتى  
Florin وفي عام ١٢٨٤ م ضرب دوق البندقية ( جون داندالو ) الدوكات البندقية  
على مثال الدوكات التي ضربها روجر ، وكانت دوكات البندقية نوعين : ذهبية  
وفضية .

وظهور الدنانير الإفرنجية في مصر يرجع إلى حدود عام ٧٩٠ هـ (١)، أما الدوام الإفرنجية فأول إشارة تدل على وجودها في مصر ترجع إلى عام ٨١٦ هـ (٢).

ولعل السبب الرئيس لإقبال الشعب على استخدام الدنانير الإفرنجية - خاصة دوكات البندقية - هو دقة سكها من حيث إستدارة القطعة منها تماما ، ووزنها الثابت ، وعيارها المرتفع ، بينما كانت الدنانير المالكية المعاصرة لها مختلفة العيار والوزن والسك والقطر ، لذلك كان من السهل على التجار أن يتعاملوا بالدنانير الإفرنجية بالمدد بينما كانوا يضطرون عند التعامل بالعملة المالكية إلى وزنها (٣).  
فبعد أن بعض سلاطين العهد المملوكي حاولوا إعادة الثقة في الدنانير المصرية وذلك بتوفير الذهب الذي يكفى لسكها ، ولقد قاموا بعدة محاولات لاجتذاب الذهب إلى مصر ففقدوا معاهدات مع البندقية التي كانت تعتبر وقتئذ ملكة الذهب في العالم المسيحي ، ونقصت هذه المعاهدات الذهب الذي يأتي به التجار المتبادرة معهم إلى مصر بحرية بحرية تقل كثيرا عن الضريبة المفروضة على السلع

== ولقد وصف القلقشندي الدنانير الإفرنجية والدوكات وصفا إيجابيا فقال أنها مشيخة أى منقوش عليها رسوم أشخاص ، فكل أحد وجبها صورة الملك الذي ضربت هذه العملة في عهده ، وعلى الوجه الآخر صورة بطرس وبولس الخواريين الذين بعث بها المسيح إلى روما - القلقشندي : صبح الأمتى ٢٣٥ من ٢٣٧

(١) المقرري : السلوك ، مخطوط مجلد ١٠ ، ورقة ٢٩٠

(٢) نفس المرجع والمجلد ورقة ٢٧٨

(٣) عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ص ٩٧

الأخرى ، كما أنهم خففوا الضرائب على السبائك الذهبية إذا أعطاهما أصحابها  
لنار السك المصرية لتضرب فيها دنانير عالىكية ، وقدرت هذه الضريبة بـ ٢ ٪  
فقط بينما كانت الضريبة على السلع المستوردة تقدر بـ ١٠ ٪ (١) .

والمحاولات التي بذلها بعض سلاطين العهد الممركسى لإعادة الثقة في العملة  
المملوكية لم تقتصر فقط على الدنانير وإنما شملت أيضا الدرهم والقولس ولقد  
بدأت هذه المحاولات في عهد السلطان فرج بن برقوق ، فقد ضرب في عهده دنانير  
جديدة عام ٨٠٢ هـ عرفت باسم الدنانير السالية نسبة إلى اسم الأمير يلغا المسمى  
المشرف على سكها ، وكان الغرض من سك هذه الدنانير أن تصرف الناس عن  
التعامل بالدنانير الأفرنجية (٢) ، لذلك روى فيها أن تكون متعددة الأوزان  
لكي يسهل التعامل بها ، فكان منها دينار ووزنه مثقالان ، ودينار أصغر من السابق  
وزنه مثقال ، ثم دينار ثالث وزنه نصف مثقال (٣) .

كما قام السلطان الناصر فرج بضرب دنانير أخرى جديدة عرفت بالناصرية ،  
ودوى فيها أن يكون وزنها مثالا لوزن الدينار الأفرنجي ، وكان المقصود بها أن  
تعمل على الأفرنجي لأن ذهبه كان أكثر نقاء وجودة (٤) .

أما السلطان المؤيد فقد وضع نصب عينيه أن يخفض أسعار العملة التي كانت

(١) نفس المرجع ص ١٠١-١٠٢

(٢) القريزى : المراعظ ص ٢٩٧

(٣) ابن الصديق : لزعة النفوس والأبدان ورقة ١٦٤ — المبنى : بقدر

الجان ٢٣٣ قسم ٢ ورقة ٢٢٢

(٤) نفس المرجعين السابقين ونفس الصفحات

قد ارتفعت كثيرا كما أشرنا من قبل ، وأن يحمل الدرهم القنص هو أساس التعامل القنصي بين الناس ، ولكي يحقق خطته هذه حرب دراهم مؤبدية جديدة من النقعة الخاصة بالنمير عذرة وجلبها ثلاثة أنواع لكي يسهل التعامل بها وهي : درهم سره ثمانية عشر فلما ، ونصف درهم سره تسعة من الفلوس ، وربع درهم سره أربعة قوس ونصف ، فحصل للناس بذلك وفق عظيم ، (١) .

كما أصدر المؤيد أمراً بتخفيض سعر وطل الفلوس من ستة قوس إلى خمسة قوس ونصف ، لكن هذا التخفيض جاء متعارضاً مع الأسعار الواقعية التي كان معمولاً بها في الأسواق وقتئذ حسب قانون العرض والطلب ، فلحق بالناس الضرر لأنه في الوقت الذي خفضت فيه أسعار العملة ظلت أسعار المبيعات والأجور ثابتة كما هي (٢) ، فهاج الناس واشتدت شكواهم ، فاضطر السلطان إزاء ذلك إلى إصدار الأمر بتخفيض أسعار السلع في الأسواق بنفس النسبة التي خفض بها أسعار العملة (٣) ، فأطاع التجار والباعة أمره على مضض ، فأصبح بعضهم ممد إلى التوقف عن جلب البضائع والسلع كما عمد إلى إخفاؤها ، فأصبح الناس في حقيق من ذلك (٤) .

ولم يلبث الرغبة أن أسندوا على المؤيد كل محاولاته لإصلاح أمر العملة ،

(١) البيني : ضد الجلبان ٢٣ ، قسم ٢ ورقة ٢٩٩

(٢) المقريري : السلوك ، خطوط ، بجلد ١٠ ورقة ٢٠٣ .

(٣) ابن الصديقي : نزعة الفلوس والأبدان ورقة ١٩١ .

(٤) المقريري : السلوك ، خطوط ، بجلد ١٠ ورقة ٣١٧ ، بجلد ٣١٨ .

فقد امتدت أيديهم إلى الدراهم المؤبدية فانتقصوا وزنها بجرشها (١) ، كما ضربوا على مثالها دراهم من النحاس المخلوط باليسير من الفضة ، فاهتزت الثقة بدراهم المؤبد ومادت الأهمية للفلوس ، وعادت لها الصدارة في المعاملات التجارية بين الناس . غير أنها هي أيضا لم تلبث أن زاد فسادها لزيادة نقص النحاس في مصر وزيادة إرتفاع سعره ، فصار يخلط معها أكثر من ثلاثة أرباع وزنها مسامير حديدية مكسرة ، ونمال خيل حديدية ، وقطع من النحاس والرخاس (٢) .

ولقد حاول السلطان الأشرف برسباي أن يقوم هو الآخر بمحاولة إصلاح جديدة العملة ، فأصدر أمراً بمنع التعامل بالفلوس المخلوطة ، وأن يكون التعامل فقط بالفلوس المنتقاة غير المخلوطة ، ولكي يضمن النجاح لمحاولة تلك حرص على أن يكون واقفياً وأن يساير الارتفاع الفضل لسعر النحاس وتحتد ، فرفع الرطل من الفلوس المنتقاة إلى ٩ فلوس (٣) ، وكان أمه من رفع سعر الفلوس المنتقاة أن يقل تهريبها إلى خارج مصر ، غير أن عملية تهريبها استمرت رغم ذلك ، وبدأ الناس في إخفاء الفلوس التي تسلمهم بمد أن سرت شائعة بأن السلطان سيرفع سعرها مرة أخرى ، وكان قصد من ذلك أن يستفيدوا من الزيادة الجديدة المرتقبة ، فساعد كل ذلك على حدوث أزمة في الفلوس ، حتى أن الشخص

---

(١) عرف المقرئى حرش العملة فقال أن الحرش معناه أن يرد من الدرهم حتى يخف وزنه ويصير نحو ربع درهم . المقرئى : السلوك ، غطاوط ، مجلد ١١ ورقة ٣٤٩ ب .

(٢) نفس المرجع مجلد ١١ ورقة ٣٤٠ ب .

(٣) ابن حجر : إنباء النمر ٢٣ ورقة ٣٥١ .



يدور بدور من القصة ليصرفه فلا يجد به فلوساً ، (١) ، فاضطر السلطان برسباي لإزاء ذلك أن يزيد سعر الرطل منها للمرة الثانية حتى بلغ ١٢ فلساً (٢) ، فستندد بدا الناس يظهرونها (٣) ، لكن رغم ذلك فقد ظل سعرها يرتفع للأسباب التي سبق أن ذكرناها حتى وصل سعر الرطل منها إلى ٢٧ درهما فلوساً (٤) .

هذا فيما يختص بالفلوس ، أما الدنانير فقد أقدم برسباي على محاولة جديدة لمقاومة الدينار الإفرتي على وجه الخصوص وذلك بعد لاحظ إشتاره الكبير في كل مصر والشام والحجاز واليمن وإقبال الناس على التعامل به برغبة وثيقة فيه ، فغضب دینارا ذهبيا جديداً على ذمة الإفرتي عرف بالاشرفي ، وأصدر أمراً بمنع التعامل بالإفرتي بحجة أنه يعمل شعار الكفر الذي لا تجيزه الشريعة المحمدية ، وأزم الناس أن يعملوا ما لديهم من الدنانير الإفرتية إلى دار الضرب ليعاد سكها هناك دنانير أشرفية . لكن الناس خسروا بسبب ذلك خسائر كبيرة لأن دار الضرب كانت تدفع لهم في ثمن الإفرتي ٢٢ فلساً فقط ، بينما كان سعره الفعل المداول به في الأسواق وقتئذ هو ٢٢ فلساً . كما أن الدنانير الأشرفية التي ضربت بدل دنانير الإفرتية جعل سعرها مرتفعاً يزيد على الإفرتي بمشرة دوام (٥) . وبالرغم من ذلك فقد ظل الناس إلا قليلاً منهم يتعاملون بالدنانير الإفرتية ، حل عاداتهم في الاستهانة بمراسم الحكم ، (٦) .

(١) ابن الصيرفي : نزهة الفلوس والأبدان ورقة ٢٢٨ .

(٢) نفس المرجع والورقة .

(٣) ابن حجر : إنباء الفهر ٢٠ ورقة ٢٩٨ .

(٤) نفس المرجع والمجلد ورقة ٥٨٥ .

(٥) المقرئ : السلوك ، مخطوط ، مجلد ١١ ورقة ٣٧١ ب ، ٤٠٤ .

(٦) نفس المرجع والمجلد ورقة ٢٧٨ ب .

أما فيما يختص بالدرام الفضة فقد وجد برسبای أن الناس في عهده يتعاملون بأنواع عديدة منها كالمؤيدية التي سبق أن سكبها السلطان المؤيد ، والبندقية جريب البندقية ، والقرمانية ضرب بنى قرمان بآسيا الصغرى ، والتكية ضرب بلاد السجم ، والقبرصية ضرب قبرص . ولم يكن في كل هذه الدراهم ما يصلح للتعامل به إلا المؤيدية والبندقية ، لذلك سمح برسبای بالتعامل بها فقط ، أما الدارهم الأخرى فقد منع التعامل بها لأن أربع أعضارها كن نحاسا (١) . وفي نفس الوقت ضرب برسبای دراهم فضية جديدة باسمه عرفت بالآشرفية ، وحدد سعر الدرهم منها بـعشرين فلسا (٢) . وملاحظ أن سعر الدرهم الفضى الآشرفى يزيد على سعر الدرهم المؤيدى ، وهذه الزيادة بالطبع كانت نتيجة حتمية لنقص المستمر في كميات الفضة الموجودة بمصر وازدياد تهربها إلى الخارج ، وكان برسبای يدرك هذه الحقيقة لذلك فقد أمر بعدم صنع الأدوات والأواني من الفضة ، كما تشدد مع التجار الذين كانوا يهربون الدراهم الفضية إلى الحجاز ويبيعونها هناك لتجار المنود بربيع كبير (٣) .

وفي عهد السلطان الآشرف إينال ضربت دراهم جديدة لكنها جاءت مفدوشة إلى درجة كبيرة حتى أن العامة أخذت تتندر عليها ويقول الواحد منهم : إن كان نصفك ( أى النصف درهم ) إينال لا تقف على ذكائى ، (٤) ، فاضطر إينال لإزاء

(١) نفس المرجع والمجلد ورقة ١٤٠٤ .

(٢) نفس المرجع مجلد ١٢ ورقة ٤٢٤ ب .

(٣) نفس المرجع والمجلد ورقة ٤٢٢ - ابن حجر : إنباء للفرج ٢٠٢ ورقة ٦١٧ .

(٤) ابن المحاسن : حوادث الممور ٢٠٢ ص ٢٩٥ .

ذلك أن يلغيا ، فأمر العامة يكلون سريتهم ويقولون ، السلطان من عكته  
أبطل نفسه ، (١) .

وبما جد إقبال الحد من التصاعد المستمر في أسعار العملة فسر الدينار الذهبي  
بـ ٢٠٠ فلس فقط زعم أن سعره الذي كان معمولاً به في الأسواق وقتئذ كان قد  
بلغ حوالي ٤٠٠ فلماً . ثم أمر بانقاص ثمن جميع المبيعات من اللبوس والمأكول  
وغيرها بمقدار الثلث لكي لا يلحق بالناس الضرر بعد أن خفض سعر الدينار ،  
غير أن الباعة وأصحاب الحرايط غلقوا حوانيتهم مترضين على تخفيض أسعار  
السلع ، فقهدهد إقبال في معاقبتهم وساعده عامة الناس في الإبلاغ عنهم ، فبعد  
ذلك تبرع أبواب البضائع في بيع بضائعهم بثمن ما كانوا يبيعونه أولاً من جميع  
الاشياء فقيرها وجلبها ... فإنه لو ترك الناس حل مام عليه لواد سعر الدينار  
حتى يبلغ ألف درم (٢) .

لكن رغم كل المحاولات التي قام بها سلاطين الجراكسة لاصلاح العملة  
والحد من ارتفاع سعرها إلا أن سعرها رغم ذلك ظل في ارتفاع مستمر بسبب  
التقصير المستمر في الذهب (٣) كالمقنعة والنحاس ، وظلت أسعار السلع ترتفع تباعاً

(١) نفس المرجع والمجلد والمقنة

(٢) نفس المرجع والمجلد ص ٢١١

(٣) من بين العوامل التي ساعدت على زيادة نقص رصيدة مصر من الذهب في  
العهد المماليكي الجركسي تحول نظام التعامل التجاري بينها وبين الدول الأوروبية التي  
كانت تاجر معها من نظام الدفع بالنقد إلى نظام المقايضة ، وهو النظام الذي  
بدأ ظهوره في المعاهدات التجارية التي عقدت بين مصر وبين بعض الدول الأوروبية =

لذلك من الأخرى ، ففي عهد السلطان مايتباى ارتفع سعر رطل الفلوس إلى ٢٦ قسا (١) فارتفعت الأسعار في كافة السلع (٢) .

ولا شك أيضا أنه كان من بين أسباب استمرار ارتفاع الأسعار في أواخر عهد المماليك تدهور القيمة الشرائية لملاتهم بعد أن زاد الفس والزلزل فيها إلى

التجارة كالبندقية وقرولسة منذ القرن الخامس عشر الميلادي . توفيق إسكندر :

نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في المصور الوسطى ص ٢٩ .

ولا شك أن النظام الأول ، أي نظام الدفع بالنقد كان يقيح لمصر الحصول على مقادير كبيرة من العملات الذهبية من هذه الدول ثمنا لشترائاتها التجارية منها ، خصوصا وأن قيمة صادرات مصر إلى هذه الدول من السلع الشرقية كالقفل والنوابل والبهارات بأنواعها كانت أكبر من قيمة صادرات هذه الدول إليها . توفيق إسكندر : بحوث في التاريخ الاقتصادي ص ١٧٩ .

أما السبب الذي دفع هذه الدول إلى التحول إلى نظام المقايضة مع مصر فيرجع إلى أنها أصبحت تعاني صعوبة في الحصول على الذهب من مصادره في السودان الغربي عن طريق شمال إفريقيا . فالبرتغاليون منذ أن ارتكادوا الطريق البحري الموصل إلى ساحل إفريقيا الغربي ووصلوا إلى ساحل غينيا عام ١٤٦٠ م بدأ ذهب السودان الغربي يتجه عن طريق البحر بالدين البرتغالية إلى البرتغال ، فحرمت منه البندقية وغيرها من الدول الأوروبية التي كانت تتاجر مع مصر ، فأصبح من المنعذر عليها لهذا السبب الدفع بالذهب ، فاضطرت إزاء ذلك إلى الإتفاق مع مصر على نظام المقايضة ، وهو نظام ساعد ولا شك على زيادة أزمة الذهب في مصر . توفيق إسكندر : بحوث في التاريخ الاقتصادي ص ٨٢ - ٨٦ .

(١) ابن أبي عمير : بدائع الزهور ٢٤ ص ٢١٠

(٢) نفس المرجع والمجلد ص ٢١١

حد كبير ، وبعد أن أصبحت هذه العملات المنشوشة تسك في دار الغرب المحكومية ذاتها بعلم من الحكومة ويدون إعراض منها . ويبدو ذلك واضحا في عهد السلطان الغوري فضاء من دار الغرب في عهده أصبح لا يتورع عن سك العملة المنشوشة وجشع في إضافة النحاس والرصاص إلى الذهب والفضة جارا (١) ليحقق لنفسه أكبر ربح ممكن ، ولذلك كانت العملة التي سكنت في عهده السلطان الغوري سواء الذهبية أو الفضية أو الفلوس من « أنحس المعاملات ، جميعا زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا معاملة في مدة من المال » (٢) .

#### • - المكوس :

سبق أن عرضنا في الفصل الخاص بالنظام المالي أنواع المكوس الكثيرة والعديدة التي كانت تجبي من الناس على اختلاف فئاتهم ومنهم وحرفهم . وأوضحنا أن جشع السلاطين لم يقف عند حد في هذا الأمر ، وبالطبع كان لهذه المكوس دورها الواضح في رفع الأسعار بالأسواق . ولقد نوه أكثر من مؤرخ من مؤرخي مصر المالكية بذلك فالتفتشدي قال أنه كان يجبي من القاهرة وحدها إثنان وسبعون مكا ، حتى عمت البلوى بهذه المكوس ، (٣) .

ويقول القرطبي أنه كرد فعل لكثرة المكوس التي كانت تجبي من التجار والباعة أصبح هؤلاء ، يديدون في الأسعار عامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان ، (٤)

(١) نفس المرجع ج ٣ ص ٥١

(٢) نفس المرجع الجزء والصفحة

(٣) التفتشدي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٦

(٤) للقرطبي : السلوك ج ١ ص ١٣٤

وبما زاد في بلوى هذه المكوس أن بعضها كان له ضامن يقوم بأدائها لديوان  
السلطان مقدما ، ثم يقوم هو بعد ذلك بجمعها حسب إجهاده ، فإن زاد المال  
الذى دفعه لديوان السلطان كانت له هذه الزيادة<sup>(١)</sup> . وبالطبع ما من ضامن إلا  
وكان يجمع من المال بزيادة كبيرة عن المال الذى دفعه ، وهذا يتمكس بالتالى  
على الأسعار ، فكل جباية تجبى من التجار والباعة كانوا يموثونها من المستهلكين  
كما أوضحنا من قبل .

ولقد ساهمت الجبايات المرحقة التى كانت تجبى من الفلاحين في نقص  
الإنتاج الزراعى وفي حدوث أزمات اقتصادية وارتفاع في الأسعار ، ومن  
أمثلة ذلك أنه عندأشرع السلطان النورى في تجهيز جيشه لمواجهة الغزو العثمانى  
أمر بأن تجبى من بلاد وقرى الشرقية والغربية والمصيدة الاموال ، فلما سمع الفلاحون  
بذلك هربوا ، وتركوا زروعهم في الأرض ورحلوا ، وغرب بعض بلاد من  
هذه الحركة ،<sup>(٢)</sup>

#### ٦ — التجار السلطاني والرمایات والاحتكار

من مساوئ العهد المالىكى إشتغال السلاطين بالتجارة ، فالسلطان كانت له  
تجارة تعرف باسم المنجر السلطاني ، وكان لهذا المنجر ديوان يدير شؤنه<sup>(٣)</sup> .  
وقد لجأ السلاطين إلى كل السبل المشروعة أو الغير مشروعة لتحقيق الربح لتجارتهم  
واستخدموا في ذلك وسائل عديدة .

(١) التلغشندى : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٦٦

(٢) ابن إياس : بساتين الزمرد ص ٢١

(٣) المقربرى : المواظ ج ١ ص ١٠٩ .

ومن بين ما لجأوا إليه في هذا الشأن « الرمايات » ، وهي أن يرمى السلطان بضائع وسلع على التجار - أى يطرأ عليها - ويحبرهم على شرائها منه سواء كانوا في حاجة إليها أم غير محتاجين ، وبالفن الذى يحدده ديوانه في هذا الشأن ، وغالبا ما يكون هذا الفن مرتفعا عن سعرها الفعلى الذى تباع وتشترى به في السوق . وفي أغلب الأحيان كان التجار يلزمون بأداء ثمن السلع التى رميت عليهم بأسرع وقت ، فلا يجدون مفرًا من التنفيذ وهم صانعون ، حتى أن بعضهم كان يضطر للاستدانة لأداء المطالب منهم للسلطان <sup>(١)</sup> ، وكان أمام التجار بعد ذلك أحد أمرين : إما أن يبيعوا السلع التى رميت عليهم بسعرها الفعلى في الأسواق فتلتحق بهم الخسارة في هذه الحالة <sup>(٢)</sup> ، أو أن يرفعوا سعرها لتعويض الزيادة في ثمنها التى أجبروا على دفعها لديوان المتجر السلطان . وبالعطبع كانوا يلجأون إلى الأسلوب الأخير لكي لا تلتحق بهم الخسارة ، فأصبحت الرمايات بذلك سببا من أسباب ارتفاع الأسعار والفلاء ، ومن أمثلة ذلك أنه في عام ٧٩٨ هـ كان سعر أردب القمح لا يتجاوز الستين درهماً ، طلع بسبب الرمايات إلى مائة وعشرة <sup>(٣)</sup> ، فما كان من المحتسب إلا أن عول نفسه احتجاجا على تصرف السلطان <sup>(٤)</sup> .

(١) نفس المرجع السابق والجزء ص ٢٢٣

(٢) ابن حجر : انباء الفهرج ١ ورقة ٢٢٨ - القريوى : السلوك، مخطوط، مجلد ٨ ورقة ١٠٢ ب

(٣) ابن حجر : نفس المرجع السابق والجزء ورقة ٢٩٨

(٤) نفس المرجع السابق والجزء والورقة

كما أنه في عهد السلطان فرج بن رقوق كثرت رمى البضائع على التجار والبائعين  
بأعلى الأثمان ، فخرّب اقليم مصر وزالت نعمة أهلها وقلت أموالهم وصار الفلاح  
بينهم كأنه طيغمي لا يرجى زواله ، (١) .

ومن بين السلاطين الذين عرفوا بالشراقة في الرمي على التجار السلطان  
برسباى ، فقد أكثر هذا السلطان من رمى الفلاح والسكر والأرز وبيع  
أخرى على الحوائيت والطواحين (٢) . ولم يكف هذا السلطان بالرمي فقط بل  
التجأ أيضا الى الاحتكار لتحقيق ربح أكبر لتجاره ، فاحتكر السكر لفترة من  
الزمن ، واحتكر وحده صنعه بمصانعه وبيعه ، ومنع مصانع السكر الأهلية من  
صنعه ، ومنع الناس من شرائه إلا من الحوائيت التى يباع بها سكر السلطان ،  
وفرض عليهم سعرا مرتفعا لشراؤه (٣) . ولكي تكون حافزة احتكاره للسكر  
محكمة لذلك فقد احتكر أيضا زراعة قصب السكر : ودارعه ومنع الناس من  
زراعته (٤) .

وإذا نحصيه فاحتكر القفل ، وأمر بأن لا يباع إلا له فقط ، ولا يشتري

(١) المقرئى : السلوك مجلد ١٠ ورقة ٢٧٧

(٢) نفس المرجع السابق مجلد ١١ ورقة ٢٧٦ - ابن الصيرفى : نزعة النفوس  
والآبدان ورقة ٣٠٥

(٣) نفس المرجع والجلد ورقة ٣٥٨ ب ، ٢٦٠ - ابن حجر : إنباء القصر :  
٢٣ ورقة ٣٦٢

(٤) ابن حجر : إنباء القصر ٢٣ ص ٤٤٤



الامته وحده<sup>(١)</sup>، وفي أواخر عهده احتكر اللحم وشدّد على الجزارين أن لا يشتروا الا أغنامه فقط ، فلم يسمع بمثل ذلك ، (٢).

ولم يكن برسباى هو الوحيد الذى مارس سياسة الاحتكار فقد سبقه فى ذلك الأمير يلينا الناصرى الذى اغتصب السلطة من السلطان بروق لفترة من الزمن ، فقد احتكر هذا الأمير الملح أثناء فترة حكمه ، وألزم الباعة أن لا يشتروه الا منه ، فلهذا بلغ الملح أضعاف ثمنه ، (٣).

ونظرا لأهمية الملح فقد احتكره السلطان النورى أيضا فى عام ٥٩١٩هـ ، فكان من نتيجة ذلك أن عز وجوده وارتفع سعره (٤).

#### ٧ - جشع الامراء وحقائهم

كان الامراء أيضا دور فى بعض النلوات التى ألت بمصر ، فقد كانوا يعمدون الى اختزان الغلال فى مخازنهم ليرتفع سعرها ، ثم لا يعرضونها للبيع الا اذا ضمنوا من وراء ذلك ربحا كبيرا . ولقد كان جشعهم هذا سببا فى غلاء الغلال عام ٧٢٦هـ فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، مما اضطر معه هذا السلطان الى استدعاء واحد منهم وهو الأمير قوصون وصب عليه جام غضبه رغم أن هذا الأمير كان من بين الامراء المقربين اليه ، وسبه السلطان زلته وصرخ

(١) القريزى : السالك ، مخطوط ، مجلد ١٢ ورقة ٤٢٩أ

(٢) المرجع السابق ورقة ٤٣٧ ب - ابن حجر : نفس المرجع السابق والجزء

ورقة ٦٣٥

(٣) القريزى : المرجع السابق مجلد ١٠ ورقة ٢٨٨ ب

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٥٥

في وجهة قائله . ولك أنت تريد أن تخرب على مصر ، وشهر سيفه عليه وناقد  
أن يفتك به . ثم أمر السلطان بمصادره الفلال التي يخبئها الأمراء . بشونهم ،  
ويبعها إلى الطحانيين تحت إشراف المحتسب (١) .

ولم يقف جشع الأمراء عند هذا الحد فقط فكثيرا ما استغلوا نفوذهم  
وسلطتهم في فرض الحماية والحماية مال أو مكس كان يفرضه هؤلاء الأمراء  
على بعض أصحاب الإقطاع ، وأصحاب المزارع والملاك والمتاجر والطواحين  
والمراكب وغيرهم ، لكن يحصوهم بنفوذهم وجاههم وسلطتهم من دفع المكوس  
التي تفرضها الدولة عليهم (٢) .

والملاحظ أن هذه الحماية كانت قليلة بل ونادرة في العهد المملوكي  
البحري (٣) ، ولكنها بدأت تكثر وتظهر بشكل واضح منذ العهد المملوكي  
المرمكي ، وأخذ هؤلاء الأمراء يضربون رنوكهم أي أشركتهم على الأماكن  
التي يصبونها تحت حمايتهم ، اعلانا بأن هذا المكان أو المتجر أو المطحن أو خلافه  
قد أصبح تحت حماية صاحب الرنك منهم ، فلا يجوز أحد بدها - حتى ولو كان  
من رجال السلطان - أن يطالبهم بدفع أي مكس من المكوس .

ولقد حاول السلطان برقوق جاهدا أن يقف أمام جشع الأمراء وأن يحد من  
الحمايات التي فرضوها هناك (٤) ، لكن يبدو أن الجهد الذي بذله في هذا الشأن

(١) المقرئى : السلوك ج١ ، قسم ٣ ص ٨٧٥

(٢) الأسدي : التيسير والاعتبار ، مخطوط ، ورقة ٢٧ ، ٥٢ ، ٥٣

(٣) المقرئى : السلوك ج٢ ، قسم ٢ ص ٢٩٤

(٤) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك جلد ٩ ص ٢٦ ، ٤١٢

لم يأت بنتيجة حاسمة، بل تقدم كثرة الحمايات إلى درجة كبيرة في عهد ابن السلطان.  
التاسع فرج إلى درجة أن السلطان فرج نفسه أصبح له حمايات هو الآخر،  
وخصص لهذه الحمايات ديوانا وميلثرين، فقلبه الاسماء في ذلك (١).

ولما استفحل أمر الحمايات في العهد المالكي الموكسي خلق السلطان، برسمه،  
أن يقبض حمايات الاسماء جاللا بينه وبين تحقيق سياسته المفضية إلى الانتكارات،  
والإمانيات فأمر بتسريح حمايات الامراء، ويلذاته، وتوكيم التي هو يربها على  
الحريات والعليا حين والمجاهير. ونحوها (٢) ، لكنه لم يستطع أن يفعل، أمره  
تلك إلا في نطاق ضيق محدود (٣).

ولا شك أن هذه الحملات كان لها دور فعال في ارتطاج الأنبياء، والفرج  
الأسدي دورها في هذا الشأن فيقول في الحمايات حكها مال يحمل، والمال المحمول  
يعتلف إلى أصول الانساق كما تصافى المكوس والمظالم والمخارم إلى جميع أسرار  
البحايع (٤).

والواقع أن شجع الامراء لم يقتصر فقط على اختزان الثقلان وطعن الخبايا،  
فقد اهتم بهم أيضا إلى الأراضي الروابية. المستوحدة لهم - إقطاعا، فتملأوا  
يزيدون من قيمة إيجارها، وجعلوا الروافد خديتهم في كل عام (٥)، فلهذا

(١) المقرري : الملاحظ ١٠٦ ص ١١١

(٢) المقرري : السلوك وخطوط، مجلد ١١ ورقة ٢٧٦.

(٣) ابن الصدي : توبة القسوس بما أجدان ورقة ٤٠٠.

(٤) الأهدى : القيس والاحتياط ورقة ٢٢.

(٥) المقرري : إغاثة الأمة ص ٤٦.

هذه القيمة حتى بلغت في عام ١٨٠٦ هـ عشرة أمثال ما كانت عليه قبل هذا العام  
بسنوات قليلة ، فزادت تكاليف الانتاج الزراعى تبعا لذلك ، وزادت بالتبعية  
أيضا أسعار المحاصيل الزراعية . ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فبعض الفلاحين  
من أرمعتهم كثرة الجبايات والمظالم لم يستطيعوا تحمل المزيد منها فثمة في الزيادة  
المستمرة المنتقلة في قيمة 'إيجار الأراضي الزراعية التي يستأجرونها من الأمراء  
أصحاب الانطاع ، فاجتروا في آخر الأمر أن يتركوا هذه الأراضي ونشردوا  
في البلاد ، فقلت الإيدى العامة في فلاحه الأرض وزراعتها ، فانخفض مقدار  
الانتاج الزراعى تبعا لذلك . وكان لهذا كله أثره الواضح في ارتفاع أسعار  
المحاصيل الزراعية ارتفاعا قاسما لم يستطع الشعب تحمله في بعض السنين وبلغ  
حد الكارثة . ويتضح هذا بجملة في المجاعة والمحنة الاقتصادية التي خيمت على مصر  
في عام ١٨٠٦ هـ ، فقد كانت الزيادات الكبيرة المنتقلة في قيمة إيجارات الأراضي  
الزراعية أحد الأسباب الرئيسية لحدوثها (١) .

#### ٨ - اضطراب الأمن :

الازدهار الاقتصادى في أى بلد يحتاج دائما إلى أمن مستتب ، فبدون هذا  
الأمن تضطرب الأحوال الاقتصادية لهذا البلد .

والأمن في العهد المماليكى لم يكن مستتباً في كل وقت ، فكثيرا ما كان ينشب  
صراع دموى رهيب بين السلطان القائم في الحكم وبين منافيه من الأمراء  
العظامين في حرش السلطنة وكثيرا أيضا ما كان يشتمل قتال دموى وحش بين  
فرق المماليك المتصارعة على السلطة ، ولقد ترك هذا كله أثره الواضح على الحالة  
الاقتصادية في مصر بصفة عامة وأسعار السلع بصفة عامة . ولقد كان القتال الذى

نشب بين السلطان العادل كتبنا وبعض الأمراء من بين الأسباب التي ساعدت على اشتداد وطأة المجاعة التي ألمت بمصر في عهده عام ٦٩٤ هـ (١).

والقوضى التي أشاعها الجلبان (٢) من المماليك السلطانية في بعض فترات العهد المالكي المركسي كان لها أثرها في الأخرى في ارتفاع الأسعار، فقد بلغ من شدة بأسهم وسطوتهم في عهد السلطان برسبای أنهم «صالوا وطلالوا وجالوا، وزاد شرم، وأخذوا في الغدر حتى غافهم أعيان الدولة» (٣).

وفي عهد السلطان جقمق مؤلاء الجلبان على المراكب المحملة بالفلال ونجوا ما بها، فكف أصحاب الفلال عن البيع خوفا من مؤلاء الظلة فظلم البلاد (٤). أما في عهد السلطان إينال فقد صارو يهاجمون شون الأمراء وينهبون

#### (١) المقرئى : إغاثة الأمة ص ٢٧

(٢) المماليك الجلبان هم المماليك الذين جلبوا من سائر الأنظار إلى مصر وأذترام سلاطين المماليك فأصبحوا من المماليك السلطانية. والملاحظ أن سلاطين المماليك البحرية بصفة عامة - وبالأخص السلطان المنصور قلاوون وابنه السلطان الناصر محمد - كانوا يشتركون مؤلاء المماليك صفاء، ويمتتون بتربيتهم وتفشتهم دينيا وعسكريا، ويشرفون على ذلك بأنفسهم. ولكن منذ بداية العهد المالكي المركسي بدأت العناية باختيارهم وتفشتهم نقل، ولقد بدأ هذا التهاون في أمرهم يظهر بوضوح منذ عهد السلطان رقوق، ثم زاد في عهد ابنه السلطان فرج حتى أصبح مؤلاء الجلبان «أرذل الناس وأدنام. وأخسهم قدرا، وأكثرهم إعراضا عن الدين، ما فيهم إلا من هو أذل من قرد، وألص من فأره، وأفسد من ذئب». المقرئى : المواقظ ٢ ص ٢١٢، ٢١٤.

(٣) ابن الحنفى : نزهة النفوس والابدان ورقة ٢٦٩

(٤) أبو المحاسن : حوادث الدهور ١ ص ٨٩

ما بها ، كما هاجوا الأسواق ونهبوها هي الأخرى ، فكان من نتيجة ذلك أن « امتنعت السوق عن البيع ، وارتفع سعر كل شيء » (١) . وفي عهد السلطان خشمقدم زاد شرم وجورم ، وأصبح الكل يخافهم ويخافهم ، فأتته الفرصة بعض الفرص وأغلوا يديهم بزيهم ، ويتوجه الواحد منهم إلى أي حايوت شاء ويأخذ منه ما يقاد فلا يحسر صاحب الحايوت هل منه بل حتى سؤاله (٢) . ولم يكن الجلبان وحدهم من الذين عكروا صفو الأمن في مصر ، فقد شاركهم الريان في ذلك ، فبؤلاء الريان كثيرا ما كانوا يشردون ويخرجون على الطاعة ، وقد أدت ثورتهم تلك إلى حدوث عدة خلوات وأزمات إقتصادية خصوصا في المناطق التي كانوا يعيشون فيها فسادا (٣) ، ولعل ابن حجر كان مصيبا إلى حد كبير عندما قال أن الفتن التي أثارها العرب بعدة نواح من مصر كانت أحد الأسباب الرئيسية لفناء العظيم الذي شمل مصر في عام ٨١٨ هـ في عهد السلطان المؤيد (٤) .

- 
- (١) ابن أبي عمير : بدائع الزهور ج ٢ ص ٤٩ ، ٥٦ ، صفحات لم تذكر من بدائع الزهور ص ٤٠
- (٢) ابن شاميه : الزواجر في حوادث العمر والتراجم ، مخطوط ، جلد ١ ورق ٥٥
- (٣) أبو الحسن : حوادث الزهور ج ٣ ص ٤٥٨
- (٤) ابن حجر : إنباء الفهر ج ٢ ورق ١٢٢ .

## جدول بأسماء سلاطين المماليك وستوات حكمهم

أولاً : دولة المماليك البحرية

٦٤٨	السلطان عز الدين أيك التركاني
٦٥٥	• نور الدين علي بن المرائيك
٦٥٧	• الظفر سيف الدين قطز
٦٥٨	• الظاهر بيبرس البندقداري الصالحى
٦٧٦	• محمد بركة خان بن بيبرس
٦٧٨	• سلامش بن بيبرس
٦٧٩	• المنصور سيف الدين قلاوون
٦٨٩	• الأشرف خليل بن قلاوون
٦٩٢	• الناصر محمد بن قلاوون ( سلطنة الأول )
٦٩٤	• العادل زين الدين كتبغا
٦٩٦	• حسام الدين لاجين
٦٩٨	• الناصر محمد بن قلاوون ( سلطنة الثانية )
٧٠٨	• وكن الدين بيبرس الجاشنكير
٧٠٩	• الناصر محمد بن قلاوون ( سلطنة الثالثة )
٧٤١	• سيف الدين أبو بكر بن محمد بن قلاوون
٧٤٢	• علاء الدين كجك بن محمد قلاوون
٧٤٢	• شهاب الدين أحمد بن محمد بن قلاوون
٧٤٤	• عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون
٧٤٤	• الكامل سيف الدين شعبان بن محمد بن قلاوون

- ٧٤٧ السلطان زين الدين حاجي بن محمد بن قلاوون
- ٧٤٨ • الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (سلطنة الأولى)
- ٧٥٢ • صلاح الدين صالح بن محمد بن قلاوون
- ٧٥٥ • الناصر حسن بن محمد قلاوون (سلطنة الثانية)
- ٧٦٢ • صلاح الدين محمد بن حاجي
- ٧٦٤ • الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون
- ٧٧٨ • علاء الدين علي بن شعبان
- ٧٨٢ • زين الدين حاجي (سلطنة الأولى)
- ثانيا : دولة المماليك الجراكسة
- ٧٨٤ • الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق (سلطنة الأولى)
- ٧٩١ • زين الدين حاجي بن شعبان (سلطنة الثانية)
- ٧٩٢ • الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق (سلطنة الثانية)
- ٨٠١ • أبو السعادات فرج ابن الملك الظاهر برقوق (سلطنة الأولى)
- ٨٠٨ • عز الدين أبو العز عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق
- ٨٠٨ • أبو السعادات فرج ابن الملك الظاهر برقوق (سلطنة الثانية)
- ٨١٥ • (الخليفة) المستعين بالله
- ٨١٥ • المؤيد أبو النصر شيخ بن عبدالله محمود الظاهري
- ٨٢٤ • أحمد بن المؤيد شيخ
- ٨٢٤ • الظاهر سيف الدين أبو سعيد طغر
- ٨٢٤ • ناصر الدين محمد بن طغر
- ٨٢٥ • الأشرف أبو النصر برسيقي الدقاق



- ٨١١ • السلطان جمال الدين يوسف بن برسباي
- ٨١٢ • الظاهر سيف الدين ابو سعيد جقمق
- ٨٥٧ • ابو السماعات فخر الدين عيان بن جقمق
- ٨٥٧ • الاشرف ابو النصر سيف الدين اثنال الملائ
- ٨٦٥ • ابو القتح شهاب الدين احمد بن الاشرف اثنال
- ٨٦٥ • ابو سعيد سيف الدين عهقدم الناصري
- ٨٧٢ • سيف الدين بلباي المؤيدي
- ٨٧٢ • الظاهر ابو سعيد تمرنا الظاهري
- ٨٧٢ • الاشرف ابو النصر سيف الدين قايتباي المصري
- ٩٠١ • ابو السماعات ناصر الدين محمد بن قايتباي (سلطته الاولى)
- ٩٠٢ • قانصوه خضاه
- ٩٠٢ • محمد بن قايتباي (سلطته الثانيه)
- ٩٠٤ • الظاهر ابو سعيد قانصوه بن قانصوه الاشرفي
- ٩٠٥ • ابو النصر چان بلاط بن بقبك الاشرفي
- ٩٠٦ • العادل طومان باي بن قانصوه ابى النصر الاشرفي قايتباي
- ٩٠٦ • ابو النصر قانصوه من بيردى النوري الاشرفي
- ٩٢٢ • ابو النصر طومان باي من قانصوه الناصري



## للمصادر والمراجع

### أولاً - مصادر عربية مخطوطة

١ - الأسدي (شمس الدين محمد بن محمد) مباحر السلطان النوراني :  
التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار - مخطوط مصور بدار الكتب رقم  
٥٤٨٦ تاريخ .

٢ - ابن إياس (ابو البركات محمد بن أحمد) ت ٩٢٤ هـ :  
لشق الأذهار في عجائب الأقطار - مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٥٩ ط

٣ - ابن أبيك (ابو بكر بن عبد الله) من علماء القرن ٨ هـ :  
كثر الدور وجامع الفروع - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٢٥٧٨ تاريخ .

٤ - ابن إسحاق (شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد) :  
كتاب أبيس الجليل في أخبار تليس والجزائر - مخطوط بدار الكتب رقم  
١٨٥٢ أدب .

٥ - ابن إسحاق (محمد بن أحمد) القرن الثامن الهجري :  
كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة - مخطوط بدار الكتب رقم ١٠٢٩٨

٦ - النان ترمي (طينا المر كلشي) القرن الثامن الهجري :  
الفلاح المتخبة - مخطوط بدار الكتب رقم ٢٨ ذوا

٧ - التولسي (محمد بن عمر) معاصر محمد علي :

الهدور الأخيرة في الألفاظ الطيبة - مخطوط مصور بدار الكتب رقم  
طب .

- ٨ - الجبرق (حسن بن ابراهيم) ت ١١٨٨ هـ :  
العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين - مخطوط بدار الكتب رقم ٤٥٢٧ ك .
- ٩ - الجزوى الممشق (محمد بن ابراهيم) ت ٥٧٢٩ هـ :  
تاريخ الجزوى - مخطوط بدار الكتب رقم ٤٤٢٢ هـ تاريخ .
- ١٠ - أحد تلاميذ ابن حجر :  
تاريخ الأمير يشبك الظاهري ورحلته في آسيا الصغرى - مخطوط مصور بدار  
الكتب رقم ٢٥٩٢ .
- ١١ - الخالدي ، معاصر السلطان برسيای :  
المقصد الرفيع المنشا الهادي إلى صناعة الاشياء - مخطوط مصور بدار الكتب  
رقم ٣١٠٢١ ر
- ١٢ - ابن دقاق (صادم الدين ابراهيم بن محمد) ت ٨٠٩ هـ :  
المجهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين - مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٢٢  
تاريخ .
- ١٣ - ابن زولاق (ابو محمد الحسن بن ابراهيم) ت ٢٨٧ هـ :  
كتاب فضائل مصر وصفاتها - مخطوط بدار الكتب رقم ٢٣
- ١٤ - ابن سيماي (محمد) ت ٩١٧ هـ :  
أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك - مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٧٤ ط
- ١٥ - ابن شاذر الكتبي (صلاح الدين ابو عبد الله محمد بن احمد) ت ٧٦٤ هـ :  
عيون التواريخ - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ

- ١٦ - ابن شامين (ابو المكارم عبد الباسط بن خليل) ت ٨٩٢ هـ :  
الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم - مخطوط مصور بدار الكتب رقم  
٢٤٠٢ ميمور تاريخ .
- ١٧ - ابن الصيرفي (علي بن داود ابراهيم الخطيب الجوهري الحنفي) ت بعد  
٨٩٠ هـ :  
نزه النفوس والأبدان في تواريخ الزمان - مخطوط بدار الكتب رقم ١١٦ م
- ١٨ - ابن ظهير - القرن العاشر الهجري :  
الفضائل الباهرة في عاصر مصر والقاهرة - مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٠٠  
تاريخ
- ١٩ - الصفواني (ابن حجر) ت ٨٥٢ هـ :  
إنباء النمر بأبناء العمر - مخطوط بدار الكتب في مجلدين رقم ٢٤٧٦ تاريخ
- ٢٠ - علي مبارك ت ١٣١١ هـ :  
الموازين والمكايل والمقاييس - مخطوط بدار الكتب رقم ٥٢٤ ك
- ٢١ - العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله) ت ٨٤٢ هـ :  
مسالك الأبهصار في مالكة الأمصار - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٥٩  
دوائر معارف .
- ٢٢ - العيني (بدر الدين محمود) ت ٨٥٥ هـ :  
مقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - مخطوط مصور بدار الكتب ٢٣ جزءا في  
٦٩ مجلد - رقم ١٥٨٠ تاريخ

- ٢٣ - القزوي (عيسى الدين بن عيسى الدين) ت ٩٣٥ هـ :  
جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الملاحة - مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٤  
زواجره .
- ٢٤ - ابن قاضي شيه (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن تقي الدين) ت ٨٥١ هـ :  
تاريخ ابن قاضي شيه - مخطوط مصور بدار الكتب ٤ أجزاء رقم ٢٤  
تاريخ ليمور .
- ٢٥ - أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن قزويني) ت ٨٧٤ هـ :  
حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور - مخطوط في مجلدين بدار الكتب  
رقم ٢٣٩٧ .
- ٢٦ - المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ :  
السلوك لمحنة دوك الملوك - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٤١٥ تاريخ
- ٢٧ - \_\_\_\_\_ : جنى الازهار في الروض المطار - مخطوط بدار  
الكتب رقم ٤٥٨ جغرافيا .
- ٢٨ - مؤلف مجهول : كز الفوائد في تنويع الموائد - مخطوط بدار الكتب رقم  
٤٥٨ جغرافيا .
- ٢٩ - مؤلف مجهول : الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب - مخطوط  
مصور ميكرو فيلم محمد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية رقم ١٦ صناعه
- ٣٠ - المؤلف (محمد بن محمد بن بهادر) من علماء التلك الأخير من القرن ٩ هـ :  
فتح النصر في تاريخ ملوك مصر - مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٢٣٩٩  
تاريخ .

٢١- ابن منكلى ( محمد ) القرن الثامن المجرى ومناصر السلطان الأشرف شهاب :

ألس الملا بوحش الفلا - منطوط بدار الكتب رقم ١٢ صناعات .

٢٢- \_\_\_\_\_ : الأحكام المملوكية والعنوايط الناموسية - منطوط

مصور بمكتبه كلية الآداب بجامعة الاسكندرية رقم ٩ م ، هن المنطوط المحفوظ

بدار الكتب بالقاهرة رقم ٢٢ فروسية تيمور .

٢٣ - النورى السكندرى ( محمد بن قاسم بن محمد ) ت ٧٧٥ هـ :

الالام بالاعلام بما جرت به الاحكام المقضية في واقعة الاسكندرية - منطوط

مصور بدار الكتب في مجلدين رقم ١٩٢ تاريخ .

٢٤ - الطواط ( جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الوراق السكتي المدرف

بالوطواط ت ٧١٨ هـ :

مباحث الفكر ومناهج العبر ، المجلد الثاني ، منطوط مصور بدار الكتب رقم

٢٢ علوم طبعيه .

### لانيا - مصادر ومراجع عربية مطبوعة

- ١ - ابراهيم على طرخان (دكتور) :  
النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى - دار الكاتب العربي -  
القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢ - أحمد تيمور :  
أعلام المهندسين في الاسلام - الطبعة الأولى - دار الكاتب العربي القاهرة
- ٣ - أحمد عيسى (دكتور) :  
معجم أسماء البنات ، الطبعة الأميرية القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٤ - أحمد مختار العبادي (دكتور) :  
البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك - بحث بكتاب تاريخ البحرية المصرية -  
تأليف مجموعة من أساتذة جامعة الاسكندرية - طبع جامعة الاسكندرية عام  
١٩٧٣ م .
- ٥ - آدم مز -  
المخاضة الاسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة محمد عبد الحمادي أبو ريده  
القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٦ - ابن الاخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي) ت ٧٢٩ هـ :  
معالم القرية في أحكام الحسبة ، نقل وتصحيح روبن ليفي ، مطبعة دار الفنون  
بكبردج ١٩٣٧ م .
- ٧ - الادفردى (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب) ت ٨٤٨ هـ :  
الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد القاهرة ١٩١٤ .



٨ - أرلست كونل :

الفن الاسلامي ، ترجمة أحمد موسى ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٩ - الأزرق ٢٣٣ هـ :

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، طبعة وستنفك ( جوتجن ) ١٢٧٥ هـ

١٨٥٨ م .

١٠ - ابن أبي أصيبه ( موفق الدين أبو العباس بن يونس السدي الحوزجي )

ت ٦٦٧ هـ :

كتاب حيون الأنبا . في طبقات الأطباء ، جزءان ، الطبعة الأولى ، المطبعة

الرومية ١٢٩٩ هـ .

١١ - أمين الملوحي : معجم الحيوان ، القاهرة ١٩٣٢ م .

١٢ - الأنطاكي ( داود ) ت ١٠٠٨ هـ .

تذكره أولي الأبواب والجامع للمحب السحاب ، جزءان ، القاهرة ١٢٣٢ هـ

١٣ - ابن أبياس ( أبو البركات محمد بن أحمد ) ت ٩٣٠ هـ :

كتاب تاريخ مصر المعروف بمذائع الزهور في وقائع الدهور - ٢ أجزاء -

بولاق ١٢١١ هـ .

١٤ - \_\_\_\_\_ : الجزء الثالث والجزء الرابع من كتاب بذائع الزهور

نشر بأوله كاله ودكتور محمد مصطفي ، طبع استانبول سنة ١٩٣١ م ، ١٩٣٦ م .

١٥ - البدرى ( أبو البقاء عبد الله بن محمد المصري ) من علماء المُسنون التاسع

المجرى :

نوحه الأمام في محاسن الشام ، القاهرة .

١٦ - برنارد لويس :

التقنيات الاسلاميه - بحث مجلة الرسالة - الاعداد ٢٥٥٦ ، ٢٥٥٧ ، ٢٥٥٨  
سنة ١٩٤٠ م ، ترجمه عبد العزيز الدوي .

١٧ - ابن بطوطه ( أبو عبد الله محمد بن أحمد ) ت ٨٧٧٩ هـ :  
تحفة النظار في غرائب الأمصار - جردان - القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .

١٨ - البغدادي ( عبد الطيف ) ت ٦٢٩ هـ :  
كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاعدة والحوادث المعاينة بأرض مصر -  
طبعة أول مطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٦ هـ .

١٩ - ابن البيطار ( شياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي ) ت  
٦٤٦ هـ :

كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٤ أجزاء

٢٠ - توفيق اسكندر :  
بحوث في التاريخ الاقتصادي - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة  
١٩٦١ م .

٢١ - \_\_\_\_\_ : نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر

الوسيط - بحث بالمجلة التاريخية المصرية المجلد السادس ١٩٥٧ م :

٢٢ - الجاسط ( أبو عثمان عمر ) ت ٢٥٥ هـ :  
الحيون - تحقيق وشرح عبد السلام هارون

٢٢- \_\_\_\_\_ : كتاب التبصر بالتجارة - دمشق ١٧٥١ م ١٩٢٢ م

٢٤- جاستون فيت :

القاهرة مدينة الفن والتجارة - ترجمه دكتور مصطفى البادى - بيروت ١٩٠٨ م

٢٥- \_\_\_\_\_ : المراسلات في مصر في العصور الوسطى - مقتال

بكتاب في مصر الإسلامية . ترجمه محمد وهبي - القاهرة ١٩٢٧ م :

٢٦- الجبرقي ( حسن ) ت ١١٨٦ هـ :

الأقوال العربية عن أحوال الأثرية

٢٧- الجبرقي ( عبد الرحمن بن حسن بن إبراهيم ) ت ١٢٣٧ هـ :

عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٤ أجزاء - القاهرة ١٠٩٧ هـ .

٢٨- ابن جبير ( أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني ) ت ٦١٤ هـ

وسيلة ابن جبير - تحقيق الدكتور حسين لصار - القاهرة ١٩٥٥ .

٢٩- الجواليقي ( موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر ) ت ٥٤٠ هـ

المغرب من الكلام الأصمى على حروف المعجم - تحقيق وشرح أحمد محمد

شاذلي مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٦١ هـ

٣٠- ابن الجيمان ( شرف الدين أبو القاسم ) ت ٩٠٠ هـ :

الحنفة السنية بأسماء البلاد المصرية - نشر موزين - بولاق ١٢٨٦ هـ

٣١- ابن الحاج ( أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البغدادي ) ت ٤٣٢ هـ

مدخل الشرع الشريف على المذاهب - ٢ أجزاء - المطبعة الشريفة ١٣٢٠ هـ

- ٣٢ - حسن عبد الوهاب :
- تاريخ المساجد الأثرية - طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٦ م .
- ٣٣ - \_\_\_\_\_ : توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية - بحث  
بجريدة الجمع العلمي المصري المجلد ٣٦ سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٤ .
- ٣٤ - ابن خرداذبه ( أبو القاسم عبيد الله بن أحمد ) ت ٢٠٠ هـ :  
المسالك والممالك - طبع ليدن ١٨٨٩ م .
- ٣٥ - خسرو ( ناصر ) :  
سفرنامه - نقله إل العربية وعاق عليه الدكتور يحيى الخشاب - مطبوعات  
لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الأولى سنة ١٣٦٤ هـ .
- ٣٦ - ابن خلدون ( عبد الرحمن ) ت ٨٠٨ هـ :  
مقدمه ابن خلدون أو الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في  
أيام العرب والمسلم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - طبعة  
مصطفى محمد بمصر .
- ٣٧ - درويش النخيل ( دكتور ) :  
السفن الإسلامية على حروف المعجم - طبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٤ م .
- ٣٨ - ابن دقاق ( إبراهيم بن محمد المصري ) ت ٨٠٩ هـ :  
الاتصار بواسطة عقد الأسماء - الطبعة الأولى - طبع بولاق ١٣٠٩ هـ .
- ٣٩ - النويرى ( كمال الدين محمد بن عيسى ) ت ٨٠٨ هـ :  
جياة الحيوان الكبرى - جزءان - القاهرة ١٣٥٢ هـ / ١٩٦٣ م .

- ٤٠ - الرازى ( ابو بكر محمد بن زكريا ) ت ٥٢٢٠ تقريباً :  
 كتاب منافع الاغذية ودفع مضارها - الطبعة الاولى - القاهرة ١٣٠٥ هـ .
- ٤١ - زكى محمد حسن ( دكتور ) :  
 قرات الاسلام - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ م .
- ٤٢ - \_\_\_\_\_ : الفن الاسلامى فى مصر - القاهرة ١٩٢٥ م .
- ٤٣ - \_\_\_\_\_ : فنون الاسلام القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٤٤ - \_\_\_\_\_ : كنوز الفاطميين - مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٦ هـ .
- ١٩٢٧ م .
- ٤٥ - السبكى ( تاج الدين ابى نصر عبد الوهاب ) ٧٧١ هـ :  
 ميد التمم وميد النقم - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٤٦ - السخاوى ( الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبى بكر بن عثمان ) ت ٨٩٠٢ هـ :  
 كتاب التبر المسبوك فى ذيل السلوك - بولاق ١٨٩٦ م .
- ٤٧ - سعد زغلول حيد الحيد ( دكتور ) :  
 الترك والمنتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم - بحمد مجلة كلية الآداب  
 جامعة الاسكندرية - المجلد العاشر سنة ١٩٥٦ م .
- ٤٨ - سعيد عبد الفتاح عاشور ( دكتور ) :  
 المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك - الطبعة الاولى - مطبعة لجنة البيان  
 العربى بالقاهرة سنة ١٩٦٢ م .
- ٤٩ - \_\_\_\_\_ : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية - العدد ٢٢٧  
 من مجموعة الألف كتاب - القاهرة ١٩٥٩ م .

٥٠ - ابن سعيد (علي بن موسى المغربي) ت ٦٧٣ هـ :  
المغرب في سجن المغرب - الجزء الأول من القسم الأول الخاص بمصر - نشر  
دكتور زكي حسن وآخرين - مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥٣ م .

٥١ - السيد الباز العريني (دكتور) :  
الحسبة والتعسبون في مصر - بحث بالجمعية التاريخية المصرية - المجلد الثالث العدد  
الثاني - أكتوبر ١٩٥٠ م .

٥٢ - \_\_\_\_\_ : القارس الملوكي ، مقال بالجمعية التاريخية المجلد الخامس  
١٩٥٦ م .

٥٣ - ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل) ت ٤٥٨ هـ :  
المختص - طبع بولاق ١٢١٦ م .

٥٤ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور)  
المآذن المصرية - نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح  
العثماني - القاهرة ١٩٥٩ م .

٥٥ - \_\_\_\_\_ : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي -  
دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .

٥٦ - السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين) ت ٩١١ هـ :  
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - جزءان - القاهرة ١٣٢٧ هـ .

٥٧ - ابن شامين الطاهري (غرس الدين خليل) ت ٨٧٣ هـ :  
ربعة كعف الممالك وبين الطرق والمنازل - نشره بولس راويس - طبع  
بالجمعية الجمهورية بباريس سنة ١٨٩٤ م .

- ٥٨ - ابن الفصحى (ابو الوليد ابراهيم بن محمد) ت ٨٨٢هـ :  
كتاب لسان الحكم في معرفة الاحكام - الاسكندرية ١٢٩٩ هـ .
- ٥٩ - ابن الشدياق (الشيخ ابن يوسف القديان المدنى الماروقى ١٢٧٦ هـ :  
اخبار الاعيان في جبل لبنان - بيروت ١٨٥٩ م .
- ٦٠ - الشربيني (يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خطر) من علماء القرن ١١هـ :  
من القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف - الطبعة الثانية - المطبعة الاممية  
بيروت ١٣٠٨ هـ .
- ٦١ - الشيزى (عبد الرحمن بن نصر) معاصر لصلاح الدين الايوبي :  
كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة - نشر الدكتور السيد الباز القرنى القاهرة  
١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .
- ٦٢ - صبحى بن لبيب (دكتور) :  
تاريخ تجارة الاسكندرية في القرن الرابع عشر الميلادى - رسالة ماجستير لم  
تطبع .
- ٦٣ - \_\_\_\_\_ : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى -  
بحث باللغة التاريخية المصرية - الجمعية المصرية لدراسات التاريخية المجلد الرابع  
العدد الثاني مايو ١٩٥٢ م .
- ٦٤ - الطاهر أحمد مكي :  
معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر بين سلطان مصر ومملكة البرتغال - بحث  
مجلد المجلد ٤٩ / ١٣٨٠ م / ١٩٦١ م .

٦٥ - عباس عمار (دكتور) :  
 المدخل الشرقى لمصر - مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية - القاهرة  
 ١٩٤٥ م

٦٦ - ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد) ت ٥٢٤٩ هـ :  
 العقد الفريد - ٢ أجزاء - بولاق ١٢٩٣ هـ :  
 ٦٧ - عبد الرحمن فهمى (دكتور) :  
 النفوس العربية ماضيها وحاضرها - المكتبة الثقافية العدد ١٠٢ القاهرة ١٩٦٤ م

٦٨ - ابن عبد الظاهر (عبد الدين) ت ٦٩٢ هـ -  
 تشرىف الأيام والصور فى سيرة الملك المنصور - القاهرة ١٩٦١ م  
 ٦٩ - عبد الفتاح عباده :

كتاب سفن الأسطول الإسلامى - القاهرة ١٩١٢ م

٧٠ - عبد العليق إبراهيم (دكتور) :  
 الوثائق فى خدمة الآثار - العصر المملوكى - الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية  
 القاهرة ١٩٥٨ م

٧١ - ————— : وثيقة الأمير أخور كبر فراقها الحسى - بحث بمجلة  
 كلية الآداب المجلد ١٨ الجزء الثانى ديسمبر سنة ١٩٥٦ م

٧٢ - المستقلانى (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ابن حجر) ت ٨٥٢ هـ :  
 الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة - غير أباد ١٣٤٨ هـ



- ٧٣ - المطار ( أبو المنى بن أبي نصر ) مائى فى القرن السابع الهجرى :  
كتاب مهاج الدكان ودستور الأعيان .
- ٧٤ - على إبراهيم حسن ( دكتور )  
دراسات فى تاريخ الممالك البحرية - القاهرة ١٩٤٤ : ٢ .
- ٧٥ - أهل مبارك :  
الخط الترفيقي الجديدة مصر والقاهرة - ٢٠ جزء - بولاق سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٧٦ - عمر طوسون :  
كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إل الآن - الاسكندرية ١٩٣١ م .
- ٧٧ - العمري ( شهاب الدين أحمد بن فضل الله ) ت ٥٧٤٢ :  
التعريف بالمصطلح الشريف - مطبعة العاصمة بالقاهرة ١٣١٢ هـ .
- ٧٨ - \_\_\_\_\_ :  
صالح الأبحار فى مالك الأمصار - الجزء الأول -  
مطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٢٤ م .
- ٧٩ - العيني ( محمد بن أحمد ) ت ٨٥٥ هـ :  
السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودى - تحقيق فهم محمد شلتوت  
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .
- ٨٠ - أبو الفدا ( اسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شامشاه بن أيوب  
الملك المؤيد ) ت ٧٢١ هـ :  
المختصر فى أخبار البشر ويعرف بتاريخ أبى الفدا  
٤ مجلدات - القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .
- ٨١ - ابن الفرات ( ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ) ت ٨٠٧ هـ .  
تاريخ الدول والملوك المدروف بتاريخ ابن الفرات - جزءان - من سنة ٥٧٧٩  
إل سنة ٧٩٩ هـ - المطبعة الأمريكية ببيروت ١٩٢٦ م .



١٩١٠ - محمد سعيد الفريز - مؤلف (دكتور) :

الفن الاسلامي ، العدد ١١٤ من مجموعة اوراق ١٩٥٢ م .

٩٢ - محمد مصطفى (دكتور) :

صقلت لم تلثبر من يدائع الزهور في وقائع المعمور لابن عباس دار المعارف

بصر ١٩٥١ م .

٩٣ - محمد ياسين الحوى :

تاريخ الاسطول العربى - دمشق ١٩٤٥ م .

٩٤ - المسمودى ( ابو الحسن على بن الحسين بن علي ) ت ٢٤٦ هـ :

مروج الذهب ومناذن الجوهر - جردان - المطبعة البية بالقاهرة ١٢٤٦ هـ .

٩٥ - المقدسى ( شمس الدين ابو عبد الله ) من علماء النصف الثانى من القرن الرابع

المجربى :

أحسن التنايس في معرفة الاقاليم - لندن ١٨٧٧ م .

٩٦ - القرطوبى ( تقي الدين احمد بن علي ) ت ٨٤٥ هـ :

الاجال الاثمة بتلخيص الفقه - الطبعة الثانية في نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة

والدكتور جمال الدين الفيضال - القاهرة ١٩٥١ م .

٩٧ - : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك - الجزء الاول

والثاني الى سنة ٧٤٠ هـ ، نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب

بالقاهرة ١٩٣٣ م .

٩٨ - : المراسم والاحكام في ذكر المخطوط والاعمال ، جردان

بولاق ١٢٧٠ هـ .

٩٩ - \_\_\_\_\_ : نحل عبر النحل - نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين

القيصالي - القاهرة ١٩٤٦ م .

١٠٠ - ابن علقم ( الأسعد ) ت ٥٦٠٦ :

كتاب قوانين النواوين - تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية - مطبعة مصر

١٩٤٢ م .

١٠١ - التابلسي ( فخر الدين عثمان بن ابراهيم ) القرن السابع الهجري :

تاريخ القيوم وبلاغة - بولاق ١٨١٨ م .

١٠٢ - التويري ( شهاب الدين بن احمد بن عبد الوهاب ) ت ٥٧٢٢ :

نهاية الادب في فنون الادب ١٤ جزءا - مطبعة دار الكتب ١٣٤٦ هـ .

١٠٣ ابن الوردى ( زين الدين أبو حمص عمر بن المظفر ) ت ٥٧٤٩ :

غريدة السحاب وغريدة الفرائد - القاهرة ١٢٩٨ هـ .

١٠٤ - زعفران جوزف داني :

المعجزة البيرية بمصر ، القرنان ١٤ ، ١٥ م - ترجمة محمود احمد بولاق ١٩٢٣ م

١٠٥ - ياقوت الحموي ( شهاب الدين ابو عبد الله ) ت ٥٢٢٦ :

كتاب معجم البلدان ١٢ جزءا - القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م .

١٠٦ - ابن عيسى ( الامير صالح بن يحيى بن الحسين ) من طالع القرن التاسع الهجري :

تاريخ يهود و اخبار البشريين - نشرة الاب لويس شيخو اليسوعي يهود

١٩٢٧ م .

## ثالثا : مراجع أجنبية

1) Berchem ( M. V ) :

Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum  
Première partie, Egypte Paris 1903 .

2) ————— : Enc. Isl. Art. Architecture .

3) Bedevisan ( A. K. ) :

Illustrated polyglottic dictionary of plants names .  
Cairo 1906

4) Briggs ( M. S ) :

Muhammedan architecture in Egypt and Palestine,  
Oxford 1924 .

5) Grerwell ( K. A ) :

The muslim architecture of Egypt 2 Vols Oxford  
1909 .

6) ————— : Evolution of the minaret, Burlington  
magazine (mars, mai, Juin 1926) .

7) Demombynes ( G ) :

La Syrie a l'époque des mamelouks . Paris 1922 .

8) Dimand ( M. S )

A handbook of Muhammedan Art, second edition,  
Newyork 1947 .

9) Dehasen :

Sketches des Mongols. ( 4 - vol ) Amsterdam, 1853 .

10) Dozy: Supplément aux dictionnaires Arabes, 2 vols  
(Leiden 1881).

11) Exhibition Islamic art in Egypt, Cairo 1959.

12) Hammad (S) :  
The Sultan's turrets, Cairo 1939.

13) Hazlitt (W) :  
The Venetian Republic, 2 vols

14) Heyd (W) :  
Histoire du commerce du levant au moyen age.  
2 vols, Leipzig 1896

15) Heworth :  
History of the mongols, London (1826).

16) Jomard :  
Description de l'Egypte, second edition, T. 18, Paris

17) L. African (Jean Leclerc)

Description de l'Afrique, Paris 1764

18) Los Documentos Arabes diplomaticos del archivo de la corona de Aragon - Editados Y traducidos (2 Ptas) Masadunigo A, Alonzo E. Sison, Y. Bouza - Garcia de Harro A Madrid - Granada 1940. publicaciones de los trabajos de los estudios Arabes de Madrid Y Granada, Serie C num 1.

19) Louis Maugnier :  
The Encyclopaedia of Islam. Art chadd, Sind.

20) Metz (A) :

The Renaissance of Islam, trans in english by Khuda  
Baksh and D. S. Margelionth, London 1929.

(12) Magon (G) :

Manuel d'art Musulman . 2 vols 2<sup>ed</sup>. Paris 1927 .

(13) Magon (G) :

22) Palgrave's dictionary of political economy, 3 vols .

23) Pallak (A. N.) :

Feudalism in Egypt, Syris, Palestine and Lebanon,  
1250 - 1900 London, 1987 .

24) Poole (S. L) :

The art of the Saracens in Egypt, London 1886 .

25) Rivolta (S. T) :

Moslem architecture, its origins and development  
( translated by N. Rushforth), Oxford 1918 .

26) Sauvaire ( M. H ) :

Materiaux Pour servir à l'histoire de la numismatique  
et de la metrologie musulmanes ( J. A. Sé iv ) .

27) Steingass (F) :

Perdan English dictionary .

28) Tafar (P) :

Travels and adventures, London 1926 .

29) Thenaud (J) :

Le voyage d'entremor de Jean Thenaud Paris 1864

30) Hautecœur :

Les Mosquées du Caire, Paris 1932 :

31) Wiet (G) :

Objets en cuivre ( catalogue du Musée Arabe ), Le -  
Caire 1932.

32) \_\_\_\_\_ : Précis de l'histoire d' Egypte, T. 2 (L'Egypte  
Musulmane ), Le Caire 1939 .



# فهرس الموضوعات

٢	تقديم
٧	الزراعة
٩	أنواع المحاصيل الزراعية ومقادير إنتاجها
١٥	أنواع الري والآلات ونظمه ومفنتاه
٣٠	أساليب وآلات زراعة التناوى
٢٤	الفرس والتنظيم
٢٩	الثروة الحيوانية والسكية
٤١	الثروة الحيوانية
٥٠	تربية النواجن وتفرغ الفرائج
٥٣	الثروة السكية
٦٣	الصناعات
٦٥	عوامل النهضة الصناعية في مصر الحالية
	عرض لأم الصناعات :
٦٨	صناعة عمل القصب
٧٠	صناعة السكر
٧٥	صناعة الزيت
٧٨	طحن القنل وصناعة الحديد
٨٦	صناعة الحرور

٩٦	صناعة المنسوجات
١٠٨	• الثياب
١١٦	• أغطية الرأس
١٢٦	• كمرة الكبة
١٣٠	• الخيام
١٣٨	• البسط
١٤٠	• آلات الركوب
١٤٦	• الورق
١٤٨	• النوى
١٤٩	• الصمغ
١٥١	الصناعات المعدنية
١٥٥	صناعة الحرف والفنائى
١٥٨	الصناعات الزجاجية
١٦٠	الصناعات الخشبية
١٨٢	صناعة السفن
١٧٦	البناء والتشييد
١٩١	صناعات متنوعة
٢٩٤	نظام العرايف الصناعية والحرفية
٢٠٢	التجارة الداخلية وانظمتها
٢٠٤	أولاد السوق المصرية في العهد المملوكى
٢٠٥	١ - أنواعها

- ٢١١ به - أنواع التجار واليهام
- ٢٢٤ ج - أم السلع
- ٢٢٥ د - الرقابة على الاسواق وحمايتها من الغش والتهال
- ٢٢٦ هـ - أهمية السوق كركز رئيسي لفتح المحقق
- ٢٢٧ ذابا : الموالدين والمكاييل وطرق الميلا
- ٢٢٨ و - الموالدين
- ٢٢٩ هـ - المكاييل وأركانها وأدواتها
- ٢٣٠ ج - دار الباز
- ٢٣١ ذابا : أم النظم التجارية : تنظيم حسابات التجار ، نظام الشركات التجارية ، نظام الدفع ، نظام التعامل التجاري مع المصارف والبنوك
- ٢٣٢ رابعا : المراكز التجارية الرئيسية وطرق المواصلات
- ٢٣٣ النظام المال
- ٢٣٤ أولها : الجهاز المال : الوزير ، ناظر السرة ، شاد الدواوين
- ٢٣٥ مستوفى المحبة ، ديوان النظر ، نظريه المال ، الخزانة الكبرى ، خزانة الصنف ، خزانة الدين ، خزانة الكبير .
- ٢٣٦ ذابا : الموارد والتنفقات
- ٢٣٧ ا - الموارد : المال الخراجي ، المبادي ، الزكاة ، المال ، المال الذي ياتي من تجار الهند مسلمين والاصلين في الهند

إلى الديار المصرية ، الموارث الحشرية ، المكوس

٢٩٥ ب - التفتت ومحاولات معالجة السورن المزاية .

٢٠١ النظام الإقطاعي

٢٠٧ أصحاب الإقطاع وعصمتهم الإقطاعية : الخصومات الإقطاعية لسلطان

الخصومات الإقطاعية للأمراء

الخصومات الإقطاعية للجنود

منحومات إقطاعية لنهر رجال السيف

٢٢٨ الخاضعات الرئيسية لتوزيع الإقطاعات

٢٢٢ لروك

٢٤٢ إجراءات منح الإقطاع وإرتجاءه وبقائه

٢٥١ الغلوات والمجاعات وأسبابها الرئيسية

٢٥٢ ١ الخناجات التبل ولورقاعاته

٢٦٠ ٢ - إعمال القرع والمسور

٢٦٢ ٣ - فساد الحبة

٢٦٧ ٤ - طلبة

٢٨٧ ٥ - المكوس

٢٨٨ ٦ - المنجر السلطان والرايات والاحتكارات

٢٩١ ٧ - جمع الأمراء وحمايتهم

٢٩٤ ٨ - اضطراب الأمن

٢٩٧ جدول بأمواله وسنواف حكم سلاطين الماليك

٤٠١ المصادر والمراجع











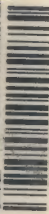








Bibliotheca Alexandrina



0521920